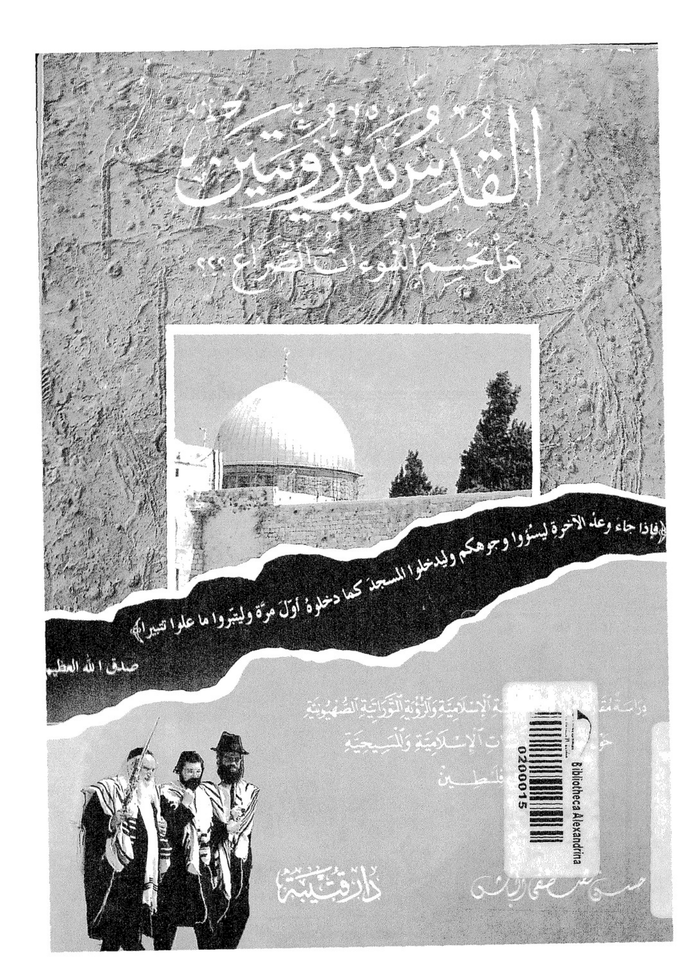

القدس بين رؤيتين
هل تحسم النبوءات الصراع ؟؟؟
﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾
صدق الله العظيم
دراسة مق ... ة الإسلامية والرؤية التوراتية الصهيونية
حو ... ت الإسلامية والمسيحية
... فلسطين
Bibliotheca Alexandrina
02000015
حسن ... صطفى الباش
دار قتيبة


القدس بين رؤيتين
هل تحسم النبوءات الصراع؟



دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق ـ هاتف : ٢٢٤٢٤٣٠ - ص.ب : ١٣٤١٤
بيروت ـ هاتف : ٨١٤٨٣٣ «٠٣» ـ ص.ب : ٦٣٦٤ / ١٤

القدس بين رؤيتين

هل تحسم النبوءات الصراع ؟؟؟

دراسة مقارنة بين الرؤية القرآنية الإسلامية والرؤية التوراتية الصهيونية
حول القدس والمقدسات الإسلامية والمسيحية
في فلسطين

حسن مصطفى الباش

دار قتيبة

الإهداء

إلى روح الشهيد القائد فتحي ابراهيم الشقاقي

إلى أرواح شهداء فلسطين والأمة العربية والإسلامية

إلى المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين

أهدي هذا الكتاب



مقدمـــــــة

تستند الرؤية الصهيونية في احتلال فلسطين على إحدى المقولات التوراتية التي تدعي أن الرب منح أجداد اليهود أرض الميعاد فلسطين. فإضافة للمطامع الاستعمارية الغربية والصهيونية وجدوا في المقولة الدينية حجة لاستعمار هذا البلد العربي.

وبسبب من الاهمال وعدم دراسة نصوصهم الدينية من قبلنا – نحن أصحاب الحق – استطاعوا أن يضللوا العالم بأساليبهم الاعلامية والسياسية واستطاعوا بالتالي غسل أدمغة أبناء الشعوب حتى بات الكثيرون يدافعون عن وجهة نظرهم القائلة بأن فلسطين أرض لهم منذ آلاف السنين ولما كان تبيان الحق واظهاره أحد أساليبنا في الدفاع عن حقوقنا العربية والاسلامية في هذه الأرض المباركة كان لابد لنا من مخاطبة العقل والمنطق حتى نصل في النهاية إلى مسببات إدامة الصراع مهما كان والانتصار لحقنا.

ولهذه الأسباب وأسباب أخرى كان بحثنا. فهو يتناول قضية القدس باعتبارها القضية المركزية اليوم للعرب والمسلمين. فهي قلب فلسطين. والمكان المقدس المرتبط بالبيت الحرام ارتباطا قرآنياً مهماً. فهي قبلة المسلمين الأولى وثالث

الحرمين الشريفين. ويقيننا يـرى أن الصـراع مـع المحتـل الصهيونـي سيحتدم ولـن يموت طالما تحتل فلسطين وتحتل القدس المباركة.

وقد اعتمدنا في هذا البحث تقسيمه إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. وتتناول المقدمة أهمية القـدس وعلاقتهـا بـالمنظور الصهيونـي وأهميتهـا وعلاقتهـا بالرؤيـة العربية الاسلامية. وأشرنا فيها إلى أهمية العلاقة القدسية با لله. وأن المقدس الإلهـي غير المقدس البشري. والرؤية القرآنية تؤكد علـى هـذه القدسية بينمـا لا قدسـية إلهية في التوراة لهذا المكان المقدس.

أما الفصل الأول فتناولنـا فيـه فلسـطين والقـدس في التـاريخ القديـم بـدءاً مـن الهجرات العربية الأولى وبيّنا أن الكنعانيين العرب أقـاموا في فلسـطين حضـارة لهـا عقائدها وتراثها وتحركاتها التجارية والعمرانية. ثـم كيـف تعرضـت هـذه المنطقـة لغزوات وصراعات بين القـوى الكـبرى آنـذاك. فالفراعنـة ،والبـابليون تصـادموا وتصارعوا حتى تبقى أرض فلسطين الجدار الأول لحماية مناطق نفوذهم.

ثم تعرضت فلسطين لغزوات بحرية قام بها غزاة البحر القادمون من بحـر إيجـة. ولغزوات قدمت من الجنوب من قبل القبائل البدوية العبرانية. وقد ركزنـا في هـذا الفصل على معابد الكنعانيين وعقائدهم ومكانة القدس بالنسبة لهم. وقد بينا طبيعة تلك المعابد وأماكن تواجدها والطقوس التي كانت تقام فيها. والمدن الكنعانية التي تنتشر في كافة أنحاء فلســطين. وباعتبـار أن النـبي ابراهيـم عليـه السـلام شـخصية تاريخية ودينية مهمة فقد تحدثنا عن هجرته القسرية من العراق إلى فلسطين وكيـف استطاع أن يتواصل مع سكان المنطقة من خلال نشـره لعقيـدة التوحيـد ومـن ثـم انتقاله إلى مكة وبنائه للكعبة الشريفة لتكـون محجاً للنـاس جميعـاً تربطهـم بعقيـدة التوحيد لقد امتنعت التوراة عـن ذكـر علاقـة ابراهيـم عليـه السـلام بمكـة وبنائـه الكعبة وكان القصــد مـن وراء ذلـك تزييـف حقيقـة دينيـة كـبرى. لكـن القـرآن الكريم فضح ألاعيبهم وتزييفهم للحقيقة. فما كان ابراهيم يهودياً إنما كان موحداً

عالمياً. وربطت رحلته المستمرة بين فلسطين ومكة بين مقدسين إلهين. اختارهما ا لله وخصهما بالتقديس والمباركة. ثم جاء إسراء رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم من مكة للقدس ليؤكد اكتمال دائرة التوحيد التي بدأها ابراهيم عليه السلام بين مكة وبيت المقدس وقد تعرضنا لمدينة القدس عبر التاريخ والتسميات التي سميت بها وأسوارها وسكانها ومعابدها ومكانتها بالنسبة لأهلها الكنعانيين الذين سوروها وحافظوا عليها طوال تاريخها.

أما الفصل الثاني وهو من أهم فصول الكتاب فقد تناولنا مفهوم المقدس في التوراة. وبينا أن أسفار التوراة الخمسة لا تعير أي اهتمام لبيت المقدس ولا تأتي على ذكره مطلقاً إنما تركز على الوعد الإلهي المزعوم بمنح أرض فلسطين لهؤلاء الغزاة.

وحتى حين بدأ الغزو العبراني والتسرب السري إلى فلسطين لم تهتم نصوص التوراة بالقدس لأنها بقيت بيد أهلها الكنعانيين محصنة قوية. وتركز التوراة على أهمية القدس منذ تولي داود عليه السلام الملك وصارت تعتبر حصن صهيون أو قصر داود الذي يقع خارج أسوار القدس مدينة داود والمركز الاداري والسياسي لتلك المملكة المحدودة. وحتى هذه الفترة لا نعثر في التوراة على أهمية القدس لدى أتباع داود فهي مركز سياسي ليس أكثر. وحين يتسلم سليمان الملك تبدأ قصة بناء الهيكل تأخذ أبعادها. فالذين دونوا التوراة في العهد البابلي أثناء سبيهم من قبل البابليين ركزوا على أهمية هذا الهيكل وأنه صار بيتاً للرب. وعلى الرغم من ذلك فالتوراة تقول إن سليمان الذي كان قد تزوج ألف امرأة وضع لنسائه أصناماً وآلهة وثنية في هذا الهيكل يعبدنها كلٌ على طريقتها ومعتقدها. ولم يكن هذا الهيكل معبد توحيد بل كان معبداً وثنياً ليس أكثر.

ولقد أثبتت الكشوف الأثرية عدم وجود أي أثر لهذا الهيكل لأنه أساساً بني من خشب الأرز وتعرض حسب نص التوراة لعدة عمليات تدمير حتى أبيد عن

الوجود في العصر الروماني وحرثت أرضه ولم يعد أي أثر لأي بناء في المنطقة. ومع انقسام دويلة اليهود إلى قسمين أقام بعض المتهودين معبداً في منطقة نابلس على أنقاض معبد كنعاني وأطلقوا عليه معبد زربابل وصار أهم معبد في ذلك الوقت وهذا ما يدل على عدم أي ارتباط بين قدسية القدس وبين القبائل البدوية اليهودية.

ومع السبي البابلي راح أنبياء التوراة بدءاً من إرميا ومروراً بحزقيال ودانيال وغيرهم يركزون على القدس باعتبارها المجد التاريخي التليد لهم. لكن هؤلاء الانبياء جميعاً هاجموا معبد الرب الذي كان في القدس لأنه صار حسب ما شاهدوه معبد أوثان وماخور زناة ولصوص. وقد بشروا جميعاً بخرابه خراباً أبدياً. وذلك بسبب انحراف اليهود الكلي عن تعاليم رب التوراة.

لكن بدء العهد الفارسي وسقوط الدولة البابلية جعل اليهود يتحركون باتجاه فلسطين. وقد استفادوا من الوضع السياسي الجديد وعاونوا الفرس في القضاء على الدولة البابلية فكافأهم ملك الفرس كورش بعد أن زوجوه اليهودية إستير بأن أوعز لهم بالذهاب إلى فلسطين. وعلى الرغم من ذلك فقد ذهب بعضهم إلى فلسطين وظل الكثيرون منهم في المنطقة لما تمتعوا به من نفوذ مالي واقتصادي في ظل الحكم الفارسي.وحاول بعض من ذهب منهم إلى فلسطين أن يشيدوا معبداً على غرار هيكلهم الذي جاءت على ذكره التوراة لكن سكان الأرض الأصليين منعوهم وبعد محاولات دامت عشرين عاماً تمكنوا من بناء معبد صغير وتحت حماية الفرس. ولم يستقر الوضع الديني لهم حتى جاءت الحملات اليونانية بقيادة الاسكندر فحاولوا استرضاءه والتملق له. نفضوا أيديهم من الفرس ليتعاونوا مع الحملة اليونانية الجديدة. وهكذا هو سبيلهم طوال تاريخهم المتنقل وغير المستقر. وعندما جاء الرومان الوثنيون هدموا معبد اليهود الجديد وطرد أكثرهم حتى جاءت بعثة السيد المسيح فعادوا وحاربوه وحاولوا قتله لكن انتشار المسيحية حتى

أوروبا في القرن الثالث الميلادي أدى إلى تدمير ما بقي لديهم وشتتوا مرة أخرى. وهكذا حتى جاء الفتح الاسلامي. فلم يكن في القدس إلا القليل من اليهود فطلب أهل البلاد الأصليون طرد اليهود من بلادهم وطردوا نهائياً من المنطقة طيلة ألف وثلاثمائة سنة.

وتأتي الصهيونية اليهودية لتركب موجة التوراة وتدعي أن فلسطين أرض بلا شعب حتى حان الوقت المناسب. فتحالفت الصهيونية مع الغرب الصليبي منذ الحرب العالمية الأولى حتى عام ١٩٤٨ حين انقض الغزاة الغربيون والمتهودون وأعلنوا قيام الكيان الصهيوني. ومع حرب حزيران ١٩٦٧ تصبح القدس بأيديهم ويعلنون أنها عاصمة كيانهم الأبدية. وهذا ما سنجده في الفصل الثالث من هذا الكتاب وتساندهم الصهيونية غير اليهودية التي عمادها البروتستانت وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية وتلتقي المصالح. وتصبح القدس بنظر الصهيونيتين اليهودية والبروتستانتية مركز التوجه ضد العرب والمسلمين ومركز الانطلاق للانقضاض على الشعب العربي وأرضه واستعمارها، من جديد أما الفصل الرابع فقد خصصناه لدراسة مفهوم القدس والمقدس في الرؤية الاسلامية استناداً على آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وحاولنا إلقاء الضوء على سورة الاسراء وما الذي يعنيه ربط المسجد الحرام بالمسجد الأقصى وما الارهاصات التي تبشر المسلمين الموحدين بالنصر على المحتلين الصهاينة، معتمدين في ذلك التفسير اللغوي والتاريخي على ضوء ما درسناه أيضاً في التفاسير وفي المراجع التاريخية الاساسية والتي تتحدث عن تاريخ المنطقة العربية وخاصة القدس وكذلك المراجع في علم الآثار وما يقوله العلماء الآثاريون حول ذلك.

أما الفصل الخامس فقد حاولنا فيه إلقاء الضوء على بيت المقدس وأهمية المسجد الأقصى بالنسبة للمسلمين عبر أكثر من ألف وثلاثمائة عام وبيّنا الأهمية البالغة التي أولاها الخلفاء والولاة والقادة من المسلمين عرباً وغير عرب لمدينة

القدس وقدسيتها. وما أنشيء حول المسجد الأقصى من مدارس تعد بالعشرات ومن أماكن لاستراحة وسكن طالبي العلم القادمين من كافة أقطار العالم الاسلامي.

وأخيراً نرى أن الصراع حول القدس وفلسطين هو صراع مرير وطويل لأن القدس هي مركز الصراع القديم بين قوى الشر والبغي وقوى التوحيد والخير، وكذلك ستكون مركز الصراع القادم بين نفس القوى. في القدس سوف يكون الصراع الدموي على أشده ولأن الله سبحانه بشر عباده الموحدين بالنصر ولو بعد حين فإنه مهما طال أمد الصراع سيحسم بالنهاية لصالح أصحاب الحق الشرعيين من العرب والمسلمين.

﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾

صدق الله العظيم

والحمد لله رب العالمين

حسن الباش

آذار ١٩٩٧



تمهيـــــــــــــــد

شكلت القدس ومازالت تشكل في المنحى العقيدي أهم منطقـة في العالم وذلـك حسب العقائد الثلاث اليهودية والمسيحية والاسلام.. وعلى مدى التـاريخ سـجلت هذه المنطقة حوادث وصراعـات داميـة مستمرة كـانت أسـبابها متعـددة كمـا هـي نتائجها.

ولا شك أن الشعوب التي غزتها أو طمعت باحتلالها كان لها أسبابها العسـكرية والاقتصادية والتوسعية وما إلى ذلك من تنافس الامبراطوريـات القديمـة، وتصادمهـا حضارياً وعسكرياً. وقد أولى الباحثون هذا الجانب كثيراً من اهتمامـاتهم، فخرجـوا بنتائج وأسباب وأوضحوا ما كان غامضاً من التاريخ وجغرافية التاريخ.

وقـد تجمـع لـدى القـاريء عشـرات الكتـب التاريخيـة الـتي تتجـه في اسـلوبها ومعالجتها نحو توضيح أهمية ما أطلقـوا عليـه الديـار المقدسـة في فلسـطين وعلاقتهـا بالشعوب التي سكنت أرضها وبالشـعوب الـتي تعيـش ضمـن هـذا الحـوض العربـي الكبير وبالشعوب الطارئة التي قدمت من مناطق غير عربية واستوطنت فيها.

قـالت معطيـات التـأريخ -وفي غالبيتهـا غربيـة- إن فلسـطين أو أرض كنعـان تعرضت لغزوات كبيرة. كغزو الفلسطينيين لساحل فلسطين. والذين يطلـق عليهـم سكان الجزر اليونانية. أو كغزوالآشوريين والبابليين ومن ثم الفـرس والمقدونيـين ثـم الرومان. هذا فيما قبـل ميـلاد السيد المسـيح. ثـم تحدثـت المعطيـات عـن غـزوات الصليبيين والتتار في القرون الوسطى.

ولئن كانت غزوات الصليبيين أقرب إلينا من حيث وصول الحقائق والحوادث من أكثر من طرف مؤرخ فإن غموضاً كبيراً يكتنف فترات ما قبل التاريخ.مما جعل الباحثين يتناقضون أحياناً ويتفقون في بعض الأحيان.

ولاشك أن الباحثين المتأخرين أصبحوا أكثر عرضة للهوى القومي أو العقيدي أو حتى المصلحي مما مسح بحوثهم بمسحة عدم الموضوعية أو تزييف الحقائق واللعب بالمادة التاريخية حسب ما يمليه عليهم حسهم القومي أو الديني أو حسب ما تمليه عليهم مصالحهم الذاتية الصرفة.ولعل مسألة القدس من أكثر المسائل التي تعرضت في التاريخ لهذه الإملاءات لا سيما من قبل الباحثين الاوروبيين والمستشرقين الذين دأبوا منذ القرون الوسطى على تزييف التاريخ وقلب الحقائق يدفعهم في ذلك عداؤهم للعقيدة الاسلامية. وسيطرة الاساطير التوراتية على عقولهم ونفوسهم ودفع شعوبهم لاستعمار هذه الارض والسيطرة عليها.

ومن الجدير ذكره أن القارىء ما يزال تحت سيطرة المقولة الغربية بأن البحوث الصادرة عن الغرب هي البحوث الاكاديمية الموضوعية التي لا تجارى. وأنها هي المصادر الموثوقة التي يجب العودة إليها للحصول على المعلومة الصحيحة الحقيقية وهذا ما أفقد الباحثين العرب وغير العرب من المنصفين ثقتهم بأنفسهم وبأبحاثهم وكذلك الامر بالنسبة للمثقف العربي فقد بات وقدسيطرت عليه هذه المقولات الغربية حتى أصبحت لدى الكثيرين منزّلة من الأعلى، مما أدى إلى تسليم الانسان العربي لكل ما يقوله الغرب عن الأرض الفلسطينية وعن السلام.وحسن الجوار والوعود بالجنة الارضية.

ولعل العمل الجاد للحركة الصهيونية والاعلام الغربي أثمر ثمره في المجتمعات العربية والاسلامية وبات العقل العربي مهيئاً للغسل الثقافي كما هو مهيوء للغسل السياسي والاقتصادي والتاريخي.

هل أصبحت القدس أرضاً لليهود؟ وهل بات العقل العربي مقتنعاً بأن فلسطين ليست للعرب وحدهم؟ هل هذا هو الأمر الواقع؟

هل تقف حدود الصراع عند الجانب الوطني أو القومي؟ أم أن هناك صراعاً عقيدياً بدأ ولن ينتهي؟ أم أن الصراع العقيدي بات من الشمول النظري والعملي يضم في قلبه الجانب الوطني والقومي؟

ثمة تساؤلات كثيرة من حق أي مخلوق عاقل أن يسألها وذلك يفرضه الاحساس الداخلي لهذا المخلوق وكذلك الاحساس العقلي بالمستقبل إن صحّ التعبير.

منظرو الحركة الصهيونية يرون في القدس عاصمة (اسرائيل) الابدية وكذلك كافة اليهود الذين يستمدون هذه المقولة من مستندات تاريخية وايديولوجية خاصة بهم.واليهود مستعدون أن يشنوا الحرب تلو الحرب ولو أدى ذلك إلى تدمير المنطقة كلياً في سبيل بقاء القدس عاصمة لدولة اسمها (اسرائيل).

واقتضت المصلحة الغربية الاميركية الموافقة كلياً على هذه المقولة يدفعهم في ذلك فكر بروتستانتي يستند على مقولة (التوراة هو الاساس) ويجب العودة إلى نصية الحرف التوراتي. وإحياء التراث اليهودي المتميز.

والمسلمون المتنورون الملتصقون بالقدس روحيا وجغرافيا وتاريخياً يرون أن القدس أرض عربية إسلامية علاقتها وطيدة بالقرآن الكريم ولايمكن التفريط بها ولو أدى ذلك إلى حروب تستمر الزمن كله.

إذاً كيف تحل المعادلة؟

وفي هذا الاطار لا بد إذاً من العودة إلى التاريخ. لابد إذاً من العودة إلى المستند العقيدي الذي يستند عليه كل من اليهود والمسلمين.

وإذا كان التأريخ لعب لعبته وزيّف الحقائق فإن المستند الحقيقي ولاسيما التوراتي والقرآني يقف أمامنا شاهداً ومناشداً أن يوضّح بشكل دقيق وموضوعي بعيدٍ عن التزييف والخداع.

ونحن إذ نقف أمام التوراة تسعفنا نصوصه بشكل جيد لتوضح لنا الامور بما لا يدع مجالاً للالتباس أو الشك. وإذ يرى المسلمون أن التوراة التي بين أيدينا اليوم هي مزوّرة ومحرفة فإن اليهود يرفضون هذه المقولة رفضاً قاطعاً ويرون أن هذا التوراة قد كتب باصبع الله كما ورد في سفر الخروج.

وإذ يناطح اليهود لتثبيت رؤيتهم فنحن لن نكون على خلاف معهم.ونحن أمامنا هذا النص التوراتي نقرأه سفرا سفراً وصفحة صفحة وسطراً سطراً لنرى الحقائق ونرى التاريخ ونرى كل شيء ينطق ويفصح عن نفسه.

وكذلك الأمر عندما نضع آيات القرآن الكريم بين أيدينا تحاورنا ناطقة وتفتح لنا الافق لتزينا الحقائق والتاريخ وكل شيء ينطق ويفصح عن نفسه.

وإذا كان النص القرآني وكذلك النص التوراتي قد مضى على تدوينهما أكثر من ألف سنة فإنهما ما يزالان في عقولنا وبين أيدينا. وعلى أقل تقدير فإن التوراة ظل على حاله منذ ألف سنةإن لم نقل إنه ظل على حاله مع انتهاء الفترة الرومانية في فلسطين أي حوالي ١٥٠٠ عام تقريباً.

وفي هذا الاطار لابد من التوقف طويلاً عند علاقة القدس بالتوراة. متى ظهرت؟ كيف تطورت؟ وما هي سماتها الجغرافية والروحية وحتى سماتها الرومانسية. ماهي سماتها القدسية المرتبطة بالمقدس الالهي أو البشري؟

وكذلك الأمر بالنسبة للعلاقة بين القرآن الكريم والقدس . كيف ظهرت وكيف فُسرت ثم ماهو شأنها في العلاقة بين ماضيها ومستقبلها؟

وهل تصبح القدس مركز الصراع الكوني العقيدي كيف ولماذا وما هي القوى التي ستكون على طرفي الصراع؟

لقد أسست الصهيونية المعاصرة نظريتها على أسس مختلطة تجمع بين المستند التوراتي والمستندات السياسية والاقتصادية. وإن كان كثير من الباحثين يرون أن قيام (اسرائيل) وتركيزها في المنطقة ما هو إلا زرع لرأس حربة امبريالية تمثل الرأسمالية الغربية فإن ذلك صحيح ولكنه ليس الهدف الوحيد أو الأساسي. إنها ليست قاعدة متقدمة للامبريالية الاميريكية فحسب إنما هي في المنظور الاساسي البؤرة الأكثر تحدياً للتاريخ الاسلامي والفكرة الأكثر عداء للعقيدةالاسلامية. وهذا العداء لا يأتي بسبب الخلاف العقيدي بين عقيدتين إنما هو تناقض واسع بين منظورين سياسيين ومستقبلين مختلفين في الرؤية ومختلفين في الاسلوب ومختلفين في المنهج والسبيل.

لقد استفاد التنظير الصهيوني من معطيات التوراة دون أي اعتبار للتفسيرات التاريخية غير الصهيونية ودون أي اعتبار لكثير من الحقائق التي تناقض تماماً تلك المقولات.

وقد استطاع التنظير الصهيوني أن يثبت مقولة إن التوراة كُتبت بيد ا لله، وهي كلام ا لله وعلى الرغم من أن التوراة بما تضمه من أسفاروهي تسعة وثلاثون سفراً كتبت على مدى سبعة قرون إلا أن النظرة اليهودية بشكل عام ترى أن كل ما جُمع فيما يسمى العهد القديم هو ما يطلق عليه التوراة،وهو كتاب مقدس يرتبط با لله ارتباطاً وثيقاً.

وحتىيلجأ كافة الباحثين إلى المصادر الأساسية في التدوين التاريخي الديني فقد ركز منظرو الصيونية على فكرة أن التوراة هو الكتاب المدوّن الوحيد والذي وصلنا قبل أي كتاب آخر سيما أنه يتحدث عن التاريخ القديم مرتبطاً بالمقدس.

وهنا يكمن إصرار اليهود على ارتباط التوراة بما يسمى الأراضي المقدسة – القدس وما حولها– وهذا الارتباط قائم أساساً على التأسيس الكهنوتي اليهودي لتعاليم التوراة وحديثها عن مجريات التاريخ ومعالم الجغرافيا التي استند عليها التاريخ مكانياً.

والواقع أن الحركة الصهيونية وخاصة بعد قيام الكيان الصهيوني في فلسطين وجدت أنّ تمثّل الجانب التوراتي في تثبيت الكيان هو الأهم بين كافة الجوانب . فقيام الكيان نفسه مستنداً على مقولة الاستيطان الاستعماري أو مقولة القواعد العسكرية المتقدمةلم يعد يحتمل المبررات الدولية ولم يعد مقبولاً عالمياً بعد أن تغيرت أساليب الاستعمار وتغيرت وجوهه فجنوب افريقيا وعلى الرغم من حركة الاستيطان الغربية التي استمرت مئات السنين استطاعت أخيراً أن تعيد لنفسها وجهها الافريقي. لأن المستوطن الغربي لم يجد ما يبرر بقاءه تاريخياً أو تراثياً أو دينياً.

من هنا فإن المستند العقيدي لليهود المرتبط بشكل ما بالمستند التاريخي هو الذي يبقى في أسس الصراع . إلى حين يتصدى له النقيض المستند على المعطيات العقيدية.

لقد تراوحت رؤية الصراع بين العرب واليهود من الجانب الوطني أو القومي إلى الجانب الديني العاطفي البعيد عن الرؤية الفكرية ذات المنهجية القرآنية التي تربط بين المعطيات العقيدية والتاريخية والجغرافية، ولكثير من الاسباب غابت هذه الرؤية أو غيّبت. وهذا ما منح اليهود فرصة كبيرة لتثبيت مقولاتهم العقيدية والتاريخية المرتبطة بالقدس والرابطة بين التوراة والقدس وفلسطين، ولا شك أن الرؤية العقيدية الاسلامية للصراع حول القدس وفلسطين لم تظهر بشكل جلي وواضح إلا من خلال ما طرحته الأفكار الفردية لبعض المفكرين المسلمين ومن ثم خلال ما طرحته بعض الحركات الاسلامية في فلسطين.

ويجدر بنا أن نلاحظ أن النص التوراتي والنص القرآني أُخضعا في كثير من الاحيان لتفسيرات وتأويلات قد لا يحتملانه.ففي النص التوراتي يستطيع المتابع لمسلسل الاسفار أن يقرأ بوضوح ما إذا وُجدت موافقات أو متناقضات أو ثغرات . وفي ذلك ليس للتأويل مكان. أما في النص القرآني فيحاول -المحاولات مستمرة لا تتوقف- أصحاب الرؤية الاسلامية إيجاد روابط نصّية من القرآن الكريم تدعم مقولات الصراع والايمان المطلق بانتهاء هذا الصراع لصالح الطرف الاسلامي. ويستمر الاجتهاد الاسلامي في تفسير النص القرآني الذي يتجاوز أحياناً ما قدمه المفسرون المسلمون على مر القرون وذلك على اعتبار أن هذاالنص مفتوح وليس مغلقاً، ومن حق المسلمين أن يجتهدوا في كثير من قضاياه التي تحتمل التفسير والتأويل.

وهذا ليس معناه أن النص القرآني المكشوف والمتعلق بالقدس وفلسطين يبتعد أو يوغل في الغرابة بحيث يجعل الباحث في مأزق التفسير والتأويل ليفتش عما يدعم وجهة نظره إنما النص القرآني في صورته الاساسية كما جاءت في كتاب ا الله الكريم تمنح القاريء أو الباحث اطمئناناً واضحاً لمعرفة الاتجاه المبدئي في الصراع بين الرؤية الاسلامية والرؤية اليهودية. ولكن بسبب استمرار الخلاف في التفسير والتأويل والاسقاطات بين المسلمين أنفسهم دفعهم أكثر وأكثر باتجاه إيجاد هوامش إضافية تفسيرية تسند المقولة الاساسية وتدعّم موقفها. وقد نجد أن هذا الاتجاه أو ذاك حمّل النص القرآني أكثر مما يحمل. أو أنهم أباحوا لأنفسهم رسم الصورة الكلية للصراع

من خلال تفسير المفردات والتركيبات القرآنية تفسيراً يخدم الهدف الاساسي لرؤية الصراع.

وعلى مدى الخمسين عاماً الماضية شهدت فلسطين جولات من الصراع كان الطرف اليهودي فيها أو غالبيتها المنتصر والأقوى.

ولاشك أن أدوات الانتصار والخسارة كانت في المنظور المادي وفي الميزان البشري تشير دوماً إلى تفوق القدرة اليهودية على القدرة العربية مجتمعة. وقد اعتبرت أسباب الصراع أسباباً جغرافية يحكمها المنظور القومي حيناً والمنظور الوطني حيناً آخر، والمدقق في دوافع الصراع العربي اليهودي يجد اختلالاً واضحاً في الرؤية بين الطرفين فالجانب العربي غيّب الرؤية القرآنية واعتبرها أمراً غير واقعي لا يتماشى مع معطيات الصراع المادي العسكري وغيره. وفي هذا المنظار لم تشكل القدس أية أهمية خاصة أو استثنائية ، بل اعتبرت أرضاً احتل جزء منها وهي تراب وحدود وتواجد سكاني عربي. أرض عربية احتلت وتشبث المحتل بها وطرد أهلها وسكانها وهدم بعضاً من معالمها وإذا ما زيد في هذه الرؤية أضاف أصحاب الرؤية القومية أو الوطنية مقولةإن القدس ترتبط بتراثنا الديني فهي مهد المسيح ومسرى محمد صلى ا لله عليه وسلم.

أما الجانب اليهودي فإضافة لكل مقولاته المادية التي طرحها كمبررات للاحتلال فإنه أولى الجانب العقيدي الاهمية الاكبر. فالقدس أرض وعد ا لله بها شعب اليهود. ولم تعرف القدس في التاريخ القديم عقيدة أخرى سوى عقيدة اليهودية. وهي أول أرض أقام فيها أبرز ملوك بني (اسرائيل) وأنبيائهم، ولذلك فإن معطيات الصراع مهما بلغ من عنف لا يمكن إغفالها أو التنازل عنها لأنها أساساً تستند على علاقةا لله بالأرض وعلاقة ا لله بشعب اسرائيل. وبهذا المعنى فإن الارتباط العضوي الذي صنعه منظرو الصهيونيةبين اليهود والقدس يستند على مسلمة إلهية قدرية، ينفذها على الأرض الشعب المختار بأمر إلهي لا مردّ له ولا انحياز عن خطه.

ولعل هذا التركيز اليهودي على هذه المقولة هو الذي منح اليهود قيمة التشبث بأرض القدس. ويصبح لدى اليهودي اقتناع راسخ أن لا قيمة لكيان اسرائيل بدون القدس ولا قيمة للقدس بدون الشعب اليهودي.

وبهذا استطاع بناة الكيان الصهيوني خلق جيل من اليهود الذين لا تفارقهم الرؤية العقيدية للقدس . وبهذا استطاعوا أن يرجحوا كفة الميزان لصالحهم إن كان ذلك على المستوى النظري التنظيري أوالاعلامي والتربوي الداخلي والخارجي وعلى مستوى الثقافة الخاصة التي فرضوها حتى في أوساط المجتمعات الغربية جميعها.

والجانب اليهودي يرى من خلال هذه الرؤية أن لليهود حقاً إنسانياًلتحقيق حلم ظل ملتصقاً بهم على مدى ألفي عام وأن المطلب ببقاء الأرض بين أيديهم هو مطلب شرعي ونبيل.

ولا شك أن هذا الجانب المستند على المقولات التوراتية يصبح في حالة من الحالات حسّاً رومانسياً يتلبسه الحب والوجدان تماماً مثلما يتلبسه الجانب التاريخي والعقيدي.ولا شك أن هذه الحالة اليهودية تستدعي السؤال عن مدى تواجد هذا الحس في الطرف الآخر من الصراع وهو الجانب الاسلامي.

صحيح أن هناك مستنداً قرآنياً دينياً ولكن أيضاً في تجليات الوجدان الاسلامي تشكل القدس مكاناً جغرافياً رومانسياً، فالجانب العقيدي نفسه منح الجانب الاسلامي ارتباطاً روحياً وجدانياً تختلط معالمه بمعالم الجانب القرآني العقيدي.

ومن الواقعي في هذه الحال أن يصبح الصراع المحتدم والذي سيكبر احتدامه مستقبلاً مأسوراً كلياً لعملية فناء طرف من طرفي الصراع، لأنه لا يمكن أن تحلّ المسائل الصراعية بهذه السهوله كون المتصارعيْن يتمسكان بمشروعية الحق المستند على أسباب هي نفسها لدى كل طرف ، وهذا ما يحتم الصراع حتى فناء أحدهما وليس هناك بدائل أو غيرها لأن المسألة ليست فقط مسألة تراب جغرافي مجرد.إنها مسألة المقدس الالهي العقيدي، ومسألة المقدس النفسي الوجداني ومسألة المقدس التاريخي المتواصل والمترسخ في العقل والوعي.

إن خمسة آلاف عام من التواجد الفلسطيني في الارض العربية الفلسطينية، وكذلك إن أربعة آلاف عام من التجليات التوحيدية في أرض فلسطين، وكذلك إن

ألفاً وأربعمائة عام من إرهاصات النص القرآني بشأن القدس. إن هذا كله يختزن في العقل العربي الاسلامي. اختزاناً ليس قابلاً للمسح أو البتر أو التغيير.

وما ينطبق على الجانب الاسلامي ينطبق على الجانب اليهودي. فهناك التواجد اليهودي على أرض فلسطين.وهناك مقولات النص التوراتي. وهناك التلبّس للعقل اليهودي من قبل الذكريات الممتدة مئات السنين والتي لا تنفصل عن هذا الحلم الذي يسمى القدس وأرض الميعاد.

إن أية حلول لقضية القدس لا تخرج عن دائرة الاصرار اليهودي ببقائها عاصمة أبدية لدولة (اسرائيل). وهذا ما سينفي قطعياً أبدياً مجرد تفكير العرب بتنازل اليهود عن القدس مهما تم من اتفاقات ومهما ابتدعوا من أساليب الترويض العقلي أو النفسي وما من شك أن الطرف العربي خاصة ذلك الذي وقع الاتفاقات مع الكيان الصهيوني على الصلح والتطبيع لن يكون جدياً بالمطالبة بعودةالقدس إلى ما كانت عليه قبل عام ١٩٦٧ لأن ذلك لا يعنيه على المستوى العقيدي إلا بقدر هامشي ضعيف. ولعله تحت مظلة العناد الصهيوني والتوجه الغربي الاميركي الضاغط سيتنازل حتى عن الحديث النظري بشأن القدس. فهو محكوم لاتفاقات صلح، تقيده أو يقيّد نفسه بها. وطالما أن الاتفاقات بين هذا الطرف والطرف الصهيوني أملتها الارادة الصهيونية ووضعت بنودها وشروطها، وطبيعي أن توقيع هذه الاتفاقات استثنى موضوعة القدس أو أُجل البحث فيها لأجل غير مسمى، وفي كافة الحالات فإن توقيع هذه الاتفاقات يعني التنازل عن القدس تنازلاً كلياً دون أي اعتبار لمعطيات النص القرآني، أو لمعطيات التاريخ والجغرافيا. وواقع الأمر أن التنازل عن القدس عملياً قد تم منذ زمن بعيد وذلك بسبب تهميش البعد العقيدي للصراع إن لم نقل نفيه. والجانب الصهيوني يدرك هذه المسألة تماماًويعرف أن تغييب الجانب العقيدي الاسلامي المرتبط بالقدس هو الحل الامثل لديمومة بقاء الكيان في القدس بقاءً لا تحده أية حدود زمنية.

ولعل أكثرما يقلق الكيان الصهيوني الآن هو بروز التيازات الاسلامية الجهادية التي ترى أن الصراع على القدس وفلسطين هو صراع عقيدي بالدرجة الاولى، ولهذا يحاول الصهاينة على كافة المستويات المحلية والعربية والدولية حشد القوى

البشرية والاعلامية والثقافية وغيرها للقضاء على التوجه الاسلامي الجهادي المستند في صراعه على البعد القرآني العقيدي.

وإذا كان أصحاب هذه الرؤية قد تعرضوا لضربات ميدانية على قوات الكيان الصهيوني والأنظمة التي وقعت اتفاقات الصلح معه وسلطة الحكم الذاتي الفلسطيني فإنهم على المستوى التنظيري استطاعوا الانتشار فكرياً وأصبح الايمان بالحل العقيدي للصراع هو السائد لديهم. وبسبب ظروف كثيرة أدت كلها إلى نكسات على المستوى القومي العربي والوطني فإن التوجه نحو الحل العقيدي للصراع يصبح الملاذ الأهم لكافةمن تضرروا من أبناء الفلسطينيين والعرب لاسيما الذين استثنت اتفاقات الصلح عودتهم إلى أراضيهم ووضعتها في زاوية هامشية أطلق عليها مشكلة اللاجئين . إن بوادر الصراع العقيدي ظهرت منذ أكثر من عشر سنوات. وهي مهيئة للامتداد والانتشار والصدام، تمهيداً لاستنهاض المسلمين وفصل المعركة النهائية.

الفصل الأول

القدس في التاريخ القديم

القدس جزء من أرض فلسطين. ودراسة أرض فلسطين ككل استندت ومازالت تستند على منهجين متباينين في الأهداف والغايات وفي الوسائل والأدوات.

المنهج الأول يقوم أساساً على معطيات علم الآثار بمعزل عن مدونـات التـوراة. وفي هذا المنهج يسـتند البـاحثون على مكتشـفات تـل العمارنـة بمصـر، واللوحـات البابليــة والآشــورية في العــراق، والآثــار والمكتشــفات في رأس شمــرا وإيبـــلا في سورياوبعض المكتشفات الاثرية في فلسطين.

ويقوم المنهج الثاني على اخضاع كل المكتشفات لمقولات التوراة. وهذا المنهـج اتبعه غالبية المستشرقين والجمعيات الاوروبية المتخصصة بشـؤون الأراضـي المقدسة (فلسطين) ومما يُستدل أن المنهج الاستشـراقي سبق المنهـج الآخـر بسـنوات طويلـة وهذا ما جعل كافـة البـاحثين يقعـون تحـت تأثـيره وترديـد مـا يقولـه. إلى أن بـدأت المكتشفات الأثرية تعطي ثمارهـا وتدحـض المزاعـم الاستشـراقية. وكـان لمكتشـفات رأس شمرا -أغاريت- في شمال سـورية الأثـر الكبـير في القـاء الضـوء علـى الشـعب العربي الكنعاني. عاداته ومعتقداته وطبيعة حكمه وما إلى ذلك من مكونـات الحيـاة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لديه.

وأضـافت مكتشـفات تـل العمارنـة في مصـر أضـواء جديـدة علـى العلاقـة بـين فلسطين والفراعنة في مصر.

وقد اكتشفت أيضاً ألواح في بـابل ونينـوى وغيرهـا مـن منـاطق مـابين النهريـن وأعـالي الفـرات أظهـرت العلاقـات بـين الامبراطوريـات المتعاقبـة هنـاك مـع فلسـطين وشعبها.

ولما كانت فلسطين تقع وسطاً أو طريقاً بين حضارة الرافدين وسوريا وبين حضارة وادي النيل فكان لابد لهذه المنطقة من التأثر المباشر بالصراع العسكري والتوسعي والنفوذي الدائر بين الامبراطوريات القديمة.

وكون فلسطين تقع على ساحل المتوسط المفتوح أمام الشعوب الاوروبية القديمة كاليونان والرومان فكان لابد أيضاً من تعرضها للتأثر والتأثير.

وبمعنى آخر فالناظر إلى مكان فلسطين جغرافياً يرى أنها تصبح مركز التقاء المتصادمين من أبناء الشعوب القديمة وهكذا كان شأنها فعلاً حسب ما منحتنا إياه المدونات الأثرية في كثير من مناطق الشرق القديم. وهذا أيضاً ما يدلل عليه تاريخ الصراع المتأخر. أي بعد الميلاد وصولاً إلى العصر الحديث.

وقد دلت معطيات التاريخ وعلم الآثار أن الكنعانيين العرب اعتمدوا في توسعهم العمراني ونظامهم الاجتماعي السكني على بناء المدن الممالك. فكل مدينة كانت تشكل مملكة صغيرة . وفي بعض الحالات يقوم تحالف بين هذه الممالك برئاسة أحد الملوك وهذا ما أشارت إليه مدونات أوغاريت التي تحدثت عن تحالف للممالك الكنعانية حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد.

وقد انتشرت المدن الكنعانية الكبيرة والصغيرة في انحاء فلسطين ولا سيما وسطها وشمالها ويرى بعض الباحثين أن المدن الكنعانية كانت عبارة عن مستوطنات منقسمة إلى دويلات صغيرة محصنة على غرار دويلات المدن في جنوب العراق. وكانت هذه الدويلات في نزاع وحروب فيما بينها في الغالب فاضطر بعضهاإلى التمركز في سفوح جبل لبنان للاحتماء بها. وهكذا نشأت أهم المدن الكنعانية في سفوح الجبال على السواحل. وقد أطلق اليونانيون على سكان الجبال من الكنعانيين الفينيقيين. وكانوا يمارسون التجارة والصناعة في حين أن المدن الداخلية

كانت تحترف الزراعة وخاصة زراعة الأشجار في الغالب. وكان الفينيقيون يتسمّون بالكنعانيين وظلوا على هذه التسمية حتى عهد الرومان[1]

وجاء في مخطوطات تل العمارنة أن الأمير المصري الفرعوني سنوحي زار أرض كنعان عام ٢٠٠٠ ق م ووصف أرضها بقوله: «فيها العنب والتين وفيها الخمرة الغزيرة كالماء وفيها العسل المتدفق والزيتون الكثيف. وعلى أشجارها تنبت كل أنواع الثمار»[2]

وإشارة الأمير (سنوحي) تدل على أن فلسطين أرض مزدهرة بالزراعة وتدل على أن سكانها كانوا مزارعين ومربين للماشية وتجارا فالتنقيبات الأثرية التي اكتشفت في هذه الأرض تدل على وجود أسلحة من البرونز والنحاس المجلوب من بلاد الاناضول.

وقد وردت أسماء كثير من المدن الكنعانية القديمة في كتابات تل العمارنة والكتابات الاشورية.

من هذه المدن عكّو – عكا الحالية. وأكزيب. الزيب الحالية. وقانة وصور وصرفند وصيدون(صيدا)

وقد وردت أسماء مدن فلسطينية قديمة في مكتشفات تل العمارنة المصرية..

فمدينة نابلس الحالية حرف أسمها عن اسم يوناني (نيابوليس) الذي يعني المدينة الجديدة. ويُذكر أن الكنعانيين اختاروها عاصمة لهم في وقت من الأوقات بسبب وقوعها في وسط فلسطين. وكان سكانها يتألفون من الحويّين وهم قبيلة من القبائل العربية الكنعانية وقد أطلق عليها اسم شكيم.[3]

---

(١) Universal. Encyclopedia.vol. 11,p651 نقلاً عن كتاب العرب واليهود في التاريخ د. أحمد سوسة ص١٩ .

(٢) روجيه غارودي. فلسطين أرض الرسالات السماوية ص٤١

(٣) عبد الحكيم ذاالنون- تاريخ فلسطين القديم ص ٤٢

أما عسقلان فهي أهم مدينة بناها الفلسطينيون القدماء وقد حصنوها أمام غزوات اليهود عشرات السنين. وتقول بعض المصادر المقربة من التوراة إنها وقعت بعد ثلاثمائة سنة من إنشائها في يد النبي داوود عليه السلام. وتقول بعض الدراسات استناداً على ما جاء في التوراة أن داود هاجمها بأسلوب الخداع والحيلة واستولى عليها. لكن الفلسطينيين أعادوها وحرروها مرة أخرى.

وإلى جانب عسقلان أسس الفلسطينيون أربع مدن كبيرة وهي غزة وجت وأسدود وعقرون وقد كانت كلها على الساحل عدا مدينة (جت) فقد كانت داخلية قياساً بالمدن الساحلية.

وقد انتشرت المدن والقرى الزراعية الصغيرة في كافة أنحاء فلسطين. وعندما كان يداهمها الغزاة فإن السكان يلجأون إلى المدن المسوّرة والحصون حيث يصعب على الغزاة اقتحامها والفتك بسكانها.

ومدينة (جازر) يعود تاريخها إلى ثلاثة آلاف عام وتعني – نصيب – وقد عجز الغزاة العبرانيون عن احتلالها بسبب قوة تحصينها ودفاع أهلها الكنعانيين عنها.

جت: وتعني معصرة وتقع في الداخل وقد سكنها العناقيون ويُقال أن جوليات الفلسطيني الجبار قد ولد فيها. وكانت حصناً من حصون الفلسطينيين وموقعها الحالي هو تل يدعى عراق المنشية على بعد ١٠ ك م غرب بيت جبرين وكان ملكها يدعى أخيش وهو ابن (معوك) الذي حكمها قبله. والتوراة تأتي على ذكرها مراراً وتقول إن داود هرب إليها مرتين ، ففي المرة الأولى تظاهر داود بالجنون لخوفه على نفسه من القتل، وفي المرة الثانية لجأ داود إلى أخيش فرحب به بسبب العداوة بينه وبين شاؤل ملك العبرانيين. وتقول مصادر التوراة إنه لما اجتمع الفلسطينيون للحرب ضد شاؤول أراد أخيش أن يصطحب معه داود للحرب ضد شاؤول لكن رؤساء الفلسطينيين عارضوا ذلك لكون داود ينتمي إلى الاسرائيليين ويخافون من غدره.

غزة: وهي أبعد مدينة فلسطينية إلى الجنوب وواحدة من أقدم عشر مدن في العالم. سكنها الكنعانيون بعد أن بنوها. وكان الاسكندر المقدوني قد نكّل بأهلها لأنهم رفضوا الاستسلام إلا بعد حصار طويل وقد هدم أسوارها.

يافا: وهو اسم كنعاني معناه – جمال– وهي مدينة قديمة تقع على المتوسط وعلى بعد ٣٥ ميلاً إلى الغرب الشمالي من القدس وتقع على رأس علوه ١١٦ قدماً. يشرف من قمته على منظر بهيج من شاطيء البحر. وتعد يافا من أقدم المدن في العالم. وقد احتلها تحوتمس الثالث فرعون مصر، وذكرت في لوحات تل العمارنة وكانت مركزاً إدارياً محلياً من عام ١٥٥٠ – ١٢٥٠ ق م ولم تخضع المدينة للغزو العبراني حتى جاء داود فاحتلها حسب قول التوراة.

أريحا: وفي الكنعانية يريحو وتعني مدينة القمر. وهي من أقدم المدن في العالم باقية إلى هذا الوقت ومن المعلوم أن أحد آلهة الكنعانيين يدعى ياريح أو ياريخ وهو إله القمر.

شوتم: وهي مدينة كنعانية تقع مقابل جبل جلبوع وهي قرية سولم الحالية.

صفاة: ومعنى صفاة (برج حارس.وهي مدينة كنعانية تقع في جنوب فلسطين عند حدود آدوم.

عكا: وفي الكنعانية عكو. ومعناها رمل ساخن وهي إحدى أقدم مدن الكنعانيين وقد اتخذوها قاعدة عسكرية لهم واستفادوا من خليجها.

عمورة: ومعناها غرق. وهي بلدة كنعانية تقع في غور الاردن.

عناثوث: وهي جمع عناث وهي مدينة كنعانية على بعد ميلين ونصف من القدس واسمها الآن عناتا.

قرية أربع: اسم كنعاني معناه مدينة أربع واسمها المشهور حبرون. وسميت كذلك لأنها تألفت من أربعة أحياء. وقد استخدم الصهاينة الاسم نفسه – كريات أربع.

قرية سنة: ومعناها مدينة النخل وهي مدينة كنعانية قديمة.

بعاريم: ومعناها مدينة الغابات وهي مدينة كنعانية احتلها الجبعونيون.

قطرون: وهي مدينة كنعانية بقي فيها الكنعانيون رغم الغزو العبراني وهي الآن قرية تل الغار وتقع جنوب حيفا بسبعة أميال.

لُوَز: وهي مدينة كنعانية معناها لُوز ثم دعيت بعد ذلك بيت إيل وهي قرب القدس.

مادون: وهي مدينة كنعانية ومعناها خصومة وكان يحكمها ملك ويرجح أنها قرية مادين.

مجدو أو مجدون: وهي مدينة كنعانية يدعى ملكها سيسرا وهذا الملك ذكر في التوراة. ومكانها اليوم هو تل المتسلم. وأثبتت الكشوفات أن آثارها تعود إلى أربعة آلاف عام ق م وتدل نقوش المدينة على الثقافة العالية والتحضر الراقي اللذين تميز بهما الكنعانيون.

بعشترة: مدينة كنعانية تعني بيت عشتاروت وهي مدينة في منطقة بيسان.

بيت عناة: مدينة كنعانية تعني بيت الالهة عناة وهي اليوم قرية تبعدثلاثة عشر ميلاً شرق عكا.

بيت عنوت: ومعناها بيت الالهة عناة وهي اليوم تبعد حوالي اثني عشر ميلاً شرق الجليل واسمها اليوم بيت عانون وهي غير بيت عناة.

جبعون: وكانت المدينة الرئيسية للحوّيين من أهل كنعان.

جرار: وهي مدينة فلسطينية في الجنوب تقع على بعد ثمانية أميال جنوب شرق غزة، سكنها الفلسطينيون، وأتى إليها النبي ابراهيم مع ابنه اسحق بسبب الجوع وكان ملكها ابيمالك حسب ما تقوله التوراة. وموقعها الآن على بعد ١٩ ميلاً إلى الجنوب الغربي من بيت جبرين.

حاصور: وهي عاصمة مملكة الكنعانيين في شمال فلسطين. وكـان يحكمهـا ملـك يدعى يابين ثم حكمها ملك آخر بالاسم نفسه، وربما كانت اليوم تـل القـدح علـى بعد أربعة أميال غرب جسر بنات يعقوب، وقد اكتشـفت بقايـا المدينـة مـن العصـور الكنعانية.

حبرون: وسبق أن تحدثنا عنها وهي مدينة الخليل كان أحـد ملوكهـا الكنعـانيين يدعى هوهام وقد تحالف من أربعة ملوك ومع أدوني صادق ضد الغزاة الذيـن كـان يقودهم يوشع بن نون.

دُور: وهي مدينة كنعانية ومعناها مسكن وهي على ساحل المتوسط تبعد مسافة ثمانية أميال شمال بلدة الطنطورة الساحلية قرب حيفا.

أسدود: ومعناها القوة أو الشـدة أو الحصـن. وهـي إحـدى مـدن الفلسـطينيين الخمس الرئيسية. وكان الإله الرئيس فيها هو (داجون) إله الحبوب والمحاصيل. ظـل العناقيون فيها حتى بعد الغزو العبراني لجنوب فلسطين. وقـد انتصـر الفلسـطينيون على الغزاة في إحدى المعارك وحملوا معهم ما يسمى تابوت العهـد أو تـابوت الـرب إلى أسدود ووضعوه في هيكل معبد داجـون. وتقـع المدينـة في منتصـف الطريـق بـين غزة ويافا.

القدس أو أورشاليم:

إن أول اسم أطلق على القدس هو يبوس نسبة إلى اليبوسيين الكنعانيين والذين نشأوا في الأساس في قلب الجزيرة العربية ثم نزحوا عنها مع من نزح حوالي ٣٠٠٠ -٢٥٠٠ ق م ويقال أن الملك سالم اليبوسي بناها وأقام تحصيناتها. وقد كان أول من اختطها من ملوك اليبوسيين (ملكي صادق) الذي عرف عنه أنه كان محباً للسلام حتى أطلق عليه ملك السلام ومن هنا جاء اسم أور سالم. وعرفت المدينة باسمها الكنعاني أور سالم. ويشير الاستاذ أولمستر الخبير بتاريخ فلسطين القديم أن الكنعانيين وضعوا أول شريعة في شكيم (نابلس) ثم نقلت إلى القدس ونقل إليها تشريعها.

وقد ورد اسم أورشليم (أور سالم في الكتابات الكنعانية التي تعرف برسائل العمارنة. وهذه ترجع إلى القرن الخامس عشر ق.م أي ماقبل ظهور مدونات التوراة بأكثر من ألف عام. كما ورد اسم (يابيثي) في الكتابات المصرية الهيروغليفية. وهو تحريف لاسم يبوس. الاسم الذي كانت تعرف به أورشليم نسبة إلى سكانها اليبوسيين قبل عهد النبي موسى عليه السلام بعدة قرون، فتسمية أورشاليم التي يحاول الصهاينة اليوم عدها من الاسماء العبرية (بمعنى اليهودية) هي في الحقيقة كلمة كنعانية آرامية أصيلة، وردت بهذا الاسم في النصوص الكنعانية التي وجدت في مصر قبل ظهور النبي موسى، ثم بعد أن ظهر اليهود وتكونت لديهم اللهجة العبرية المقتبسة من الآرامية صار اليهود يسمونها بالعبرية (يروشلايم) لذلك يرى بعض الباحثين أن دعوى أن اسم أورشليم عبري الأصل (بمعنى يهودي) دعوى باطلة لا تستند إلى مصدر تاريخي بدليل ورود الكلمة في الكتابات الكنعانية قبل أن تتكون اللهجة العبرية والمدونات العبريةبأكثر من ألف عام كما تقدم وقد ذكرها العرب في أشعارهم بهذه التسمية فقالوا (أورشاليم)

وقد جاء علماء الآثار ليثبتوا أن يبوس – القدس قد بنيت قبل عام ١٨٠٠ق.م.

تقول كاثلين م. كينون عالمة الآثار البريطانية (وقدأقام اليبوسيون على المنحدر الشرقي عدة مصاطب مدعّمة بأسس حجرية ضخمة. وهذه المصاطب تلفت النظر. وتشكل عملية بناء ضخمة ولكنها لم تكن مستقرة لأن أي انهيار في الجدار الداعم يؤدي إلى انهيار البناء الذي خلفه.[1]

وفي نحو ٢٠٠٠ ق.م بنى أهلها اليبوسيون نفقاً تحت الأرض في الصخر يصل بين المدينة وعين أم الدرج مما يسهل وصول السقاة إليها. ويفيدهم أيضاً في أوقات الحصار ، والنفق المذكور أقدم ذكر عثر عليه حول الحصول على المياه من العيون والآبار المجاورة للمدينة للقدس.

ومنازل مدينة السلام بنيت من الحجارة وكانت كغيرها من منازل الكنعانيين صغيرة. تتألف من طبقة واحدة. لها في وسطها باحة وحولها الغرف والمدخل في صدر الباحة وأحياناً يكون في وسطها بئر تتجمع فيه مياه الامطار.

وكان السكان يأخذون حجارة البناء من الأحجار الكلسية البيضاء لليونتها وسهولة نحتها ولوجود هذه الحجارة في أعماق الصخور، تمكن اليبوسيون من حفر الاحواض الكثيرة والانفاق مما كان له شأن في تاريخ بلدهم وقدرت مساحة البلدة بين ١٦ –١٨ فداناً وقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن أشهر ملك حكم يبوس أومدينة السلام هو المدعو ملكي صادق. ويقال إنه وجماعته كانوا من المعتقدين بالتوحيد وقد قال في ذلك المؤرخ ابن العبري صاحب كتاب الانس الجليل بتاريخ بيت المقدس (وأما مدينة القدس فكانت أرضها في ابتداء الزمان صحراء بين أودية وجبال وهي خالية لا أبنية فيها ولا عمران ومما حكي في تواريخ الامم السالفة أن ملكي صادق نزل بأرض بيت المقدس وقطن بكهف في جبالها يتعبد فيه واشتهر

---

(١) د. أحمد سوسة – العرب واليهود في التاريخ ص:– ب ب

أمره حتى بلغ ملوك الأرض الذين هم بالقرب من أرض بيت المقدس بالشام وسدوم وغيرهما وعدتهم إثنا عشر ملكاً فحضروا إليه فلما رأوه وسمعوا كلامه اعتقدوه وأحبوه حباً شديداً ودفعوا له مالاً ليعمر به مدينة القدس فاختطها وعمرها وسميت بيت السلام فلما انتهت عمارتها اتفق الملوك كلهم أن يكون ملكي صادق ملكاً عليهم وكنوه بأبي الملوك فكانوا تحت طاعته واستمر حتى مات بها).

وقد أشار مؤلفو قاموس الكتاب المقدس ٢ / ٩٢٢: (والظاهر أن ملكي صادق كان محافظاً على سنة الله بين شعب وثني ولذلك كان له الاسبقية على ابراهيم وعلى الكهنة الذين تسلسلوا منه)

وقد أشار كتاب التوراة إلى أن ابراهيم عليه السلام التقى ملكي صادق فجاء في سفر التكوين الاصحاح ١٤ - الآية ١٨ (وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلي وباركه. وقال مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض).

ويقال: اتخذ ملكي صادق صديق خليل الله ابراهيم بقعة الحرم الشريف معبداً له. فكان يقدم ذبائحه على موضع الصخرة المشرفة. وبذلك يكون العرب الكنعانيون أقدم من قدس وتعبد في هذه البقعة صلوا فيها ودعوا ربهم عندها وذلك قبل أن يقوم سليمان بن داود ببناء مايسمى هيكل بما يقرب من ألف سنة.

وقد بنيت مدينة القدس القديمة على تلال الضهور المطلة على قريةسلوان إلى الجنوب الشرقي من الحرم الشريف. محاطة بثلاثة أودية حيث يسهل الدفاع عنها. وفي أسفل الضهور تقع عين أم الدرج النبع الوحيد الذي يقع في القدس القديمة، ويرى العلماء أن البشر سكنوا هذه المدينة القديمة منذ العصر الحجري القديم العصر الذي ينتهي في نحو عام ١٢٠٠ ق.م.

والوديان الثلاثة التي تحيط بالمدينة من جهاتها الشرقية والغربية والجنوبية هي:

١ – وادي جهنم: اسمه القديم قدرون. كلمة ربما كان معناها أسود وأما العرب فيسمونه وادي سلوان ووادي ستي مريم. ووادي النار. يبتديء وادي جهنم على بعد ٢٥٠٠ متر إلى الشمال الغربي من القدس بالقرب من الشيخ جراح ويسير إلى الجنوب الشرقي إلى أن يصل إلى زاوية السور الشمالية الشرقية. عرض نحو ٢٠٠ ياردة ثم ينحدر بين جبل الطور والمدينة ويستمر في انحداره إلى مار سابا حيث يسمى وادي الراهب وأخيراً ينتهي في البحر الميت وهناك يعرف بوادي النار وتجري المياه في وادي سلوان هذا مدة الشتاء والربيع. ولكنه يجف في الصيف ويتصل عند طرفه الجنوبي بوادي الربابة.

وهناك وادي الربابة: ووادي الوادي – أو الواد. وهذه الأودية الثلاثة التي تحيط بالمدينة القديمة من جهاتها الثلاث كانت تؤلف خطوطاً دفاعية طبيعية تجعل اقتحامها أمراً صعباً جداً في الأيام القديمة. أما من الشمال فكانت مكشوفة مما جعل الغزاة على مر العصور يأتونها من الشمال.

وقد أجرى علماء الآثارحفريات خارج السور الجنوبي الشرقي من الحرم الشريف للبحث عن قلعة اليبوسيين. وكانوا على التوالي (وارن) عام ١٨٦٠ و(بلس وديكي) عام ١٨٩٠ وبعد ذلك بثلاثين عاماً قام (مكلستر) بتنقيبات ثالثة.وواضح من هذه الحفريات أن السفح الذي ينحدر إلى وادي سلوان حتى عين أم الدرج كان موقعاً للسور الروماني الذي قام على أسس يونانية لا تتجاوز القرن الثالث ق.م كما عثروا على الآبار والصهاريج التي تعود إلى العهد الروماني سنة ١٣٥م.

وفي عام ١٩٦٠ بدأت الآنسة كاثلين كينون حفرياتها في الموقع الذي سبق وأجرى الحفريات فيها ملكستر ومن سبقه من علماء. توسعت كينون في الحفر نحو الشمال إلى أن وصلت إلى سور يمكن إرجاعه إلى سنة ١٨٠٠ق.م وهو السور اليبوسي الذي وقف في وجه الغزو اليهودي.

وقد حرفت الامم القديمة اسم مدينة السلام في نقوشهم التاريخية . فذكرها الأكاديون أورسالم. وفي نقش مصري قديم يرجع إلى القرن التاسع عشر ق.م ورد اسمها فيه أورشاميم. وذكرها اليونان والرومان هيروساليم والغرب بـ جيروزاليم.

وقد تحدثت بعض المكتشفات الأثرية في مصر عن أرض كنعان وعن علاقات متعددة بين المصريين القدماء وسكان فلسطين.وأقدم ماوصلنا من أخبار الفراعنة عن هذه العلاقات تلك الكتابة التي عثر عليها منذ عهد الفرعون (سنيفرو) أول ملوك السلالة الرابعة حوالي ٢٧٠٠ ق.م والتي تشير إلى شحن أربعين سفينة من خشب الأرز اللبناني إلى مصر.

وأقدم ذكر لحملات المصريين على بلاد كنعان وردفي كتابة عثر عليها من عهد الفرعون (بيبي) الأول ثالث ملوك السلالة السادسة حوالي ٢٣٥٠ ق.م وهي منقوشة على قبر قائد إحدى هذه الحملات وهو يدعى (أوني) فدوّن هذا القائد انتصاراته على جماعات البدو التي كانت تهاجم الكنعانيين. وهناك ما يدل على أن مصر تمكنت من بسط نفوذها على جميع بلاد كنعان في القرن التاسع عشر ق.م.

وجاء في الكتابات المصرية القديمة أيضاً أن الملك سيزوستريس الثالث صعد على أرض كنعان في حوالي ١٨٥٠ ق.م واستولى على المدينة المسماة (سكمن) وقد رجح البعض أن المقصود بها مدينة شكيم (نابلس) حالياً.

ومن أهم ما تركه فراعنة مصر القدماء من الاوصاف لبلاد كنعان أيضاً كتابات الفاتح المصري الشهير تحوتمس الثالث (١٥٠٣ - ١٤٤٩) ق.م وذلك في أعقاب طرد المصريين للهكسوس من بلادهم. فورد في مدوناته أنه قام بسبع عشرة حملة على سورية وفلسطين فامتدت تخوم فتوحاته في الشرق إلى جبال الامانوس شمالاً. ومما ورد في كتاباته جدول بأسماء ١١٨ مدينة وقرية يعتقد أنها المدن التي فتحها في بلاد كنعان.

ويرى بعض الباحثين أن الكنعانيين والاموريين يشكلون محوراً رئيسياً في المنطقة. ويرون أن تاريخ استقرار كنعان هو عام ٢٥٠٠ ق.م على الساحل بينما استقر الاموريون في الداخل وبدأ وجودهم يعرقل سير القوافل المصرية مما أشعل الحرب بين مصر وفلسطين مدة طويلة وحسمت في عهد سرجون الاكادي بتحرير الفلسطينيين. ومع ضعف الدولة الأكادية عادت مصر لتسيطر عليها واشتعلت الثورات فيها على عهد نارام سن.

ويرون أن الكنعانيين والاموريين ظلوا يتصارعون مع الوجود المصري وكانوا يقفون دوماً مع الدولة القوية في الشرق ضد الأسر الفرعونية التي كانت تمد يدها على فلسطين.

وترى بعض الدراسات التاريخية أن القدس خضعت للنفوذ المصري في عهد تحوتمس ، وقد ترك فيها حامية من الخيالة والعجلات الحربية أقامت في المنطقة الواقعة شرقي المسجد الأقصى التي تسمى اسطبل سليمان. ويقول الباحثون: إننا نجد اسمها في القائمة المصرية على أنها قادش أي قدس. وقادش الكنعانية التي تقع شمال سوريا. وتظل المصادر المصرية لا تذكر المدينةإلا بهذا الاسم. إلا أننا نجد ملوك الكنعانيين عندما كانوا يكتبون إلى ملوك مصر بعد عصر تحوتمس يسمونها أور شاليم. وفي خطابات ملك القدس إلى الملك أخناتون ورد اسم بلاده على أنها (مات أور سالم) أي أرض السلام.

وقد اصطحب تحوتمس الثالث معه عند ذهابه إلى القدس التابوت الذي وضع فيه تمثالاً (لآمون) ذلك أن التقاليد المصرية كانت تقضي بأن يقوم الملك ببعض الطقوس الدينية كل صباح. ومن الطبيعي أن يترك الملك التابوت فوق الأرض التي كان يعتبرها أهل البلاد مقدسة فهذا ما فعله في العديد من المدن السورية.

ونحن نعلم أن المصريين بنوا معابد مصرية في كل مدينة كنعانية وسورية كانت لهم فيها حامية عسكرية مثل القدس ومجدو وبيسان. وعلى ذلك يكون أول معبد تم

بناؤه في تلك المدينة شيّده المصريون. وحتى تسمية الأرض المقدسة بجبل صهيون إنما كانت بناء على المصادر المصرية ولا علاقة لها باللغة العبرية ذلك أن المصريين كانوا يطلقون كلمة (أون) أو (عيون) على المدينة المقدسة[1]

---

(١) أحمد عثمان. مقال صحيفة الحياة ٤ / ٢ / ١٩٩٤ .

القدس وابراهيم الخليل عليه السلام

هل ثمة علاقة بين المدينة المقدسة وابراهيم النبي عليه السلام؟

يتفق أكثر الباحثين والمؤرخين على أن ابراهيم عليه السلام هاجر بأمر ربه من بلده الكلداني إلى منطقة فلسطين في القرن التاسع عشر ق.م وبعضهم قرّب هذا التاريخ إلى القرن السابع عشر. والواقع أن الأدلة الأثرية على هجرته تكاد تكون مفقودة . ويعتمد الباحثون في تقديراتهم على تحليلات واستنتاجات تقع في باب الافتراضات ليس أكثر.

ويبقى أمام الكثيرين ما جاء في نصوص التوراة وتقديراتها حول زمن ابراهيم وهجرته إضافة لذلك فإن القرآن الكريم لم يشر لامن قريب ولا من بعيد إلى زمن هجرة هذا النبي إنما تحدث عن الهجرة في سياقها الديني وغاياتها العقيدية. والصراع الذي قام بين عقيدة التوحيد الابراهيمية والوثنية التي كانت قائمة آنذاك في أكثر الحضارات العربية.

وباعتبار شخصية ابراهيم أكثر وضوحاً لدى العقائد أو الرسالات السماوية فإن الحديث عنه يمكن أن يوضح كثيراً من الحيثيات المتعلقة بأرض فلسطين والقدس بالذات.

يتفق الخبراء على أن ابراهيم الخليل عليه السلام سلك طريق الفرات الأيمن في رحلته من أور إلى حران. وهي الطريق التي تسلكهاالقوافل وكانت مع ابراهيم جماعته وممتلكاته من قطعان الاغنام والمعزى والحمير والجمال فيكون قد قطع في هذه الرحلة ٥٦٠ ميلاً (٩٠٠ ك.م) بين أور وحران. فمر أولاً بمدينة ماري السامية وهي عاصمة العموريين الذين ظهرت منهم السلالة البابلية الأولى والملك حمورابي الشهير.ثم ذهب إلى حاران (حران الحالية) وبعد ذلك غادر حران متوجهاً إلى

دمشق بطريق (تدمير) ومنها إلى فلسطين قاطعاً مسافة ٦٠٠ ميل (٩٦٠ ك.م) أخرى بين حران وكنعان[1]

وقد ذهب الاستاذ لورد في كتاب (قصة الكتاب المقدس إلى أن الطريق التي سلكها ابراهيم الخليل كانت بمحاذاة الجانب الأيسر من نهر الفرات . وهذا غير محتمل لكثرة العوارض فضلاً عن أن جميع المدونات القديمة تشير إلى أن الطريق العام طريق القوافل كان يسير بمحاذاة الجانب الايمن من الفرات ماراً بمدينتي (هيث وعانة) ثم ببلدة (ماري) عاصمة العموريين الشهيرة وبعد أن يمر بأبي كمال والميادين ودير الزور يعبر عند الرقة ثم يصعد شمالاً من نهر البليخ حتى يصل إلى حران[2]

وبذلك يكون ابراهيم الخليل عليه السلام قد قطع مسافات طويلة عبر البوادي متنقلاً بين القبائل العربية من منطقة لأخرى في متاهات شاسعة من الجزيرة العربية محتكاً بمدنها وقراها وسكانها ورؤساء عشائرها.

ومن الواضح أن ابراهيم لم يدخل أرض كنعان غازياً أو محارباً إنما جاء متنقلاً بين العراق مسقط رأسه وبين المستوطنات العربية السامية على ضفاف وادي الفرات.

وحين ندرس علاقة النبي ابراهيم بالقدس وبأرض فلسطين نجد أمامنا ثلاثة مصادر تتحدث عنه. المصدر الأول هو كتاب التوراة. والمصدر الثاني المدونات التاريخية والأثرية والمصدر الثالث هو القرآن الكريم.

ويمكن في الاطار أن نبحث عن أسباب الهجرة، وأسباب اختياره لأرض كنعان . والاوضاع الدينية والفكرية التي كانت سائدة في عصره خاصة في منطقة أور بلده الأصلي ومنطقة فلسطين باعتبارها المنطقة التي استقر فيها ثم انطلق إلى ما حولها حتى وصل إلى مكة.

---

[1] أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ ص ٢٥٦ -٢٥٧ .

[2] المصدر السابق ص ٢٥٧ .

ابراهيم يبدأ رحلة المهاجرة من بلده (أور) باتجاه أرض كنعان بعد صراع عقيدي بينه وبين قومه الوثنيين . ويتضح من خلال نص التوراة أن الرب أمر ابراهيم بالذهاب من بلده وبلدأبيه إلى أرض أخرى دون أن يتحدث عن الصراع الذي دار بينه وبين قومه.

(وقال الرب لابرام إذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم أسمك وتكون بركة.....) ثم تقول التوراة واجتاز ابرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة ممراً. وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض ، فظهر الرب لابرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض ، فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له) التكوين

أما في القرآن الكريم فيرد قوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ٢٦ (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم) العنكبوت الآية ٢٦ .

ويقول تعالى في سورة الأنبياء الآية ٧١ / ٧٢ (ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) فابراهيم يصل إلى شكيم (نابلس) ويقيم فيها مذبحاً للرب الذي ظهر له حسب نص التوراة.

وعلى هذا فإن أول اقامة ابراهيم في فلسطين هو نابلس وليس في سواها. وليس للقدس أية علاقة بذلك. وهذا ما افترضته التوراة. ولكن حتى هذا الافتراض يلغي أية صلة بين ابراهيم والقدس كمكان مقدس. ولم يرد ذكر أورشليم في هذا السياق إلا بعد فترة مكوث ابراهيم لا ندري كم دامت . وذكرها جاء في سياق الحديث عن لقاء ابراهيم بـ ملكي صادق ملك أورشليم الذي كان موحداً وقد بارك ابراهيم باسم الرب الواحد ومضى ابراهيم في حال سبيله دون أي إشارة لمكانة القدس بالنسبة له.

وترى التوراة أن ابراهيم تنقل كثيراً في المنطقة فزار مدينة جرار ، ثم سافر إلى مصر . وعاد منها إلى أرض كنعان واستقر في منطقة الخليل، وتورد التوراة أن سارة

زوجة النبي ابراهيم عندما ماتت جاء ابراهيم يبكـي للملك الخليل الحثي كـي يبيعه قطعة أرض يدفن فيها زوجته. وتورد أنه اشترى حقلاً فيه مغارة المكفيلة حيث دفن فيها سارة وصارت ملكاً له.وعندما مات دفن فيها.

وفي القرآن الكريم يتضح أن ابراهيـم سـار مـن الأرض المباركـة باتجاه الجنـوب حتى وصل مكة فبنى الكعبة هو وابنه اسماعيل..

يستوقفنا في هذا السياق عدة نقاط تحتاج لتوقف وتوضيح.

١ – ماهي الأرض المباركة . وأين حدودها.

٢ – لماذا أُمر ابراهيم ببناء الكعبة ولم يؤمر ببناء معبد شبيه بها في القدس.

٣ – مـا موقـف التـوراة مـن بنـاء ابراهيـم للكعبـة كيـف تربـط بـين القـدس وابراهيم؟.

لقد نجّى ا لله ابراهيم ولوطاً إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين.

فهذه الاشارة للأرض المباركة تجعلنا نتساءل أين هي الأرض التي بـارك ا لله فيهـا للعالمين. أهي فلسطين أم مكة. أو كلاهما معاً باعتبارهما مسرح الأحـداث القادمـة مع النبي ابراهيم عليه السلام.

تشير التوراة إلى أن هجـرة ابراهيـم كـانت إلى أرض كنعـان وإلى أن الكنعـانيين كانوا موجودين في الأرض أما القرآن فيشير إلى أن ا لله نجاه ولوطاً إلى الأرض الـتي بارك فيها للعالمين.

فاختيار أرض كنعان داراً لهجرة ابراهيم ليس اختياراًبشـرياً تم/من قبـل ابراهيـم إنمـا هو اختيار رباني تُكشف جوانبه ويلقي مزيداً من الضوء على أسبابه.

١ – الأرض الـتي بـارك ا لله فيهـا للعـالمين كـانت ممهـدة لتلقـي تعـاليم ابراهيـم الداعية إلى التوحيد.ولهذا السـبب لـن يجـد ابراهيـم أعـداء لعقيدتـه في هـذه الأرض المباركة .

٢ – ابراهيم عليه السلام نادى بديانة التوحيد. وهو مكلف من ا لله سبحانه بتبليغ رسالته أينما ذهب وأينما حل. ولن تتوقف دعوته بمجرد عناد قومه ورفضهم لها.

٣ – اختيار ا لله سبحانه وتعالى مكة المكرمة منذ الأزل لتكون محجاً للناس، ولذلك كلف ابراهيم ببناء الكعبة ولن يتم بناؤها دون هجرة النبي الكريم من بلده إلى مكة.

٤ – إن اختيار ا لله يأتي ضمن ترتيب رباني للتاريخ القادم الذي سيشهد صراعاً مريراً بين التوراتيين الذين يدعون نسبهم إلى ابراهيم وبين المسلمين الذين اتبعوا ملة ابراهيم ودينه وهم أصحاب الأرض التي سيحصل الصراع بسببها. وهذا الترتيب يأتي ضمن سياق الصراع الدائم بين تمام الحق وتمام الباطل.

وتجدر الملاحظة هنا إلىأن كافة الأنبياء حوربوا من قبل أقوامهم فهاجروا يحملون دعوتهم لا يتوانون عن نشرها، والرسول محمد صلى ا لله عليه وسلم هاجر من بلده مكة إلى يثرب يبشر بدعوته إلى أن عمّت . وموسى عليه السلام هرب من مصر إلى سيناء وإلى مِديَن ثم عاد إلى فرعون ثم رجع إلى سيناء وكل تنقلاته كانت في سبيل الدعوة للايمان بالاله الواحد وكذا الأنبياء وكذا منهج دعوتهم.

وعودة إلى مصطلح الأرض المباركة نرى أن الحديث القرآني عنها جاء عاماً لم يحدد ملامحها ولاحدودها.

والواقع أن ذهاب ابراهيم من الخليل إلى مكة بأمر من ربه يشير إلى أن الأرض المباركة هي أوسع جغرافياً من فلسطين فهي تمتد على قدر ما سافر ابراهيم وعلى قدر ما عمل من أعمال في خدمة عقيدة التوحيد. فمكة جزء من هذه الأرض المباركة. ولو لم تكن كذلك لما أمرابراهيم ببناء الكعبة فيها. أو لكان أمر ا لله يتعلق ببناء معبد آخر يرمز لديانة التوحيد.

وتورد كتب الاخبار أن ابراهيم سار إلى مكة، فلما وصلها وجد ابنه اسماعيل يصلح نبلاً له وراء زمزم فقال له اسماعيل إن ا لله قد أمرني أن أبني بيتاً له فقال اسماعيل فأطع ربك. فقال ابراهيم قد أمرك أن تعينني على بنائه فقال إذن إفعل فقام معه فجعل ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة. ثم قال ابراهيم لاسماعيل إيتني بحجر حسن أضعه في الركن فيكون للناس علماً فأخبره جبرائيل بالحجر الأسود فأخذه ووضعه موضعه[1] .

وهذا هو الثابت في كافة المصادر والمراجع العربية والاسلامية وكتب التفاسير.

أما قصة بناء الكعبة على يد ابراهيم وابنه اسماعيل عليه السلام فإنها تبدأ بأمر رباني يصدر من ا لله لابراهيم . ابراهيم يترك منطقة سكنه ويتوجه نحو الجنوب أي إلى مكةحيث ترك هاجر وولدها اسماعيل أول مرة عندما كان اسماعيل طفلاً.

ومباركة ا لله للبيت الحرام ترد في الآيات القرآنية الكريمة. فيقول تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾ آل عمران ٩٦ .

فهجرة ابراهيم الأولى من أور الكلدانيين كانتإلى الأرض المباركة التي تضم الخليل أو فلسطين ومكة وما بينهما.

– التوراة لا تعترف برحلة ابراهيم عليه السلام إلى مكة وبناء الكعبة:

ورد في سفر التكوين التوراتي أن ابراهيم قد أمر هاجر وابنه اسماعيل بالمغادرة وباختصار تورد أنهما وصلا إلى بئر السبع. واختفت معالم رحلتهما عند هذا الحد ولا تأتي بأي خبر عن مكة وبناء الكعبة فتقول: (وكان ا لله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي القوس وسكن في برية فاران) سفر التكوين الاصحاح ٢١ / ٢١ وفاران حسب بعض المصادر تقع في جنوب فلسطين قريباً من خليج العقبة. ولا تتحدث التوراة بعد ذلك عما جرى مع اسماعيل وأين استقر بعد ذلك.

(١) ابن الاثير – الكامل في التاريخ المجلد الأول ص ١٠٥ – ١٠٦ .

والواقع أن التوراة تنكر أي صلة بين اسماعيل ومكة فتقطع بذلك من الأساس صلة أبيه بالكعبة. ومن المعروف أن الكعبة أقدم بيت مقدس بني لعقيدة التوحيد. وليس هناك أي مكان آخر يماثل في قدسيته البيت الحرام.

ولا شك أن بناء ابراهيم للكعبة برفقة ابنه اسماعيل سيتناقض مع الرؤية العقيدية لليهود بعد أن حرفوا التوراة وانحرفوا عن عقيدة التوحيد.

وقد دلّت كافة الدراسات أن التوراة قد دوّنت بعد موسى بـ حوالي ٥٠٠ عام أي حوالي ٧٠٠ ق.م وفي هذا الوقت نعرف أن اليهود قد تعرضوا للعقاب الجماعي والسبي على يد البابليين والآشوريين وأخذ الشعور بالعزلة والعنصرية يسيطر على عقول اليهود ونفوسهم. وحتى ينفوا أي صلة لابراهيم بالمنطقة العربية وشعبها ومقدساتها حاولوا جاهدين ربط قبائلهم بـابراهيم دون أن يدركوا أن بناء الكعبة كمكان مقدس هو أكثر الرموز والحقائق المادية المشيرة لشخصية ابراهيم ووجوده وعلاقته بديانة التوحيد.

ولو كان اليهود يتبعون فعلاً عقيدةابراهيم لقاموا بزيارة الكعبة وتقديسها قبل غيرهم.والحقيقة أن ابراهيم في التوراة لا يصنع ما يثير العجب في فلسطين – الخليل – ولم يرتبط اسمه بأي مقدس في أرض كنعان– إنما كان ارتباطه جغرافياً واجتماعياً بعد أن حل ضيفاً على أهل الأرض . أو بعد أن أُمر بنشر عقيدة التوحيد في مساحات واسعة من وسط الوطن العربي بدءاً من أرض بلاد الرافدين وأرض كنعان ثم قلب الجزيرة العربية.

ومن خلال رحلة ابراهيم وتجواله نستطيع أن نقول إن المناطق التي تجوّل فيها النبي لم تكن غريبة بالنسبة له. فهو ابن المنطقة ومهمته النبوية كانت أوسع من مكان صغير محدد. لقد تجاوزت دعوته قطراً محدوداً وكانت فلسطين وسوريا والعراق والجزيرة وحتى مصر مجالاً جغرافياً لنشر دعوته وعقيدته. وبناؤه للكعبة كان يقصد من ورائه ربط الموحدين برمز ديني يجمع كافة أبناء المنطقة ويمهد لانتشار الدعوة

عالمياً والذي يلفت النظر أن ابراهيم عليه السلام تجول كل هذه الجولات دون أن يجد من الأقوام من يرفض دعوته، أو يلاحقه أو يصطدم معه ويستنتج أن اللهجات العربية آنذاك لم تكن تباعد بعضها عن بعض، فكان ابراهيم الخليل يفهم لسان أهل البلاد التي توجه إليها. إذ كانت كلها تتكلم بلغة واحدة[1]

وقد أظهر القرآن الكريم طبيعة الديانة التوحيدية التي كلف ابراهيم عليه السلام بتبليغها وقد بقيت آثار هذه الديانة منتشرة في قلب الجزيرة العربية حتى بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد كان ورقة بن نوفل أحد هؤلاء الحنيفيين الذين ابتعدوا عن عبادة الاصنام وتبعوا ملة ابراهيم. ولم تشر كافة الدراسات إلى وجود حنيفيين في غير الجزيرة العربية، وقد ارتبط هؤلاء الحنيفيين بالكعبة كمكان مقدس ولم يرتبطوا بأي مكان مقدس آخر.

وقد كوّن الحنفاء في مجتمعهم حالة رفض وتمرد على كل مايحيط بهم من طقوس ولما فشلوا بتغيير حالة قومهم واصطدموا بمحيطهم عزلوا أنفسهم ولو أنهم عزلوا عن مكة فكونوا خارجها مايشبه ندوة فكرية في مكان يدعى حراء كانوا يتجمعون فيه فيتناقشون ويقرأون الكتب ويتعبدون.

(لقد كان أمام أولئك الأحناف طريقين للايمان بديلاً عن الوثنية فإما النصرانية وإما دين ابراهيم بعد ما كانت اليهودية قد أغلقت أبوابها وأبواب دعوتها بوجه الطامحين للدخول فيها. كانت النصرانية بالنسبة لأكثرهم معقدة بجدليتها وفلسفتها مع ما كان يبدو على بعض طقوسها من شبهة وثنية أبعدت الكثير منهم عنها. بينما كانت ميزة دين ابراهيم بالنسبة لبعضهم بأنه لم يكن ديناً غريباً عن أذهانهم. فابراهيم ليس غريباً عن العرب عامة وقريش خاصة، ودين ابراهيم دين بسيط

---

(١) العرب واليهود في التاريخ – أحمد سوسة ص ٢٥٥ – ٢٥٦

التعاليم قوامه التوحيد بعيداً عن التعقيد الفلسفي ولذلك كان طبيعياً جداً أن يكون معظمهم قد انتهى حنيفاً)[1] .

وعقيدة الاحناف كما أجمع عليها الأخباريون تستند إلى حج البيت الحرام. واتباع الحق واتباع ابراهيم فيما أتى من الشريعة. الاخلاص وحده والاقرار بالربوبية والاذعان للعبودية.

يقول ول.ديورانت: (كانت في البلاد شيعة من العرب تدعى بالحنيفية أبت أن تقر بالالوهية لأصنام الكعبة وقامت تنادي بإله واحد يجب أن يكون البشر عبيداً له وأن يعبدوه راضين)[2]

أما البروفسور بليابيف فقال: نشأت الحنيفية كعقيدة خلقية ودينية في اليمامة وانتشرت في غربي الجزيرة العربية حيث وقع الكثير من سكانها تحت تأثير التوحيد والزهد والتقشف[3]

---

[1] شريف محمد هاشم – الاسلام والمسيحية في الميزان ص ٣٩

[2] قصة الحضارة الجزء٣ ص٢٤

[3] شريف محمد هاشم – الاسلام والمسيحية في الميزان ص ٤٦

الكنعانيون.. عقائدهم.. معابدهم..

ارتبط الانسان بالمعبود منذ الأزل وحتى لا يبقى هـذا المعبـود محصـوراً في العقـل أوفي الوجدان أو الوعي أراد الانسان أن يجعل في الأرض رموزاً مادية يضفـي عليهـا نوعاً من القداسة المرتبطة بمعبوده.

ومنذ فجر التاريخ أوجد الانسان معابد صغيرة وكبيرة وملأها بـالرموز الحجريـة أو الطينية أو الخشبية وجسّد حسب تصوره معبوده في أشكال عدة.

ومع التطور الاجتمـاعي والاسـتقرار البشـري أصبـح لكـل شـعب أو لكـل أمـة معابدها ومقدساتها ورموزها التعبدية المادية والمعنوية.

والشعب الكنعاني الذي حمل معه من جنوب الجزيرة العربيـة معتقـدات وعقـائد عمل من فجر التاريخ علـى ترسيخ عقـائده مـن خـلال إقامةالمعابد في قـراه ومدنـه الفلسطينية.

وتسعفنا الميثولوجيا الكنعانيـة بمقـولات وإشـارات كثيرة تدلنـا علـى مـا كـانوا يعتقدون وكيفية تفكـيرهم الديـني، وطبيعـة بنـاء معـابدهم والطقـوس التعبديـة الـتي كانت ترافق احتفالاتهم الدينية وصلواتهم وقرابينهم.

وتكثر المعابد والهياكل في أرض كنعان حتى أنها انتشرت تقريباً في كافـة القـرى والمدن والجبال ووجد في كل معبد تماثيل ترمز للآلهة التي عبدوها.وظهر أن لكل إله معبداً إن كان هذا الاله يمثل الانوثة أو يمثل الذكورة. وجميع هؤلاء الآلهه كانوا أبناء (عشيرة) ومن المعتقدات الكنعانية أن حرق المعبد يعتبر خطيئة كبيرة. وكانت معـابد أولاد الإلهة (عناة) تقام في الساحات العامة من المدينة أوالبلدة.

ويعتقد أن قصر الملك عبارة عن معبد تقام فيه الشعائر . فقد ورد في النصوص الكنعانية أن القصر الملكي يعج بالتماثيل التي ترمز لأفراد الآلهة، وهناك إشارات لوجود تمثال للإله (إيل) وتمثال يشير إلى الإلهة (عناة) وكذلك بقية الآلهة وجميعها داخل القصر[1] وكان للإله بعل معبد كبير في نابلس. حتى أن الغزاة العبرانيين عبدوه وصلوا له في ذلك المعبد وذلك في زمن القضاة.

ومن أهم معابد الكنعانيين معبد في بيسان. وقد ورد أن الفلسطينيين عندما انتصروا على الغزاة اليهود وردوهم قتلوا ملكهم شاؤل وعلقوا رأسه في المعبد[2]

وكان معبد للإله بعل في عقرون شمال فلسطين.

أما عن بناء المعابد فقد ورد في نصوص أوغاريت أن المعبد يحاط بأعمدة كبيرة الحجم. وهي غالباً من الحجارة الكلسية ، وقد بني معبد لبعل في مدينة المجدل الواقعة قرب غزة في جنوب فلسطين، وكذلك بني معبد آخر لبعل في وادي جبعون وأقيم فيه عدد من الطقوس ويعتقد أن مكانه اليوم رأس السناة[3] وورد أن الفلسطينيين كانوا يمارسون طقوس إقامة الاصنام والنصب في الغابات، وهي تقتضي على ما يبدو إقامة نصب تذكارية للملوك المتوفين.

وقد ورد في نصوص أوغاريت أن معبداً أقيم للإله إيل بين نابلس والقدس. لكنه كان يغص بالتماثيل والأصنام التي تمثل الآلهة المعاونة للإله الأكبر. كما عثر على معبد آخرللإله بعل في جبل الكرمل وبعض مناطق الساحل الشمالي لفلسطين إضافة للمعبد الكبير الذي أقيم للإله بعل في أوغاريت زمن الملك الكبير.

وتشير النصوص أن هذه المعابد كانت تغص بالكهنة والنساء المقدسات، وقد أدخلت التوراة أحاديث عن هؤلاء النسوة حيث وصفتهن بأنهن يقدمن أنفسهن

---

(١) مفيد عرنوق – اللآلىء نصوص من الكنعانية ص٨٧

(٢) ورد ذلك في التوراة في سفر صموئيل الأول

(٣) قاموس الكتاب المقدس.

للرجال إكراماً لبعل. ومن أهم الكهنة الذين ورد ذكرهم في لوحات أوغاريت الكاهن الأكبر (إيلو ملكو) وهو كاهن أوغاريت وهو الـذي دوّن اللوحات الكنعانية وفيها تاريخ الكنعانيين وإساطيرهم. أما بالنسبة للقدس فلم يرد في الاساطير الكنعانية أو في المكتشفات الأثرية أن معبداً مهماً كان موجوداً فيها.

والاستنتاج الوحيد الذي يمكن أن نقدمه في هذا الاطار أن الملك – ملكي صادق الذي تحدثت عنه التوراة وتحدث عنه أحمد سوسة في كتابه العرب واليهود في التاريخ باعتباره كان قديساً صالحاً موحداً والتقى بالنبي ابراهيم وباركه باسم الله العلي القدير قد يكون بنى معبداً خاصاً في القدس باعتباره كان ملكاًعليها. ولا شك أن كل ملك أو حاكم يربط نفسه بمقدس رمزي أو مادي مهما كان نوعه توحيدياً أو وثنياً ويمكن أن يكون ملكي صادق على صلة بهذا المعبد الذي أقيمت طقوس عبادته فيه. وحول القدس وجدت مناطق أو قرى أقيمت فيها معابد للآلهة الكنعانية كقرية عناتا وقرية بيت إيل.. وهذه الأسماء تدل على الآلهة التي عبدها الشعب الكنعاني في وقت من الأوقات.

وقد عرف الكنعانيون ما يسمى بالمحرقات وهي عبارة عن أماكن يختارها الكنعاني في مرتفعات الجبال والتلال وذلك ليذبح عندها قرابينه ويقدم أعطياته للآلهة وقد أوردت التوراة أن ابراهيم وغيره قدموا القرابين عند هذه المحرقات.

غير أن المصادر جميعها حتى التوراة لم تورد شيئاً عن معبد معين في القدس يتميز عن غيره.والراجح أن مرتفعات الجبال المحيطة بالقدس استخدمت كمحرقات غير ثابتة المكان.

الفصل الثاني

القدس والنص التوراتي

يرى التاريخ اليهودي أن القدس كانت زمن داود وسليمان عاصمة لمملكة اسرائيلية دام وجودها ثمانين عاماً واستمرت بعدهمابضع عشرات من السنين . وتدّعي الادبيات اليهودية أن القدس لم ينازعهم في سيادتهم عليها أحد . وترى هذه الادبيات أن الأرض الفلسطينية بما فيها القدس هي عطاء إلهي لا يجب المس به. وأن المعبدالأول الذي شيّد في القدس هو هيكل سليمان الذي هو رمز الوجوداليهودي. ولهذا فإن نظرية الوجود الصهيوني تقوم على الرابط بين هذه المعطيات وبين تثبيت كون القدس عاصمة أبدية للكيان الصهيوني مع الأخذ بعين الاعتبار الاطماع الاستعمارية الاستيطانية لرواد الفكر الاستعماري الصهيوني الحديث.

والمدقق في النص التوراتي يرى أن كتّاب التوراة ركزوا علىالوعد الإلهي المزعوم بمنح أرض كنعان لابراهيم ونسله من بعده دون إعطاء القدس أية أهمية تذكر .

ولم تعتبر القدس مكاناً مقدساً حتى جاء سليمان وبنى ما يسمى الهيكل. وكانت القدس حسب النصوص الموجودة في أسفار التوراة الأولى كبقية بقع الأرض التي هوجمت من قبل القبائل البدوية الاسرائيلية ، وبعد أن استتب الوضع لداود وسليمان نظر اليهود للقدس بالدرجة الأولى على أنها عاصمة سياسية لمملكة داود. ولم تُحط بهالة القدسية الالهية.وهذا يعني أن التقديس جاء لرمز الكيان الاستيطاني وليس لرمز العلاقة بين الإله والانسان.

وبعد أن بنى سليمان هيكله حسب نص التوراة أصبحت القدس ذات معنى مزدوج لديهم. فإضافة لكونها رمزاً لمركز الاحتلال اليهودي صارت مركزاً

للقدسية التعبدية على اعتبار أن الهيكل هو بيت سكن للرب بعد أن كان يسكن في الغيوم حسب زعم التوراة.

فإذا عدنا إلى حقيقة التقديس اليهودي نرى أن المسألة لا تعدو كونها مسألة ارتباط جغرافي استيطاني بين اليهود التي زعم أن هيكل سليمان أقيم عليها. أما أن هناك تقديساً إلهياً سبق التصور البشري للارتباط ، فهذا لم يأت عليه كتاب التوراة. ولم تنص عليه النصوص الأولى في العقيدة اليهودية.

لقد جاء في التوراة (وذهب الملك داود ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين ،سكان الأرض. فكلموا داود قائلين لاتدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج . وأخذ داود حصن صهيون وهي مدينة داود) سفر الملوك الأول.

ويأتي في المصادر الاسلامية واليهودية أن داود عندما أراد أن يعدّ مكاناً للعبادة اشترى بيدر أحد اليبوسيين وقد جاء في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر أخبار الايام الأول أن النبي جاد أمر داود بأمر الرب أن يقيم مذبحاً في بيدر شخص أسمه أرونه اليبوسي فاشترى البيدر وبنى المذبح).

وهذه النصوص التوراتية هي الأولى التي تشير إلى علاقة ما بين داود والقدس. ونحن نسأل منذ البداية أين المقدس الالهي الذي تمتزج فيه الارادة الإلهية بالاختيار الجغرافي. هل هناك تصور إلهي لجغرافية المكان الذي قصد إليه داود ليكون ذا علاقة مهمة به؟.

هذه النصوص كما قلنا هي الأولى التي تشير إلى علاقة مابين داود والقدس . وتؤكد النصوص أن سكان الأرض الاصليين هم اليبوسيون. وقد تكلم داود معهم لأجل إقامة ما في المدينة فرفض سكان القدس. فذهب داود وبنى قصراً له على جبل سمّته التوراة جبل صهيون.

إننا نلاحظ إقحام كلمة صهيون على النص وهذه الكلمة غير موجودة لافي الجغرافية أو التاريخ. هناك مدينة اسمها القدس أو مدينة السلام والجبال المحيطة بها

معروفة أسماؤها من قبل أصحابها الاصليين. وليس لكلمة صهيون أية علاقة بأي جبل في ظاهر المدينة. فهو اسم مصطنع مخترع أطلقه كتبة التوراة على جبل الزيتون. وهو يخص اليبوسيين ولا يخص أحداً سواهم.

وعلى الرغم من ذلك فإن النص التوراتي يختصر الزمن الطويل ببضع كلمات يقول(أخذ داود جبل صهيون وهي مدينة داود) فكيف أصبح جبل صهيون مدينة داود لاندري؟

والمعروف حسب نص التوراة أن داود أصبح ملكاً على بني اسرائيل وكان عمره لا يزيد على ثلاثين عاماً . ومعنى هذا أنه تملك قبل أن يوحى إليه. وقبل أن يبعث نبياً فلما بلغ من العمر أربعين سنة أتاه الله النبوة وأرسله إلى بني اسرائيل وأنزل عليه الزبور.

والمعروف أنه جعل قاعدة ملكه في أول تمليكه في جهات الخليل ثم دخل بعض جبال القدس بعد حوالي سبع سنوات ٩٩٠ ق.م وتكون نبوته بعد دخوله القدس ولا نعلم متى جاءه الأمر ببناء المعبد ويظهر أن ذلك كان خاصاً بدليل قوله تعالى ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم ﴾ سورة ص. فالمحراب قد يكون للعبادة وقد يكون صدر المجلس . فإن كان للعبادة فمعنى هذا أنه معبد خاص بدليل قوله تعالى تسوّروا أي تصعدوا سور المحراب ونزلوا إليه ولو كان عاماً ما كان له سور يمنع الناس التعبد فيه[1] ويعني هذا أن المسجد لم يكن المسجد الأقصى.

والمهم في ذلك كله أن المقدس الإلهي وحتى المقدس البشري لم يظهر إلى الآن أي حتى زمن داود. ليس هناك معبد ، وليس هناك ارتباط ديني بين اتباع اليهودية وبين أي مكان مقدس. هناك ارتباط جغرافي طارىء ومغلف بالغموض. هناك قصر لداود

---

[1] بيت المقدس . المسجد الأقصى محمد حسن شراب ص٥٨

اعتبرته التوراة نواةً لتشكيل عاصمة للملك داود . ومن ثم جُيِّر ذلك ليصبح قضية ارتباط بين اليهود أنفسهم وبين رمز لكيان جغرافي استيطاني ليس أكثر.

وتقول التوراة (وفي أورشليم ملك داود ثلاثاً وثلاثين على جميع اسرئيل ويهودا) ملوك أول ولنفترض أن هذا الكلام صحيحاً فأين المقدس الذي يرتبطون بـه ارتباطـاً عقيدياً دينياً ثم أين اليبوسيون من هذه المملكة. ما هي مقدساتهم. ما هـو مقدسـهم العقيدي الذي ينتمون له دينياً؟.

مـاذا تشـكل القـدس أو مـاذا يشـكل قصـر داود ومدينتـه في العقليـة اليهوديـة الدينيـة؟ نعتقـد أن التـوراة نفسـها أجـابت عـن هـذا السـؤال. فالارتبـاط ارتبـاط مجموعتين من النـاس بمركـز إداري يحكـم ويدير شـؤون النـاس الدنيويـة. المجموعـة الأولى قبائل يهودا والمجموعـة الثانيـة قبـائل اسـرائيل تلـك تسـتوطن الخليـل وتلـك تستوطن جبال القدس ولا يجمعهما أي رابـط مقـدس. ولـو كـانت القـدس تشـكل لديهم جميعاً المركز القدسي الروحي الأوحد لتمثل ذلك بطقوس معقدة لها قوانينهـا. وقام بها داود والاتباع من الطرفين لكن المقدس اليهودي ما يـزال إلى ذلـك الوقـت مقدساً متمثلاً بتـابوت العهـد أي بصنـدوق العهـد الـذي حفظـت فيـه بقيـة تعـاليم التوراة وبقية مما وصى به موسى وهارون أتباع الموسوية الأولى.

وإذا انطلقنا تاريخياً –حسب النص التوراتي تمثـل لنـا سـليمان ملكـاً بعـد داود. وتمثل لنا ما قالته التوراة عن سليمان لهيكل للرب يسكن فيه بعد أن كان يسـكن في الضباب وفوق الغيوم، لن نناقش هنا المسائل العقيدية المتعلقة بتجسيد الإله وصفاتـه كما تصورها بنو اسرائيل إنما الذي يستوقفنا هنا هو الهيكل نفسـه. هـل حقـاً هنـاك هيكل بناه سليمان ؟ وإذا افترضنا عبثاً أن هيكلاً ما بناه سليمان فهـل يمثـل مقدسـاً إلهياً خاصاً باليهود يبيح لهم الاستيلاء علـى القـدس وجعلهـا عاصمـة أبديـة للكيـان الصهيوني؟

تصف التوراة هيكل سليمان بشكل دقيق حتى أنها لا تترك شيئاً يخصه إلا وتذكره خارجياً وداخلياً.

ولنرى الحقائق الجغرافية والتاريخية ماذا تقول:

ترى التوراة أن هيكل سليمان بني على أرض سهلية في القدس. وعندما نقارن المساحة التي ذكرتها التوراة والتي بنى عليها سليمان هيكله مع المساحة الجغرافية الحقيقية لمنطقة القدس وجدنا كما وجد علماء الآثار أنه لا توجد بقعة في جبال القدس تتسع لهذا الهيكل أي أن المساحة المزعومة في التوراة لا تتطابق البتة مع المساحة الجغرافية للأماكن الفارغة من العمران في القدس.

وترى التوراة أن الهيكل بني من الحجارة وخشب الأرز المستورد من لبنان وأن الذين شاركوا في بنائه ٣٠ ألفاً من المسخرين العبيد.

يقول النص التوراتي (والبيت في بنائه بني بحجارة صحيحة مقتلعة ولم يسمع في البيت عند بنائه منحت ولا معول ولا أداة من حديد) الاصحاح ٦. سفر الملوك الأول.

فالعبيد المسخرون وهم ثلاثون ألفاً اقتلعوا الحجارة اللازمة للبناء وهي صحيحة. ولم يستخدموا في قلعها أداة للنحت أو معول أو أي أداة من حديد.

ماالذي يعنيه هذا النص؟ ماذا يفيدنا إذا ما وضعناه في سياق علم الآثار والجيولوجيا؟ علم الآثار يقول إن مثل هذه الحجارة لا تكون بهذا الشكل وهذه الكثافة إلا إذا كانت مشيدة في أبنية ضخمة سبق وجودها وجود أتباع سليمان، والطبقات الصخرية والجيولوجية تدل بشكل قاطع على أن الحجارة التي افترضوا أن سليمان بنى هيكله بواسطتها ليست بعيدة العهد عن عصر سليمان. ومن المسلمات الآثارية أن الاقوام التي تخلف الأقوام السابقة عليها تستخدم حجارة بيوتها في بناء بيوت جديدة. ولكن الواقع يقول وهذا أيضاً ما نصت عليه التوراة أن اليبوسيين العرب سكان القدس الاصليين لم يتركوا بيوتهم وقصورهم.

لكن السؤال الذي يعيدنا إلى جوهر الموضوع هو إذا كان هذا الهيكل المفترض قد بني فعلاً فما علاقة المقدس الالهي به؟. كان من الممكن أن يختار سليمان أي مكان ليبني هيكله عليه طالما أن اختيار المكان هنا هو اختيار بشري انساني وليس اختياراً إلهياً. نحن نعلم أن المصادر الاسلامية تحدثت عن بناء ابراهيم للكعبة وأن الكعبة موجودة قبل ابراهيم بزمن طويل. إلا أن الله سبحانه أوصى لابراهيم بمكان الكعبة المدفونة تحت رمال الصحراء لكي يعمرها. والكعبة اختارها الله لتكون بيت الله الحرام وليست هي مكاناً اختاره ابراهيم. إذاً هي خاصة بالاختيار الرباني وابراهيم ليس سوى منفذ لاختيار الله بينما سليمان يختار بناء الهيكل دون تدخل إلهي أو اختيار رباني.

على أية حال فإن الافتراض بوجود ما يسمى هيكل سليمان يستدعي التوقف عند كثير من التساؤلات أولاً والتوقف عند ما قاله علماء الآثار ثانياً.

١ - قالت التوراة أن ٣٠ ألفاً من العبيد سخّروا في بناء الهيكل، ولم يساهم في بنائه أي فرد من بني اسرائيل.

من أين جلب سليمان الثلاثين ألف عبد ليبنوا الهيكل؟

قالت التوراة أن سليمان استورد خشب الأرز من لبنان لبناء الهيكل، وقالت إن الهيكل بني من الحجارة. فإذا كان بني من الحجارة فما حاجتهم لخشب الأرز؟ وإذا قيل إنه استُخدم في سقف الهيكل فإن الشجر الموجود في فلسطين يكفي لسقفه ولا حاجة لاستيراد الأرز من لبنان.

وتدلنا المعطيات بعد سليمان أنه عندما خُرب هذا الهيكل ودمر لم يبق منه أثر. وقد دمرت المباني جميعها التي كانت لسليمان وأتباعه والموجودة في منطقة القدس أثناء الغزو البابلي عام ٥٨٧ ق.م. وتحاول سلطات العدو الصهيوني ايجاد أي أثر يدل على وجود الهيكل وذلك منذ أكثر من خمسين عاماً دون جدوى.

أما علم الآثار فيقول:

كان يجب أن يكـون هيكـل سـليمان والقصـور خـارج مدينـة داود، لأن حجـم البناء الذي تصوره يتطلب المسـاحة المبنيـة بأكملهـا ولم يكـن التوسـع نحـو الشـمال صعباً لأن السلسلة الشرقية كانت باتجاه التلال ودون فاصل ولكن اعترضت البنـاء بعض الصعوبات الطبيعية[1] .

وإذا كـان الهيكـل بـني حقـاً فإننـا سـنرى أن سـليمان وحسـب النـص التوراتـي استخدم هذا الهيكل لأغراض أخرى غيرالأغراض التي تتعلق بعقيدة التوحيد.

فسليمان حسب قول التوراة يتزوج من ألف امرأة سبع مئة منهن من السـيدات وثلاثمائة من السراري (الإماء) . وقد اعـترفت التـوراة أن نسـاءه أملنَ قلبـه باتجاه آلهتهن فبنى لكل منهن معبدا أو أقام صنماً لتعبده زوجاته وذلـك في وسـط الهيكـل جاء في سفر الملوك الاصحاح(١١) (وأحب الملك سليمان نسـاء غريبـة كثـيرة مـع بنـت فرعـون موآبيـات وعمونيـات وآدوميـات وصيدونيـات وحثيـات.. فـالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبع مائـة مـن النسـاء السيدات وثـلاث مئـة مـن السراري فأمـالت نسـاؤه قلبـه وراء آلهـة أخـرى وذهـب وراء عشـتروت وملكـوم وكموش. وبنى مرتفعة لهن علـى الجبـل الـذي تجاه أورشـليم وهكـذا عمـل لجميـع نسائه اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن)

واضح أن هيكل سليمان لم يكن ذا علاقة بتقديس ا لله طالمـا أن فيـه ألـف صنـم على عدد نسائه وإذا عدنا إلى أسفار التوراة الأولى نـرى أن سـفر التكويـن ويتـألف من خمسين إصحاحا لا يـأتي علـى ذكرللقـدس . إنمـا يقتصـر في حديثـه على الوعـد المقطوع لابراهيم ونسله بأن يمتلك أرض كنعان . وفي سفر الخـروج كذلـك ليـس للقدس وجود في تعاليم النبي موسى أو مسيرة تنقله حتى موته.

فموسى الذي يعتبر صاحب الشريعة التوراتية لم يكن لـه توجـه محـدد نحوالقـدس على اعتبارها مكانا مقدسا لليهود. وبدت العقيدة اليهودية في أسفار موسىالخمسـة

---

[1] كاثلين كاينون الكتاب المقدس والمكتشفات الأثرية الحديثة ص٦٦

مفرغة من المعبد الرمز والأساسي الثابت. فهي تعاليم نظرية لا ترتبط بالجغرافيا وهذا طبيعي لأن الخروج الموسوي من مصر، والتنقل عبر الصحراء الشاسعة في سيناء لا يحتمل ثبات الجغرافية المكانية المقدسة فليس هناك مقدس بمعنى المعبد وهناك فقط تابوت العهد الذي سبق أن أشرنا له في صفحات سابقة.

فإذا كانت أسفار موسى الخمسة وهي المعتمدة من قبل فئات يهودية كثيرة دون غيرها من أسفار التوراة لاتأتي على ذكر القدس لا من قريب ولا من بعيد فكيف يمكن أن يربط اليهودي القدس بالمقدس اليهودي؟

في هذه الحال يستطيع أي باحث أو مدقق بالمدونات التوراتية أن يجزم أن المقدس التوراتي لا يربط بين الانسان وبين المنحة الإلهية للتقديس. إننا نعترف وبكل صدق بوجود ما يسمى تابوت العهد. واعترافنايستند إلى آيات القرآن الكريم الدالة على وجوده. أما ما يتعلق بالعلاقة بين القدس كجغرافيا أو تقديس إلهي. فلا اليهودية تقنع ولا النصوص التوراتية في أسفارموسى الخمسة تشير إلى وجود القدس في العقل اليهودي أو العقيدة اليهودية.

إذاً ما العلاقة بين التوراة والقدس؟

حسب النصوص التوراتية فإن العبرانيين يتسللون إلى فلسطين منذ يوشع بن نون أي بعد وفاة موسى. وظلوا يتسللون ويتجمعون في بعض جبال فلسطين حتى زمن الملك داود. والفترة الزمنية الفاصلة بين موت موسى وملك داود هو مائتا عام حسب قول التوراة أو مئتان وخمسون عاماً على الأكثر. ومنذ موسى ومروراً بيوشع وبعصر القضاة وحتى شاؤل وداود لم يظهر لليهود أي مقدس بالمعنى الجغرافي ، على الرغم من احتلالهم لبعض أراضي فلسطين. إنما ظلوا يحملون تابوت العهد وينقلونه من مكان لآخرلأنهم يعتبرونه مصدر توراة موسى والبقية الباقية من تعاليمه.

*كيف تطور مفهوم تقديس القدس عند اليهود؟

لقد تحدثت التوراة عن بناء سليمان للهيكل ووصفته وصفاً دقيقاً وصار بالنسبة لأتباع اليهودية مركزاً للملك من جهة وللعبادة من جهة أخرى.وتحدثت أيضاً عن الأصنام والتماثيل التي صنعها الحرفيون لسليمان ووضعها في الهيكل إضافة لمقالته عن نساء سليمان اللواتي بقين يعبدن آلهتهن الوثنية.

ومع موت سليمان انقسمت المملكة الصغيرة التي كان يحكمها إلى مملكتين إحداهما في القدس والأخرى في السامرة. وهذا الانقسام أدى بالتالي إلى انقسام في العقائد فمملكة السامرة وسكانها انقطعت عن المعبد المسمى بالهيكل وكان عليها أن تبني معبداً رئيسياً لها تستغني فيه عن الهيكل. وهذا يعني أن لا ارتباط بين مملكة السامرة والمقدس الذي اصطنعوه في القدس، كان يمكن الاستغناء عنه بسهولة وقد أصبح (يربعام) ملكاً على المملكة الشمالية وقرب إليه أنبياء فكانوا يأكلون على مائدته ويحصلون على أعطيات معينة.

وعندما تسلم الملك المدعو آخاب – عام ٨٥٠ – ٨٦٩ ق.م كان يوجد في مملكة اسرائيل إضافة لأنبياء يهوة أنبياء البعل – والبعل هو الإله الرئيسي بعد إيل عند الكنعانيين وهؤلاء الانبياء أربعمائة وخمسون نبياً يأكلون الطعام على مائدة

إيزابيل وهي زوجة الملك (آخاب) وكانت كنعانية وهي ابنة ملك صور. وقد أصبحت حامية لعبادة بعل وعشتروت في مملكة اسرائيل.

وقد بنى آخاب معبداً ضخماً في السامرة للإله بعل إضافة لعدد كبير من المذابح للإلهين بعل وعشتروت في الغابات المقدسة التي تسمى (السواري) وكان يخدمها كهنة بعل وأنبياؤه.

وتورد التوراة أن (إيزابيل) أمرت بهدم جميع المعابد والمذابح المرتبطة بالإله اليهودي يهوه وقتلت كافة الكهنة اليهود وقد هرب من بينهم النبي إيليا - إلياس -وهو من مستوطني جلعاد وهي مقاطعة تقع في الشرق الأقصى للمملكة الشمالية حسب نص قاموس الكتاب المقدس. وقد ورد في النص التوراتي(فالآن أرسل واجمع كل اسرائيل إلىجبل الكرمل وأنبياء البعل أربع المائة والخمسين، وأنبياء السواري أربع المئة الذين يأكلون على مائدة إيزابيل) وهذا ما يشير إلىأن في جبل الكرمل معبداً جرت فيه المحاورة بين إيليا وأنبياء البعل وحسب نص التوراة فقد انتصر عليهم بعد أن أظهر معجزته وبعد ذلك يقبل إيليا على العمل فيعيد تشييد مذبح يهوه المهدم ويحفر حوله قناة وعندما رأى آخاب والملكة إيزابيل كل ماجرى على جبل الكرمل وكيف أن إيليا قتل جميع الأنبياء بالسيف.أرسلت الملكة الحانقة رسولاً إلى إيليا تقول هكذا تفعل الآلهة وهكذا تزيد إن لم أجعل نفسك كنفس واحد منهم في نحو هذا الوقت غداً) فيضطر إيليا للهرب مجدداً إلى يهودا هذه المرة ويختبيء في جبل حوريب) ١ ملوك اصحاح ١٩

ويتضح من ذلك أن المعابد كانت منتشرة في فلسطين ويطغى علىطابعها الشكل الوثني ولم تشر التوراة إلى علاقة ما بين النبي إيليا وبين القدس. وإشارة للمعبد المرتبط بهذا النبي فما زال إلى الآن دير يقع على جبل الكرمل يطلق عليه دير مار الياس ويشير سكان المنطقة إلى المغارة التي حدثت عندها معجزة النار التي أكلت لحم الثور الذي ذبحه النبي إلياس.

وبعدموت آخاب تولى العرش ابنه أخزيا، وتقول التوراة إنه عندما مرض أرسل رسلاً وقال لهم اذهبوا اسألوا (بعل زبون) إله عقرون إن كنت أبرأ من هذا المرض) وعرف ذلك النبي إيليا من ملاك يهوه الذي ظهر له وقال قم اصعد للقاء رسل

ملك السامرة وقل لهم أليس لأنه لا يوجد إله في اسرائيل تذهبون لتسألوا بعل زبون إله عقرون)

وقد استمر الصراع بين يهوة وبعل ليس فقط في مملكة اسرائيل بل وفي يهودا أيضاً[1]

وهناك إشارات عارضة لوجود معبد في (أورشليم) لكنها لم تعط أية أهمية لمكان التعبد المتميز تقول التوراة: (فترأس المؤامرة ضدها الكاهن الأول في معبد أورشليم يهيادا ع) وتقول في نفس السياق (ودخل جميع شعب الأرض إلى بيت البعل وهدموا مذابحه وكسروا تماثيله تماماً) (إلاأن المرتفعات لم تنتزع بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات)

وفي عام ٦٤٠ ق.م اعتلى العرش في يهودا الملك يوشيا بن آمون الذي كان ابن ثماني سنوات وقد دخل – حسب نص التوراة– أورشليم – وتحديداً إلى معبد يهوه. وأمر الملك حلقيا الكاهن العظيم وكهنة الفرقة الثانية وحراس الباب أن يخرجوا من هيكل يهوه جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية ولكل أجناد السماء وأحرقها خارج أورشليم في حقول قدرون.. والمرتفعات التي بناها سليمان ملك اسرائيل لعشتروت رجاسة الصيدونيين ولكموش رجاسة الموآبيين وللمكوم كراهة بني عمون نجسها الملك. وكسر التماثيل وقطع السواري وملأ مكانها من عظام الناس، وكذا جميع بيوت المرتفعات التي في مدن السامرة أزالها يوشيا. وذبح جميع كهنة المرتفعات التي هناك على المذابح.

نرى من خلال مجريات الأحداث أن بني إسرائيل أثناء انقسامهم تبنوا عدة معبودات وثنية إلى جانب علاقتهم بإلههم القومي يهوه.ونرى أن المعابد التي كرست لعبادة الآلهة المتعددة كانت ذات أهمية بالغة خاصة في زمن آخاب وامرأته إيزابيل.وكان المعبد الرئيسي في القدس يدعى بيت الرب. ولم يكن في تلك الفترة سوى معبد يشابه بقية المعابد المنتشرة في أماكن تواجد بني اسرائيل حتى أن المعبد الذي أقامه آخاب في السامرة كان ذا أهمية أكبر.

---

[1] أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية ص٦١ ترجمة الدكتور آحو يوسف.

ويبقى الوضع على حاله بالنسبة للمعابد التي أنشأها اليهود في القدس ونابلس والكرمل وبقية المناطق التي احتلها اليهود في فلسطين.

ومع اشتداد الصراع بين مملكتي اليهود زحفت جيوش الشرق باتجاه الشام تحتل مدنه ومناطقه الواسعة.

ففي عام ٦٠٥ق.م زحف بختنصر البابلي إلى أن وصل القدس وأخضع ملكها (يهويا قيم) وخضعت المملكة اليهودية للبابليين. ولما ثار يهويا قيم على أسياده دخل بختنصر وجيشه القدس وعين مكانه أخاه يهويا كين (٥٩٨ – ٥٩٧ق.م) وفي أثناء ملكه القصير حاصر نبوخذنصر (أورشليم وأخذ الملك مع عائلته ورؤساء اليهود وبعض خزائن ما يسمى بيت الرب والمدينة إلى بابل.

قال مؤلف جغرافية الكتاب وتاريخه (وسقطت القدس نفسها في السنة ٥٩٧ ق.م أمام جيش نبوخذ نصر ونقل الملك يهوياكين وما بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف من سراة القوم وصناع الأيدي والمجموع ما بين ٣٠ – ٤٠ ألفاً إلى بلاد بابل وكان غرض نبوخذ نصر أن يخلي البلاد من قوادها وكل الذين بإمكانهم أن يوقدوا الثورة والذين بقوا من يهودا ملّك عليهم (صدقيا) أحد أبناء يوشيا ٥٩٧ – ٥٦٨ ق م (القدس الدباغ ص٥٢) وفي أواخر حكمه تمرد على سيده فأرسل بختنصر جيشه إلى القدس فأسر الملك وسيق إلى بابل وخُربت القدس وجعلت أكواماً من الأنقاض وانتهت دويلة يهودا.

وفي سنة ٥٣٩ ق.م تمكن كورش ملك الفرس من الاستيلاء على بابل . وتم له الاستيلاء على بلاد الشام وقد ساعده اليهود حين فتحه بابل فالتمسوا منه أن يذهبوا إلى القدس فوافقهم على طلبهم فعاد قسم منهم وبقي معظمهم.

وفي سنة ٣٣٢ ق.م استولى الاسكندر المقدوني على فلسطين ودخل القدس، ولكن الفوضى حلت بالبلاد بعد موته وانقسام امبراطوريته إلى مملكتين.

وفي سنة ٦٣ ق.م استولى القائد الروماني بومبي على القدس وفي سنة ٣٧ ق.م نصب الرومان هيرودس الآدومي ملكاً على الجليل والقدس فظل يحكمها باسم الرومان حتى السنة الرابعة الميلادية وفي زمانه ولد السيد المسيح عليه السلام. وفي

سنة ٢٦ م تولى بيلاطس حكم القدس فكـان بداية للحكـم الرومـاني المباشـر. وفي زمن هذا الوالي حدثت وقائع عيسى عليه السلام[1]

وخلال هذه السنوات الطوال أي منـذ دخـول البـابليين أرض فلسـطين وحتـى المؤامرة على السيد المسيح تطور مفهوم القدس عند اليهود تطـوراً ملحوظـاً . فمـن الطبيعي أن يحصل مثل هذا التطور لأن العقيدة اليهودية جرى عليها تعديلات كثيرة بدءاً من النظرة إلى الذات الالهية وانتهاء بالمعاملات والعبادات التي أقرهـا التلمـود البابلي.

وقد وجد في هذه الفترات أنبياء يهود وشخصيات قيادية علـى المستوى الديـني كان لها الأثر الأول في تطور المفهوم العقيدي اليهودي تجاه القدس.

أما بالنسبة للقدس فقد اعتبرها أحد أنبيائهم والمدعو ميخا مركز الخطايا. ويتنبـأ بأنها ستحال إلى كومة أنقاض، وقد توقفـت عبـادة يهـوه في القـدس في زمـن الملـك (آحـاز) ثـم تجـددت ولكـن اليهـود ظلـوا يذبحـون قرابينهـم في السـواري المقدسـة. ولذلك يرد في سفر ميخا أن الرب سيعاقب يهوذا واسـرائيل عقابـاً رهيبـاً وسـينزل بهما النهب والموت وسوف تتحول السامرة وأورشـليم إلى كومتـين أنقـاض. ويتنبـأ ميخا بأن أورشليم بسكانها سـوف تسـبى إلى بـابل وفي زمـن الملـك منسّ أي عـام ٦٥٥ – ٦٧١ أدخـل اليهـود إلى معـابدهم عبـادة الاجـرام السـماوية تقليـداً للآشوريين واعتبروا هذه الأجرام جند السماء، وكان معبد القدس يغص برموز هذه المعبودات، وقد أعيد بناء المرتفعات المقدسة في الجبال أيضـاً ، وسـجد اليهـود لكـل جند السماء وعبدوها وقد انتعشت من جديد المعبودات الكنعانية وقـد جـدد منـسّ تقديم القرابين للآلهة المتعددة لكي يسترحمها، ويقول كتـاب الملـوك أن منـسّ نفسـه عافَ وتفاءل واستخدم جاناً وتوابع وأكثر من عمل الشر الذي يغضب يهوه وكـان يسترضي آلهة أخرى بما فيها الأجنبية.

وفي زمن الملك يوشيا – في سفر الملوك الثاني – ادعى حلقيا كاهن معبد القدس أنه عثر على سفر الشريعة، فأخذه الملك يوشيا وقرأه على عامة الشـعب وجـاء فيـه

---

[1] محمد حسن شراب – بيت المقدس والمسجد الأقصى ص٦٠ –٦١

(هكذا قال يهوه هأنذا جالب شراًعلى هذا الموضع وعلى سكانه، من أجل أنهم تركوني وأوقدوا لآلهة أخرى لكي يغيظوني بكل عمل أيديهم فيشتعل غضبي على هذا الموضع ولا ينطفيء) ٢٢: ٥ - ٢٠

بعد ذلك يتوجه يوشيا إلى معبد يهوه بأورشليم حيث جميع رجال يهودا وكل سكان أورشليم معه والكهنة والأنبياء وكل الشعب من الصغير إلى الكبير وقرأ في آذانهم كل كلام سفر الشريعة الذي وجد في بيت يهوه وقطع عهداً أمام يهوه للذهاب وراء يهوه.....

بعد ذلك يأمر يوشيا الكاهن حلقيا والكهنة وحراس المعبد أن يخرجوا من المعبد الآنية المصنوعة للبعل والسارية ولكل أجناد السماء وأحرقها. ويقول السفر إن يوشيا أبادَ الخيل التي أعطاها ملوك يهودا للشمس عند مدخل بيت يهوه ومركبات الشمس أحرقها بالنار والمرتفعات التي بناها سليمان ملك اسرائيل لعشتروت رجاسة الصيدونيين ولكموش رجاسة الموآبيين وللمكوم كراهة بني عمون نجسها الملك، وكسر التماثيل وقطع السواري، وكذا جميع بيوت المرتفعات التي في مدن السامرة أزالها يوشيا وذبح جميع كهنة المرتفعات التي هناك على المذابح.

في زمن الملك يوشيا يحاول الكهنة بمعاونة الملك نفسه أن يعيدوا الاعتبار لمعبد يهوة في القدس وبطريقة ما تم تحريض الملك من قبل الكهنة ليصحح مسيرة الارتباط العقيدي بين اليهود ومعبدهم الذي يمثل رمز سلطتهم وليس رمز تقديسهم. والسبب في ذلك أن الآشوريين آنذاك أخذوا بالانهيار أمام البابليين والفرس فانتهز اليهود الفرصة ليثوروا على معبودات تبنوها إثر الضغط الآشوري عليهم. ويرد أن يوشيا هدم المعبد اليهودي في السامرة. وهذا يعني محاولة القضاء على كافة المعابد التي تنافس المعبد الرئيسي ليهوه في القدس. لقد شعر اليهود أن هذه المدينة مهددة من قبل القوى المحيطة، فحتى يزداد الربط السياسي بينهم وبين القدس قام يوشيا بمحاولة الاصلاح الديني التي أشرنا إليها.

وسفر إرميا ومراثيه من أكثر أسفار التوراة ارتباطا بالحديث عن العقيدة اليهودية ومعابدها. فإرميا نفسه نبي سياسي يجمع بين الرؤيا السياسية والدينية. ويظهر أنه كان ناقماً نقمة شديدة على التعددية العقيدية لدى اليهود.

يرد في سفر إرميا (أما ترى ماذا يعملون في مدن يهودا وفي شوارع أورشليم. الأبناء يلتقطون حطباً والآباء يوقدون النار والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكاً لملكة السماوات لكي يغيظوني) ٧: ١٧ - ١٨ ولأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزي .. مذابح للتبخير للبعل ١٣:١١ .

ولإرميا صوت تنبؤي بشأن القدس والمعبد المرتبط بيهوه فيقول (ويكون هذا البيت وتكون هذه المدينة خربة بلا ساكن. وكانت هذه النبوءة في السنوات الأولى من حكم يهويا قيم وداخل المعبد في أورشليم ذاته.

وفي زمن إرميا سبي اليهود إلى بابل وظل هو في فلسطين حسب اختياره ومرة أخرىيجري صراع بين إرميا والكهنة ويوضع علىإثر الخلاف في زنزانة ثم يهاجم البابليون مرة أخرى القدس وفي تموز عام ٥٨٦ تم اختراق أسوار القدس وتم احتلال المدينة وأحرق معبد يهوه.

إلى هذا الحد يمكن أن نرى أن الأنبياء الذين عاصروا انهيار العبادات اليهودية كانوا بشكل إجمالي غاضبين على اليهود. ولم يكن معبد القدس سوى معبد للآلهة الوثنية المأخوذة من البابليين والكنعانيين. ويرى القاريء في أسفار الملوك الأول والثاني وما بعدهما أن صفة المعبد أخذت أو ظلت تأخذ طابع الربط مع إلهة أو إله قومي خاص جداً وهو الاله يهوه حسب ما ورد في تلك الاسفار إضافة لما كان للآلهة الوثنية من أهمية في معبودات اليهود.

إن هذا المعبد الذي سمي بيت الرب والذي يقول اليهود إنه هيكل سليمان لم يكن حتى هذا الوقت سوى معبد وثني يجمع الاعتراف بيهوه والاعتراف الآخر بالآلهة الوثنية المنتشرة في المحيط الفلسطيني واللبناني.

ونرىأن صراعاً دموياً حاداً كان يجري باستمرار بين كهنة المعبد ذوي المصلحة المالية وبين بعض الأنبياء المصلحين الذين ينادون دوماً بالعودة إلى يهوه وتنظيف بيت الرب من أرجاس الوثنية. وعلى الغالب كان المنتصرون كهنة المعبد الوثني الذين وجدوا دعماً قوياً من ملوك اليهود. وواضح أن المعتقدات اليهودية والمعبودات كانت ذا علاقة وطيدة بالوضع السياسي والعلاقات مع القوى الكبيرة

في المنطقة كالبابليين والفراعنة. وواضح أيضاً أن نظرة الملوك اليهود وكهنة المعبد كانت تنطلق في تعدد عبادتها الوثنية من خلال قوة العلاقة أو ضعفها مع تلك القوى الكبرى آنذاك. لقد غيّبت عبادة يهوه طوال فترة وجود ما يسمى الهيكل على الرغم من أن يهوه بنظراليهود هو إله خاص بهم لا يشاركهم في عبادته أحد. ودوماً كانوا على علاقة وطيدة بالآلهة الوثنية الرامزة لمعبودات الشعوب المجاورة والاصلية في المنطقة التي احتلها اليهود.

والواقع أنه لو قارنا بين ما جاء في التوراة العبرانية وما جاء في التوراة السامرية لوجدنا أن المعبد المقدس في الرؤيتين هو مكان متعدد الوجوه متعدد الجغرافيا.

فيرد في التوراة العبرانية (حين تعبرون الاردن هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال وتكلسها بالكلس. تثنية ٢٧:٤. وفي التوراة السامرية بدل كلمة عيبال تأتي كلمة جرزيم وهما جبلان في أرض فلسطين عبر نهر الاردن. ومعنى النص أن يبني بنو اسرائيل مسجداً مقدساً في أرض كنعان إما في عيبال أو في جرزيم ويكلسوه بالكلس أن يجعلوا السطح أملس مستوياً للتمكن من كتابة الشريعة عليها.

يقول مفسرو التوراة. وغاية تشييد الحجارة أن يجعل سطحها أملس مستوياً للتمكن من كتابة الشريعة عليها. ولم يذكر ما ترجم بالشيد هنا إلا في أشعياء ٣٣:١٢ وعاموس ٢:٢ وترجم في كل من أشعياء وعاموس بالكلس.

ويهود القدس يعتبرون عيبال مكاناً مقدساً وقد زعموا أنهم بنوا عليه هيكل سليمان أما يهود السامره يعتبرون جرزيم مكاناً مقدساً وقد بنوا عليه هيكلاً يضارع هيكل سليمان في الفخامة والعظمة وكل فريق يتجه في صلاته وحجته إلى جهة هيكله المقدس ويعتبر ماعداه باطلاً. وظل الحال كذلك حتى جاء عيسى عليه السلام فسألته امرأة من يهود السامرة قائلة (آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه فقال لها يسوع : يامرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب (يوحنا ٤: ٢٠ – ٢١).

وكلا الفريقين على خطأ عظيم لأن موسى عليه السلام لم يحدد لليهود قبلة كما القبلة عند المسلمين فقد قال لهم على لسان ا لله تعالى (في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكراً آتي إليك وأباركك) خروج ٢٠: ٢٤ .

واختيار داود لجبل من جبال القدس مكاناً لبناء المعبد هو اختيار للاستحسان وليس للالزام لأن بني اسرائيل كانوا متفرقين فوحدهم وجعل بعد ذلك أورشليم عاصمة لملكهم. ثم أراد بناء الهيكل ليضع فيه التابوت بدل وضعه في خيمة الاجتماع إذ الحال قد تبدل فبعدما كانوا في مرحلة التنقل كالبدو الرحل يسيرون بالتابوت والخيمة من مكان لمكان ومن قرية لقرية أصبح لهم ذا أساس، فرأى داود أن يحل الهيكل محل الخيمة في بناء ثابت مستقر ولم يلزمهم داود بالتوجه نحوه وإنما عظموا الهيكل لوجود التابوت فيه وطوروا في تعظيمه . ولما غرسه الربانيون والاحبار في عقول العوامصاروا يتجهون إليه باعتبار أن فيه أثر موسى وهارون.

ولا يمكن أن تكون قبلة داود عليه السلام على جهة الالزام لأن شريعة موسى أمرت اليهود أن لا يسمحوا لنبي منهم يشرع لهم بشيء زائد عما في كتاب موسى وقد جاء في التثنية (ولم يقم بعد نبي في اسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه) تثنية ٣٤ / ١٠ وهذا هو الدليل الذي يتذرع به يهود السامرة في رفض معبد داود. والحق معهم لأن داود متبع التوراة وليس هو مشرعاً. وهذا هو نفسه الدليل الذي يلزم به السامريون في البعد عن تقديس هيكل جرزيم لأن موسى لم يقدس أي مكان.

يقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري في هذا الموضع (جاء زوربيل وجماعته اليهود واجتمعوا جميعاً في حرّان ووقفوا بين يدي «بدي سوردي» الملك – ملك حران– ووقع بينهم وبين السامرة مشاجرة على القبلة وأقبل السامريون بسفر المدرج الكبير من هيكل نينوى وذكروا النصوص التي تدل على أن هر جرزيم هو القبلة. وأخرج زوربيل مدرجاً وادعى أنه مدرج داود وادعى أنه يدل على أن داود قال: إن الاندر في إيليا، هو القبلة ووقع الجدال بينهم قدام الملك)[1]

---

[1] أحمد حجازي السقا. نقد التوراة أسفار موسى الخمسة ص١٢٩ – ١٣٠

نظرة اليهود إلى المعبد أيام السبي البابلي:

إن السبي البابلي الذي أجراه البابليون قضى على كثير من تعاليم اليهود ومن مفهومهم للمعبود ورموزه. وأصبح من الواضح أن بضع عشرات من آلاف اليهود الذين ما توانوا يوماً عن عبادة الأوثان وجدوا أنفسهم في الأسر الجماعي لدى البابليين وكان لابد في هذه الحالة من الانقسام في معتقداتهم فمنهم من انخرط بعبادة آلهة البابليين كلياً ومنهم بدأ يبحث عن المعبود من جديد ليمنحه صفات جديدة أوسع وأكثر أهمية من ذي قبل، وهذا بالطبع يرتبط برمز المعبد حيث أنهم أخذوا فعلاً يفكرون بشكل جدي بالبحث عن المعبد المثالي يعيد لهم بعض قيمهم الدينية ولذلك فإننا سنجدهم يطورون مفهومهم المقدس ليأخذوا منحىً دينياً سياسياً حيث افتقدوا في الأسر لأي رابط مكاني يربطهم بأرض يقدسون عليها إلههم ويمارسون عليها طقوسهم.

في فترة السبي التي دامت أكثر من خمسين سنة ببضع سنين وُجد أنبياء يهود ومصلحون وكتبة أصروا على منح المسبيين شعوراً بالتقوقع والمحافظة على الأقل من تعاليمهم، وسنرى أن هؤلاء الأنبياء نظروا للمعبد نظرة مختلفة أو متطورة نوعاً.

وأول ما يطالعنا من هؤلاء ، النبي حزقيال الذي بدأ يتنبأ بعد أسره بخمس سنوات وتقول التوراة إن الرب كلّمه وقال له: يابن آدم قم على قدميك أنا مرسلك إلى بني اسرائيل إلى أمة متمردة قد تمردت علي هم وآباؤهم عصوا علي إلى ذات هذا اليوم.. ٢: ١ – ٥ .

وتتواصل نبوءات حزقيال وصلته بيهوه وفي أحد لقاءاته معه يأمره أن يأخذ (موسى) ويقص من رأسه ومن لحيته قسماً من الشعر وأن يقسم الشعر المقصوص إلى أجزاء فيحرق جزءاً ويقطع جزءاً بالموسى ويبدد جزءاً مع الريح ويوضح الإله أنه هكذا فعل بأورشليم ويهوذا لأنهما رفضتا مشيئة الإله ولا تتصرفان وفقاً لأحكامه فأصبحتا أكثر كفراً من الوثنيين ولوّثتا بنجاستهما معبده (الاصحاحان ٤و٥).

والواقع أن المسبيين بدأوا يشعرون بأهمية الارتباط بأرض ثابتة لهم. ولا شك أن القدس ستكون هدفهم طالما عاشوا فوق أرضها وأكلوا من خيراتها. وعندما

يقارنون وضعهم المزري في السبي بوضعهم السابق لابد أنهم سيضعون في مخيلتهم القدس المثالية، القدس التي ترمز إلى تواجدهم مجتمعين في ظل ملك منهم.

فمع المرارة مرارة الأسر والسبي أصبح من المفترض أن يحنوا للماضي ، فتصبح القدس بنظرهم الآن أهم بقعة جغرافية في الأرض لا من حيث قدسيتها إنما لأنها رمزت لكيانهم الذي دام ما يقرب من المئتي عام منذ عهد داود وحتى سقوط القدس بأيدي البابليين.

لننظر الآن إلى كيفية تصورهم للقدس وهم على ضفاف الفرات في السبي:

جاء في المزمور ١٣٦ (على أنهار بابل هناك جلسنا بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحاً. كيف نرنم ترنيمة يهوه في أرض غريبة، إن نسيتك يا أورشليم تُنسى يميني. يابنت بابل المخربة طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا .

ويتبين أن النبي حزقيال كان شاهداً أيضاً على حوادث الخيانة المقيتة من جهة اليهود بحق يهوه ومعبده. فهو يروي مثلاً أنه دخل بيت الرب وإذا شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت اسرائيل مرسومة على الحائط على دائرة وواقف قدامها سبعون رجلاً من شيوخ اسرائيل. ويرى حزقيال نسوة يهوديات جالسات يبكين على تموز (تموز إله البابليين) ويقول (وفي مكان آخر من البهو الداخلي للمعبد بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلا ظهورهم نحو هيكل يهوه ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس (حزقيال ٨ . وقد شاهد هذه الأشياء في معبد يهوه قبل الأسر البابلي.

ومع مرور أيام السبي فقد اليهود المسبيون أية صلة بالإله يهوة وبمعبده في القدس فراحوا يتعبدون لآلهة تلك الأرض التي هم عليها ساكنون.

ويشخص حزقيال السامرة وأورشليم على هيئة زانيتين تخونان على الدوام زوجهما الشرعي يهوه مع عشاق آشوريين ومصريين وبابليين. ويرسم هذا النبي لوحات طبيعية للغاية وشهوانية جداً من الفسق (الاصحاح ٢٣)

والملفت للنظر أن كتبة التوراة ينسبون لإرميا وغيره من الأنبياء بعض الكلام المرتبط بمعبد يهوه والذي يدخلون فيه تصورهم السياسي وأساليبهم في استعطاف

القوى وتحريضها لمساعدة اليهود في إعادتهم لإقامة الهيكل الجديد . فنرى مثلاً في كتاب أخبار الأيام الثاني يتم الاستناد إلى نص نبوءة حول أن يهوة «نبه روح كورش ملك فارس وأمره بأن يبني معبد يهوه في أورشليم والمؤلف ينسب هذه النبوءة لإرميا بينما لا يوجد هكذا مداخلة في كتاب إرميا بل هي واردة في كتاب أشعيا» ٤٤: ٢٨ .

ومن المعروف أن كورش ملك فارس وثني أو هو من أتباع الديانة المجوسية التي تستند إلى عبادة النار وتقديسها، فكيف يمكن لهذا الملك أن يقتنع بأن لإله اليهود بيتاً يجب إعادة بنائه؟.

الواقع أن اليهود ساهموا مساهمة فعالة في مساعدة الفرس للقضاء على الدولة البابلية. وهذا ما جرى وقد أوردت التوراة في سفر (إستير) قصصاً عن قيام اليهود بذبح عشرات من البابليين المسالمين بعد أن استتب الوضع لصالح الفرس والقضاء على الدولة البابلية.

وفي عصر الفرس صار الهمّ الأكبر لزعماء اليهود الدينيين والسياسيين هو دفع عامة اليهود للذهاب إلى فلسطين وبناء معبد يهوه من جديد. وعلى الرغم من نداءاتهم المتكررة فإن غالبية اليهود رفضت الذهاب إلى فلسطين والسبب في ذلك كما ورد في المصادر البابلية أنهم بلغوا شأواً كبيراً وازدهاراً ضخماً واستحوذوا على المال والتجارة فلم يكونوا يتحفزون للذهاب إلى فلسطين. وحين أصدر كورش مرسومه القاضي بالسماح لليهود بالذهاب إلى فلسطين وإعمار معبد ليهوه لم يسلك الجميع طريق الذهاب فوراً بل كان الجزء الغالب من الذين ذهبوا إلى فلسطين من الكهنة وليس من عامة المسبيّين، وفي سبيل تحريض الكهنة اليهود لبقية اليهود المسبيين فقد نافقوا نفاقاً شديداً لكورش الملك الفارسي حتى يدفع باتجاه ذهاب اليهود إلى فلسطين. يقول المؤرخ اليهودي يوسف فلافيوس الذي عاش بعد ذلك بكثير في القرن الأول بعد الميلاد في مؤلفه حول التاريخ لليهود (إن اليهوذيين في بابل أخبروا كورش فور دخوله إلى بابل أن انتصاره قد تم التنبؤ به من قبل نبيهم

القديم قبل أكثر من قرنين وأن ذلك على حدّ الزعم جعل كورش يصدر مرسومه حول ذهاب اليهوذيين إلى فلسطين)[1]

على أية حال فإن مكوث اليهود في السبي البابلي عشرات السنين أفادهم جداً بالتعرف على حضارة راقية امتازت معابدها بالفخامة. وقد رأى بعض الباحثين أن مقارنة اليهود بين هذه المعابد البابلية وبين معبدهم بالقدس ومعابدهم الأخرى قد جعلهم يتطلعون إلى معبد على غرار معابد البابليين.

وربما كان هنالك الكثير من اليهوذيين الذين بدأ يتهيأ لهم أيضاً أن يهوه أيضاً هو عبارة عن مجرد إله صغير مقارنة مع إله بابل الجبار مردوخ. كما تفيد بعض المصادر البابلية فإن بعض اليهود في الجيل الثاني راحوا يتزاوجون مع البابليين ويحملون أسماء بابلية ويقلدون عادات البابليين ناسين بالتدرج إلههم وليس صدفة أن يهوه لدى إشعيا الثاني ينادي (هوذا من أجل آثامكم قد بعتكم ومن أجل ذنوبكم طلّقت أمكم لماذا جئت وليس إنسان ناديت ولا مجيب هل قصرت يدي عن الفداء وهل ليس فيّ القدرة للانقاذ).[1] ٥٠: ١- ٢ .

وقد يرى بعض الباحثين أن ديانة يهوه قد خطت خطوة جيدة نحو التوحيد الإلهي، وهذه الخطوة سيلحقها خطوة أخرى في تطور مفهوم المقدس لدى اليهود. فبعد المعاناة القاسية التي ذاقها اليهود في بابل أصبحوا يتوقون إلى معبد مثالي ليس مثله على الأرض فلذلك سنرى أنبياء التوراة في السبي يشددون على التعلق بالمعبد المقدس المثالي الذي تصوروه أنه سيقام في القدس.

بعد مرحلة السبي ومرحلة السماح لليهود بمغادرة بابل توجه بعضهم إلى فلسطين بشكل إفرادي أو بشكل جماعي صغير وراحوا يتسربون إلى فلسطين حيث كان الوضع فيها في تلك الأثناء مستتباً والشعب الكنعاني يعيش آمناً بينما كان كورش يستعد لشن حملة عسكرية كبيرة على مصر التي كانت تعتبر أي خطر على أرض كنعان يهدد مصالحها وأراضيها. وكانت مصلحة كورش السياسية أن يعيد

---

[1] آحو يوسف النبوءات التوارتية ص١٩٢

[1] آحو يوسف. النبؤات التوراتية ص١٩٣

اليهود سراً وتسرباً إلى فلسطين ليكونوا عوناً له في زحفه على مصر والواقع أن نصوص التوراة تتغافل تماماً عن وضع القدس وفلسطين أثناء رحيل اليهود مرة أخرى إلى فلسطين، وتصف التوراة الأرض بأنها ليس فيها بشر وأن اليهود رجعوا إلى القدس دون أي عقبات وراحوا يعيدون تعمير معبد يهوه وامتد تشييدهم له عشرين عاماً حسب نص التوراة. أما أين سكان البلد الأصليون ففي التوراة مغيبون لا ذكر لهم على الاطلاق وكأن فلسطين بقيت خراباً سبعين سنة تنتظر عودة اليهود إليها ليعيدوا تعميرها لكن التوراة تشير إشارات واضحة لليهود الذين لم يسبوا، وتقول عنهم إنهم عرفوا بالوثنية وأنهم نسوا نهائياً معبد القدس...

لم يستقر الوضع للفرس في فلسطين والساحل السوري ففي سنة ٣٣٢ ق.م استولى الاسكندر على فلسطين ودخل القدس. ومن طبيعة الشخصية اليهودية أن يوالي اليهود القوة الصاعدة على مسرح الأحداث. فبعد أن أعانوا الفرس ضد بابل انقلبوا ضدهم عندما جاء الاسكندر وقد تحدث عن دخول الاسكندر القدس المؤرخ اليهودي يوسيفوس المتوفى عام ١٠٠ ق.م في تاريخه فقال (رحل الاسكندر متوجهاً إلى أورشليم فلما سمع اليهود بمجيئه إليهم خافوا منه فلما علم الكاهن الأكبر جمع اليهود الذين هناك وأمرهم فصاموا وصلوا وتصدقوا وقصدوا الله عز وجل وسألوه الكفاءة ثم خرجوا يستقبلون الاسكندر لما قرب من المدينة وعظيم الكهنة قدامهم ثم إن الكاهن الأكبر لقي اسكندر بالاكرام والاجلال ومضى معه حتى أدخله القدس.[٢]

وكما تسمى اليهود إبان الحكم الفارسي بأسماء فارسية فإنهم عندما دخل الاسكندر الهيكل على حد قول التوراة قال الكاهن متملقاً (طلبت من جميع الكهنة أن يسموا كل مولود ذكر يولد لهم في هذه السنة اسكندر وأن يدعوا لك كلما دخلوا الهيكل[٣]

---

[٢] تاريخ يوسيفوس ص٢٧ - ٢٨ نقلاً عن كتاب مصطفى الدباغ بلادنا فلسطين ص٥٥

[٣] المصدر السابق

ولما حكم انطيوخس الرابع ١٧٥ - ١٦٣ ق.م ضغط على اليهود ليتركوا تقاليدهم عاملهم شر معاملة فهدم أسوار القدس ودك حصونها ونهب الهيكل وذبح الخنازير على مذبحه ووضع عليه تماثيل يونانية. ثم في عام ١٠٤ ق.م احتل السلوقيون القدس مرة أخرى وهدموا حصونها.

وفي عام ٦٣ ق.م هاجم القائد الروماني (بومبي) القدس فهدم أسوارها وحصونها ثم في عام ٥٤ ق.م قام القائد الروماني (كراسس) بنهب الهيكل وأخذ كل خزائنه.

وفي عام ٤٠ ق.م تمكن الفرس من الاستيلاء على بلاد الشام وضمنها القدس لكن الرومان تمكنوا بعد سنتين أي عام ٣٨ ق.م من طرد الفرس واستعادة البلاد تحت الاستعمار الروماني.

وحكم هيرودس القدس عام ٣٧ ق.م وقد جدد في بناء هيكل القدس إرضاء لليهود الذين كانوا يبغضونه. ولم يعمر هذا الهيكل طويلاً فقد هدمه الرومان يوم تدميرهم للقدس سنة ٧٠م.

ويقول المؤرخون أن السيد المسيح عليه السلام ولد في آخر سنة من حكم هيرودس. وبعده حكم الرومان القدس حكماً مباشراً ومن ولاتهم بيلاطس النبطي الذي حدثت وقائع السيد المسيح في عهده

ونلاحظ في غالبية المدونات التاريخية إغفالاً واضحاً للسكان الكنعانيين العرب الذين كانوا يعيشون في القدس وبقية البلدان والقرى الفلسطينية.

وتورد بعض المصادر أن مدينة غزة استعصت على الاسكندر وجيشه فحاصرها طويلاً ثم دك أسوارها وأجرى فيها مذبحة مروّعة وكانت مدينة غزة فلسطينية السكان والحكم ولم يستطع اليهود ولا في أي حقبة زمنية احتلالها.

والانتقال من حكم الفرس إلى حكم اليونان لم يغيّر شيئاً من الأحداث في فلسطين باستثناء مقاومة مدينتي صور وغزة للزحف المقدوني. لقد عانى الكنعانيون الكثير من نير الفرس واليهود المتعاونين.

ويرى الباحثون أن اليهود في أثناء الحقبة اليونانية توجهوا من القدس وفلسطين إلى مصر - الاسكندرية حيث تمت هناك أول ترجمة للتوراة إلى اليونانية.

أما بالنسبة للأماكن المقدسة التقليدية للقبائل (شكيم وبيت إيل وشيلوه) كانت في الشمال ولهذا كان اتخاذ أورشليم مركزاً للسلطة وعاصمة ومقراً لتابوت العهد بقرار سياسي بحت من داود قد بدا في نظر سكان السامرة إلغاءً للتقاليد واغتصاباً للسلطة من قبل داود المنتمي إلي يهودا وقد عمل سقوط السلوقيين بعد هزيمتهم أمام الرومان على حرمان أورشليم من دعم الملك أنتيخوس فاستغل السامريون ذلك لإحداث انقسام حقيقي جدي فراحوا يمارسون عبادتهم لا في أورشليم وإنما في الجبل القديم المقدس (جرزيم بدءاً من حكم انتيخوس الرابع ومنذ ذلك الحين صار ينظر إلى السامريين من قبل كهنة أورشليم على أنهم جاحدون مدنّسون[1]

وتؤكد النصوص اليونانية المكتشفة في الأردن أن معظم سكان فلسطين أيام الرومان كانوا من العرب وهناك مهاجرون آخرون قدموا مثل سائر الموجات السابقة منذ ثلاثة آلاف عام من جزيرة العرب فأقاموا مملكة الانباط في القرن الرابع ق.م.

وحين بدأ السيد المسيح دعوته للعودة إلى التوحيد غضب كهنة اليهود. وصب المسيح جام غضبه على كهنة الهيكل (يقول انجيل لوقا ١٩ / ٤٥ –٤٧ ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه قائلاً لهم مكتوب أن بيتي بيت الصلوات وأنتم جعلتموه مغارة لصوص، وكان يعلم كل يوم في الهيكل وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون أن يهلكوه. ولم يجدوا ما يفعلون لأن الشعب كله كان متعلقاً به يسمع منه.

وفي انجيل متى ٢١ / ١٢و١٣ (ودخل يسوع إلى هيكل ا لله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل. وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهم مكتوب أن بيتي بيت الصلاة يدعى. وأنتم جعلتموه مغارة لصوص)

هذا ولابد أن الصيارفة وباعة الحمام وغيرهم قدموا الرشوة للكهنة للحصول على محلات ضمن حدود الهيكل المقدسة.

---

[1] روجيه غارودي. فلسطين أرض الرسالات السماوية ص١٠١ – ١٠٢

فمن الواضح أن ما يسمى الهيكل ظل على حاله منذ أيام سليمان كما تقول التوراة. لقد كان مكاناً تعبد فيه الآلهة الوثنية ثم صار مكاناً لجماعة اللصوص وباعة الحمام. وهذا ما يؤكد ما قلناه من أن هذا الهيكل ليس له صلة بالإله الواحد بل هو مكان عبادة للبشر صنعوا فيه الأوثان والاصنام التي تمثل آلهة الشعوب آنذاك.

وقد دمرت أورشليم تدميراً كاملاً وقد تم هذا وفقاً لتحذير السيد المسيح (ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل فقال لهم يسوع ما تنظرون الحق أقول لكم إنه لا يُترك ههنا حجر على حجر لا ينقض.

وبقيت أورشليم خربة مدة طويلة لا يسكنها إلا حامية رومانية . ثم دمرت المدينة نهائياً زمن هدريان وحرث موقعها التي كانت قائمة عليه وقتل عدداً كبيراً من اليهود وسبى عدداً يتجاوز عدد القتلى ثم منعهم من دخول القدس والسكن فيها بل ومن الدنو منها وقد سمح للمسيحيين ن يقيموا فيها على ألا يكونوا من أصل يهودي وسمى المدينة إيليا كابيتولينا.

يقول ابن البطريق المؤرخ القاهري حول تدمير هدريان لبيت المقدس. وهذا خراب بيت المقدس فمن اليهود من هرب إلى مصر وإلى الجبال والغور وأمر الملك أن لا يسكن المدينة يهودي وأن تقتل اليهود ويستأصل جنسهم وأن يسكن المدينة اليونانيون وأن تسمى باسم الملك إيليا فسميت بيت المقدس منذ ذلك الوقت إلى هذه الغاية مدينة إيليا فسكنها اليونانيون وبنوا على باب الهيكل الذي يقال له البهاء برجاً وصيروا فوقه لوحاً كبيراً وكتبوا اسم الملك إيليا.

وقد أمر الملك الامبراطور ببناء هيكل (للمشتري) على أنقاض هيرودوس ونصب تمثاله بالقرب من الصخرة المشرفة.

وعندما تبنى الامبراطور قسطنطين المسيحية ٣٠٦ - ٣٣٧ جعل الديانة المسيحية هي الرسمية في البلاد وجاءت والدته هيلانة إليها عام ٣٢٦م للعثور على مواقع الحوادث المهمة التي حدثت للمسيح ولبناء الكنائس تذكاراً لها... وأمرت بهدم هيكل المشتري والتماثيل التي أقامها هدريان وقامت ببناء كنيسة القيامة التي يعتقد المسيحيون أنها ضمت قبر السيد المسيح قبل رفعه إلى السماء وقد تم تدشينها عام ٣٣٥م.

ويقال أن كنيسة العذراء بنيت عام ٥٢٩م في موقع الهيكل. وقد بنيت كنائس كثيرة في ذلك العهد.

بقيت القدس متمتعة بسلام طويل منذ طرد اليهود منها عام ١٣٥ إلى سنة ٦١٤ وهي السنة التي هاجمت فيها جيوش الفرس الامبراطورية الرومانية فاحتلت بلاد الشام ودخلت القدس عام ٦١٤ بعد أن انضم إليهم أكثر من ٢٠ ألف يهودي اجتمعوا من عدة بلاد وأشعلوا النيران بكنيسة القيامة وسويت على الأرض. وكان لليهود اليد الطولى في الخراب والدمار والنهب والسلب والتدمير وقدر عدد القتلى من المسيحيين بالقدس أكثر من ٦٠ ألف نسمة دفن نحو ٥٠٠ - منهم في (ماملا)، ولم يُذكر أي تشييد لما يسمى الهيكل ثم عادت القدس إلى الرومان عام ٦٢٦ . وبقيت هكذا مدة عشر سنوات أي إلى عام ٦٣٦ عندما زحف المسلمون وحرروا القدس وفلسطين وسائر بلاد العرب من الاستعمار الروماني...

لقد بدا واضحاً أن مايسمى الهيكل وهو الهيكل الثاني الذي بني بعد مجيء اليهود إلى فلسطين من السبي البابلي لم يعد له أثر في الوجود طوال أكثر من خمسمائة عام أي طوال فتح الحكم الروماني واستعماره لفلسطين. وإذا اضفنا أربعة عشر قرناً في ظل الحكم الاسلامي منذ انتصار المسلمين على الروم في معركة اليرموك أصبح لدينا مايقرب من الألفي عام التي لا وجود فيها لأي أثر من آثار ما يسمى الهيكل أو معبد يهوه وبعد ألفي عام من الاندثار وعدم الوجود من يستطيع أن يثبت أن هنا في بيت المقدس كان يقبع مايسمى هيكلاً لليهود؟

أما وضع القدس والمعابد فيها في ظل الحكم العربي الاسلامي فنجعله في بحث لاحق لأنه يرتبط بالرؤية الاسلامية لبيت المقدس المستندة على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

الفصل الثالث

القدس في منظور الحركة الصهيونية

اليهودية والصهيونية الغربية

ظهرت قبل الحركة الصهيونية المنظمة ١٨٩٧ أي قبل مؤتمر بال الذي عقد بقيادة ثيودور هرتزل عدة دعوات صهيونية تجسدت أحياناً بدعوات فردية وأحياناً أخرى بدعوات جماعية نادت بها بعض الحركات والمنظمات الصهيونية خاصة في أوروبا الشرقية وقد بدأ ظهور هذه الدعوات تقريباً منذ عام ١٧٩٨ على أيدي بعض الحاخامات. من هؤلاء يهودا القالي وهو من أسرة يهودية صربية كانت تسكن في سراييفو. وقد زار هذا الحاخام القدس في صباه خضع لتأثير نزعات القبالة اليهودية في صوفيتها وميلها الشديد إلى الحلول والتناسخ وتفسيرها الرمزي لجميع الاعداد والحروف في التلمود وبدأ يعبر في كتاباته عن ضرورة القيام بمجهود إنساني خاص لتحقيق خلاص اليهود فنشر كتاباً اسماه (اسمعي يا اسرائيل). واقترح فيه إقامة مستعمرات في فلسسطين لكي تكون مقدمة للخلاص المنتظر. ولكي يتم ذلك يجب السعي لدى السلطان العثماني من أجل درّ العطف على اليهود والعودة الجماعية إلى (الارض الخراب) كما يسميها.

وهاجر القالي إلى فلسطين في عامه السبعين وانهى آخر أيامه في القدس حيث توفي عام ١٨٧٨ .

دعا القالي للهجرة إلى فلسطين باعتبارها حسب رؤيته أرض الخلاص لليهود. لكنه في مقالاته لم يركز على القدس كرمز للسيادة الاستيطانية اليهودية. أو كرمز للمقدس اليهودي. ومع ذلك كان يصف فلسطين كلها بالأرض المقدسة.

ويظهر بعده الحاخام زفي هيرش كاليشر ١٧٩٥ - ١٨٨٤ وهو من بولونيا. وكان من أهم أفكاره إبراز علاقة ما بين اليهودية والأرض المقدسة. ولذلك دعا إلى هجرة اليهود إلى فلسطين والسكن في القدس. وكان أيضاً من أهم أسس دعوته مساعدة اليهود المهاجرين بالمال وشراء الكروم والبساتين والعمل بها تمهيداً للخلاص اليهودي الشامل الذي يعيد اليهود إلى فلسطين ولم يتضح أيضاً في مقالاته مفهوم المقدس الخاص الذي يرتبط بالقدس.

ويجدر بنا أن نلاحظ أن المفكرين الصهاينة الأوائل لم يجرؤوا على الحديث عن القدس،خاصة أن الخلافة العثمانية كانت وصية على المسجد الأقصى ولا تستطيع الدعوات اليهودية أن تتمادى في الحديث عن القدس طالما أن السلطة العثمانية المسلمة هي حامية للقدس والمقدسات الاسلامية.

وفي عام ١٨٦٢ خرج لنا المفكر اليهودي الألماني موسى هس بكتابه المعنون (روما والقدس) وقد ركز في أحد جوانبه على مفهوم العودة اليهودية فاستفاد من مقولات النبي أشعيا التي ترى أن الرب غفر خطايا اسرائيل وإنه يعد اليهود بإقامة مجده الرباني في القدس. يقول:(ولكي نبعث الامة اليهودية إلى الحياة ثانية يتوجب علينا أن نبقي فكرة البعث السياسي لأمتنا حية أولاً وأن نوقظ هذا الأمل حيث بدأ يغط بسبات عميق ثانياً. وعندما تتهيأ الظروف السياسية في الشرق لدرجة تسمح لتنظيم عودة الدولة اليهودية للحياة تكون هذه العودة بتأسيس مستعمرات في أرض أجدادنا ولا شك أن المساعي الفرنسية تمد لنا يد العون.

ويقول: وكما يوافق اليهود على العودة إلى فلسطين فإنه يضع شرطاً وهو أن يعاد التقليد الديني للتضحية إلى القدس الجديدة).

ومن المفكرين اليهود الذين نظروا إلى القدس نظرة رومانسية واختلفوا مع الحركة الصهيونية المفكر والشاعر العبري (حاييم نحمن بيالك). وقد ألقى كلمة في حفل افتتاح الجامعة العبرية في القدس في ١٩٢٥/١/٤ م وقد أكد فيها على الارتباط الرومانسي بين اليهودي وبين أرض فلسطين يقول في معرض كلمته (وفي هذا اليوم ستصل الانباء السارة إلى جميع عائلات اسرائيل المبعثرة في كل مكان بأول وتد في عملية تشييد القدس العالمية فقد ثبت اليوم وللأبد. وركز بيالك على التمسك بالتوراة ولو كان ذلك على حساب بناء الهيكل فيقول: (دراسة التوراة أهم كثيراً من بناء الهيكل) (معرفة التوراة تحتل مرتبة أسمى من الكهنوتية أو الملكية) ويقول داعياً الشباب اليهود إلى الهجرة (إنه من الواجب علينا أن نشعل مثل هذه النار المقدسة ضمن جدران البيت الذي افتتحناه الآن على جبل سكوبس فليبن

هؤلاء الشباب القدس الأرضية بالنار ولين أولئك الذين يعملون داخل هـذا البيت القدس السماوية بالنار أيضاً.[1]

ومع بداية القرن ظهر عدد من المفكرين الصهاينة نظروا للقدس كمركز سياسي ورمز لسلطة دولة يهودية في القديم والحديث. ومن أمثلة هؤلاء المدعو ميخاجوزف بيرديشفسكي فهو يرى أن انهيار المركز السياسي اليهود تم عندما دمر الهيكل. ويرى أن الأهم في الحياة اليهودية هو الاسرائيلي أو كما يقول: لكن الشعب اليهودي يأتي أولاً.. اسرائيل قبل التوراة وقد ربط جميع مفكري الحركة الصهيونية بين الانبعاث القومي وتحقيق الذات اليهودية وبين الهجرة إلى الأرض الفلسطينية والاستيطان فيها.

ولعل من أبرز المفكرين الصهاينة الذين عالجوا قضية القدس ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر الصهيوني الأسبق. وقد نظر إليها كقضية سياسية قبل أن ينظر لها كقضية دينية. فهو يرى أنه ليس هنالك من تربطه بها علاقات تبلغ في القدم الروابط التي تشد اليهود إليها. ويرى غولدمان أن الحجج التاريخية عند الفئات الاخرى في الحدود التي يمكن لتلك الحجج أن تشكل قاعدة للحلول السياسية ليست بمثل الشرعية وبمثل المتانة التي هي عند الشعب اليهودي. ويدعي غولدمان أنه ولا واحدة من تلك الشعوب أو الفئات عاشت في وقت من الأوقات في القدس الموغلة في القدم[2]

ويدعي غولدمان: أن واقعة تشكيل السواد الاعظم من سكان القدس خلال القرون الأخيرة كان من العرب لا يعتبر مسوغاً قانونياً للمطالبة بالقدس.

ثم يرى أنه من حق اسرائيل الشرعي أن يسمح لها بجعل المدينة بكاملها عاصمة لها بفعل التعلق اليهودي خلال ألف عام بالمدينة.

لكن غولدمان نفسه يعترف أن عدداً من الحاخامات اليهود أكدوا خاصة بعد عام ١٩٦٧ عندما ضم الكيان الصهيوني القدس لكيانه أنه لا وجود لنصوص

---

[1] الفكرة الصهيونية النصوص الاساسية . صفحة ١٧٩

[2] ناحوم غولدمان. اسرائيل إلى أين صفحة ٧٦

تلمودية تأمر وتنهي بشأن ضم القدس: يقول غولدمان: عندما قررت الحكومة الاسرائيلية بعد حرب ١٩٦٧ بقليل ضم القدس اقترح اليد موشي حاييم شابيرو الذي كان آنذاك رئيس حزب المتدينين (مزراحي) ضد قرار الضم وكان رجلاً معتدلاً يتمتع بحكمة سياسية واسعة. لقد نفى هذا العلاّمة نفياً قاطعاً أن يكون هنالك أوامر ونواهٍ ذات أصل ديني تنص على ضرورة ضم القدس.

ويرى غولدمان أنه في حالة تخصيص كياني قانوني للمدينة القديمة لن يكون هنالك من داعٍ للتأشيرة الاسرائيلية بل تمهر الجوازات بتأشيرات خاصة بمدينة القدس تكون من الوجهة القانونية لا يهودية ولا إسلامية ولا عربية. وعندما يحظى هذا الاقتراح بالقبول سيتكشف عن إمكانات غنية فتصبح القدس من جديد مركزا دينياً وحضارياً كبيراً بالنسبة للديانات الكبرى الثلاث التي هي مدينتها المقدسة.

ويعتبر هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة من أكثر المفكرين اليهود تناولاً لمسألة القدس. فهو كداعية أول للحركة الصهيونية، وباعث التوجه الصهيوني لاحتلال فلسطين يرى في مسألة العلاقة بين اليهود والقدس رأياً متطرفاً أو أكثر حدية من غيره من المفكرين الصهاينة.

فهرتزل يزور القدس عندما كانت في ظل الحكم العثماني. فيرى أنها مدينة لا يمكن أن تعجبه. يقول في يومياته (عندما أتذكرك في المستقبل أيتها القدس فلن تكون ذاكرتي سعيدة. إن عفونة ألفي سنة من اللاانسانية والظلم والوسخ تنبعث رائحتها من الشوارع الضيقة. إن الرجل الذي كان موجوداً فيها طيلة ذلك الوقت الناصري الحاكم المحبوب لعب دوراً في زيادة الكراهية[1]

ويقول إذا ما حصلنا على القدس يوماً وإذا كنت لا أزال نشيطاً أستطيع أن أقوم بالأعمال فسأبدأ بتنظيفها قبل أي شيء وسأبدأ بإزالة كل ما ليس مقدساً.

وقبل نهاية القرن الماضي حاول هرتزل كسب عطف القيصر الروسي. لكن قيصر روسيا رفض استقباله والتعاطف معه. ولكي ينفذ هرتزل خطته آنذاك، طرح رؤية لحل مشكلة الأماكن المقدسة في فلسطين، فيرى أنه يمكن ايجاد حل للأماكن

---

[1] يوميات هرتزل ص١١٩ .

المقدسة وذلك بوضعها خارج نطاق الحكم باتفاق جميع القوى. وباعادة تنظيم الاحوال ستكون الاماكن المقدسة في مأمن أفضل مما هي عليه الآن الأمر الذي يكون أفضل لمشاعر العالم الاسلامي[٢]

واستكمالاً لتنفيذ المشروع المتعلق بالقدس. حضر إليها وفد يمثل اللجنة الصهيونية في لندن برئاسة حاييم وايزمان وذلك في شهر نيسان ١٩١٨م.

وفي أيار من عام ١٩١٨ طلب وايزمن من السلطة العسكرية التوسط لشراء الممر المؤدي لما يسمى حائط المبكى. وقدم ثمانين ألف جنيه ثمناً. ولكن أهل القدس رفضوا ذلك بالاجماع.

وفي آذار عام ١٩٢٥ قام بلفور بزيارة فلسطين لافتتاح الجامعة العبرية في القدس ودعي أحمد لطفي السيد رئيس الجامعة المصرية إلى حضور الاحتفال فحضر على رأس وفد مصري[٣]

وقد حاول اليهود عام ١٩٢٩ الاستيلاء على حائط البراق في المسجد الاقصى فقامت ثورة في شهر آب من قبل المسلمين والمسيحيين العرب في فلسطين وأُسقطت هذه المحاولة ويدعي اليهود أن حائط البراق هو حائط المبكى.

وقد غادر الانجليز القدس يوم الجمعة ١٤ أيار عام ١٩٤٨ بعد أن خلقوا الظروف المناسبة محلياً وعربياً ودولياً لاستيلاء اليهود على فلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨موبعد عام ١٩٦٧ وإثر نكسة حزيران استولى جيش العدو الصهيوني على القدس وعلى المسجد الاقصى وقام اليهود بسلسلة أعمال الهدم لأملاك العرب داخل السور وخارجه. فقد أزالوا ١٣٥ داراً في حي المغاربة وهدموا مسجدين في ذلك الحي ثم هدموا ١٤ داراً من الدور الاثرية والدينية بحجة توسيع كشف امتداد الحائط الغربي للحرم الشريف المسمى بحائط البراق الشريف وفي عام ١٩٦٧ أيضاً أقر البرلمان الصهيوني ضم القدس العربية إلى القدس الغربية وحلت بلدية القدس، وفي عام ١٩٦٨ أقدم الصهاينة على حرق المسجد الأقصى ومحاولة إزالته. وبدأت

---

[٢] يوميات هرتزل ص١٣٢ .

[٣] محمد حسن شراب بيت المقدس المسجد الأقصى. صفحة ٢٢٣

المرحلة الأولى في أواخر عام ١٩٦٧ وتمّت سنة ١٩٦٨ وجرت على امتداد ٧٠ متراً من أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدسي. ووصل عمق هذه الحفريات إلى ١٤ متراً. والمرحلة الثانية تمت سنة ١٩٦٩ وجرت على امتداد ٨٠ م أخرى من سور الحرم القدسي. المرحلة الثالثة بدئ بها منذ عام ١٩٧٠ واستمرت حتى نهاية ١٩٧١ . وعلى امتداد ١٨٠ متراً. والمرحلتان الرابعة والخامسة بدئ بهما سنة ١٩٧٣ واستمرتا حتى عام ١٩٧٤ في موقع خلف الحائط الجنوبي. والمرحلة السادسة وبدئ بها أوائل ١٩٧٥ . والمرحلة السابعة وهي مشروع تعميق ساحة البراق الشريف التي يدّعون أنها ساحة المبكى. المرحلة الثامنة وتتناول منطقة تقع خلف الجدران الجنوبية للمسجد وتهدف إلى الكشف عما يسمى بمدافن ملوك اسرائيل. وقد نشب خلاف حولها بين جماعة ناطوري كارتا (حراس المدينة) التي تطالب بوقف الحفر وفرق الحفر التابعة لوزارة الاديان. والمرحلة التاسعة إلى نفق قديم تم اكتشافه منذ عام ١٩٨٠ . وقد منح الصهاينة النفق في عام ١٩٩٦ لحركة اليهود مما أدى إلى اندلاع انتفاضة الشعب الفلسطيني وجرت اشتباكات دموية راح ضحيتها أكثر من ٧٠ فلسطينياً وقتل أكثر من ١١ صهيونياً. وكانت الهيئة الإسلامية للمسجد الاقصى قد اغلقت طرفي النفق عام ١٩٨١ في ٣ / ٩ أثناء الاضراب العام الذي شمل الضفة الغربية كلها احتجاجاً على حفريات النفق. إلا أن حكومة الليكود بزعامة نتنياهو أقرت فتح النفق مدعية أنه نفق أقيم زمن مملكة داود أو سليمان.

وقد سجلت الوقائع عشرات المحاولات اليهودية لاقتحام المسجد الاقصى وحرقه أو وضع متفجرات تحت أسواره.وكان الحاخامون اليهود أكثر المحاولين لنسف المسجد الأقصى.

ولعل موضوعة القدس في الرؤية الصهيونية تتجلى بشكل كبير لدى الحركات الصهيونية التي أنشئت داخل فلسطين المحتلة بتأييد مباشر وغير مباشر من حكومات العدو الصهيوني المتتالية وهذه الحركات كانت بجميع الاشكال مسؤولة عن المحاولات الجادة لتدمير المسجد الأقصى.

من أهم هذه المنظمات والحركات حركة كاخ التي كان يتزعمها الارهابي الحاخام مائير كاهانا الذي قتل في أميركا قبل سنوات.

فكاهانا ينكر وجهة النظر السائدة بشأن القدس الموروثة لأرض (اسرائيل) فهو يرى أن هذه الارض هي وسيلة وأداة في أيدي اليهود تساعدهم في تحقيق مصيرهم.

يقول كاهانا (إن وجود الغرباء من غير اليهود في هذه الأرض هو رمز لإنكار سيادة الخالق ومقدرته على توزيع الأرض كما يشاء وكذلك سيادته على العالم. إن أعظم تدنيس لاسم الرب هو إنكار هؤلاء الغرباء لحق اليهود في هذه الأرض أي إنكار سيادة الرب الذي خصص أرضاً معينة لشعب معين) ويقول (إن وجود عرب في فلسطين هو تحقير لاسم الرب لذا فإن طردهم عمل ديني قبل أن يكون عملاً سياسياً. ومن أهم الحركات الصهيونية وأخطرها بشأن القدس حركة أمناء الهيكل. وتقوم نظرية هذه الحركة على أن إعادة بناء الهيكل مهمة ملحة وأولية لدى اليهود وهذا يتطلب تدمير المسجد الاقصى ومسجد عمر وجميع المقدسات الاسلامية في القدس.

وكان من أعنف المحاولات لتدمير الاقصى ما حدث يوم ١٩٨١/٨/٩ الذي يصادف ما يسمى بخراب الهيكل. حيث حاولت مجموعة كبيرة من أتباع الحركة التسلل أكثر من مرة ومن عدة أبواب إلى داخل الحرم القدسي. وقد كسروا باب المغاربة وصعدوا إلى بناية التنكزية وقد جاءت محاولتهم لفرض الأمر الواقع اليهودي على الحرم القدسي ضمن خطة مرسومة وفي ١٩٨٣/٣/٣١ تمكن بعض أفراد الحركة من الوصول إلى المسجد الاقصى. وفي هذه الأثناء كانت الصحافة الصهيونية تطالب في مقالاتها وتعليقاتها بالسماح لليهود بالدخول إلى الأقصى.

وحاولت هذه الحركة الدخول للأقصى في ١٩٨٢/٤/١٠ فتصدى لأعضائها حراس المسجد فاستغل جندي صهيوني يدعى (إيلي جوتمان) ذلك واقتحم الحرم القدسي وهو يطلق النار مما أدى إلى استشهاد عربيين وسقوط ١٢٠ جريحاً وحدوث حرائق في سجاد قبة الصخرة.

وفي ليلة الجمعة الموافق ١٩٨٤/١/٢٧ قامت مجموعة مسلحة من هذه الحركة بمحاولة لنسف الحرم القدسي بعد اقتحامه من الناحية الشرقية بالقرب من باب الرحمة.

أما المجزرة التي قامت بها الحركة يوم الاثنين ١٩٩٠/١٠/٨ فقد دُبرت مسبقاً حيث أن الحركة كانت قد حضرت حجر أساس لوضعه في ساحة الحرم إذا أمكن ليكون حجر الأساس لإقامة الهيكل المزعوم وكانت الشرطة وعناصر الجيش تعرف مسبقاً بذلك وتعرف أيضاً أن المسلمين لن يسكتوا على ذلك فإذا ما حاولوا منع أعضاء الحركة فإنهم يمطرون المسلمين بالرصاص. وفعلاً فقد تم ذلك وحين بدأ المسلحون برشق جنود الاحتلال بالحجارة أنهالوا مع أفراد الشرطة على المسلمين باطلاق النار والغاز مما أدى إلى استشهاد ثلاثة وعشرين مسلماً وجرح أكثر من أربعمائه حسب المصادر. وقد انتشرت الجثث في ساحة الحرم وسالت الدماء هنا وهناك وعلى الرغم من ذلك فقد صرح حاخام حركة أمناء الهيكل أنه يجب العمل على طرد الفلسطينيين بأي وسيلة ولو كانت وسيلة القتل والابادة.

ومازال الاحتلال الصهيوني يفتعل كل يوم سبباً لاقتحام المسجد الاقصى وتشريد المسلمين واقامة الحفريات في جوانب المسجد حتى ينهار ويقيموا الهيكل الثالث حسب رؤيتهم.

لقد درج الزعماء الصهاينة من متدينين وعلمانيين على ربط القدس باليهود. فحزب العمل الذي شُكل من عصابة الهاغاناة وغيرها من المنظمات الارهابية شن عدة حروب ضد الفلسطينيين والعرب. واحتل القدس عام ١٩٦٧ . وجميع هؤلاء الزعماء كانوا ومايزالون يطلقون التصريحات حول القدس بأنها عاصمة لكيانهم حتى الأبد وقد أصبح العرب من مسلمين ومسيحيين أقلية بالنسبة لليهود في المدينة المقدسة. بسبب الضعف العربي والتفكك وبسبب الاصرار الصهيوني على البقاء على الأرض المقدسية والفلسطينية بشكل عام.

لقد صرحت غولدا مائير رئيسة وزراء العدو الصهيوني عام ١٩٦٩ بالحرف أنه (لا يوجد شعب فلسطين. وهذا لا يعني أننا في طريقنا لوضعهم في الميناء وأخذ

أراضيهم إنهم غير موجودين[1] ... أما مناحيم بيغن فنراه يدلي في أوسلو لجريدة دافار ١٢/١٢/١٩٧٨ بتصريح يقول فيه (لقد عدنا لهذه الارض ولنا الحق فيها.

ويقول موشي دايان وزير حرب العدو إبان نكسة حزيران ١٩٦٧ (عندما يكون لدينا التوراة. وعندما نعتبر أنفسنا شعب التوراة يكون من حقنا أن نمتلك الارض التوراتية. أرض الحكماء القضاة وأنبياء القدس وأريحا وأماكن أخرى[2]

وعندما دخل الجيش الصهيوني القدس دعا موشي ديان وغيره من الزعماء الصهاينة السياسيين والمتدينين إليها وقال يومها. هانحن عدنا يا قدس ولن نخرج أبداً)

وبعد الاعلان الصهيوني بأن القدس الموحدة عاصمة الكيان الصهيوني الأبدية أقام الجيش الصهيوني عرضاً عسكرياً فيها ليؤكد مقولته ويثبت رؤيته بقوة السلاح. وفي عام ١٩٩٣ أعلن الكيان الصهيوني أنهم أحرارُ اليد في عمل ما يريدون بالقدس ومسألة هدم الاقصى وبناء الهيكل مسألة وقت ليس أكثر حسب ماصرح به أكثر من زعيم صهيوني.

---

[1] في تصريح لصحيفة الصنداي تايمز ١٥ حزيران ١٩٦٩

[2] جيروزاليم بوست ١٠ آب ١٩٦٧

الانجيلية الصهيونية والقدس:

منذ ظهور المسيحية واليهود يكيدون للمسيحيين على كافة انتماءاتهم المذهبية، فمنذ أن ظهرت المسيحية في روما في القرن الثالث الميلادي دس اليهود أفكارهم التوراتية في كثير من تعاليم المسيحية الأوروبية، لكن الكنيسة الكاثوليكية تشادّت تجاه اليهود واعتبرتهم الاكثر عداوة للمسيح. وقد ظلت الكنيسة الكاثوليكية تحمّل اليهود دم المسيح وتشيع بين اتباعها هذه المقولات حتى قامت حرب دموية ضد اليهود في كثير من بلدان أوروبا. وخلال ألفوسبعمائة عام ظل موقف الكنيسة من اليهود موقفاً معادياً حتى المجمع المسكوني الثاني في الفاتيكان عام ١٩٦٤. وعلى إثر الضغوطات المستمرة عبر مئات السنين اضطر بعض اليهود لاعتناق المسيحية. ودخلت الكنيسة ذاتها معترك الحياة الدينية من عدة أبواب . فمن ناحية همشت روما القدس وأصبحت مركز المرجعية الدينية المسيحية الكاثوليكية وبعد عام ٥٩٠م أصبحت روما مصدر السلطة المسيحية. وانبثق عن ذلك موقف كنسي معاد للسامية أساسه جعل اليهود يتحملون وحدهم دم المسيح كما قلنا، وترتب عليه أيضاً نظرة خاصة للتوراة - العهد القديم- هذه النظرة تقوم على تفسير التوراة ولا سيما نبوءات الانبياء تفسيراً رمزياً وليس حرفياً، واعتبرت الكنيسة أتباعها أرقى عرقاً وأرقى انسانية مما دعم بروز تيارات قومية غربية تدّعي التفوق.

والواقع أنه استناداً على هذه النظرة برزت حروب دينية شنتها الكنيسة الاوروبية على الكفار - أي المسلمين واليهود على حد زعمهم- ففي الحروب الصليبية شن الغربيون حرباً دموية ضد المسلمين واليهود على السواء وبدأت منذ ذلك الوقت سلسلة من المجازر الدموية والعنصرية ضد كل ماهو غير كاثوليكي، ففي بريطانيا وفرنسا واسبانيا شنت حملات تصفية لليهود أو طرد وكذلك فعلت روسيا القيصرية فكانت مسرحاً لمذابح كبرى لليهود عام ١٦٤٨ على يد القوزاق.

لقد نظرت أوروبا لليهود نظرة عداء فبعد أن أجرت بحقهم مذابح عديدة رأى الغربيون أن لا خلاص لأوروبا إلا بطرد كافة اليهود وخلاص البلاد الاوروبية

منهم وقد جرت محاولات عديدة لإيجاد صيغة لطردهم من أوروبا. إلا أن اليهود الذين تنّصروا ظلوا يدفعون باتجاه تغيير الموقف الديني الاوروبي تجاههم وتجاه التوراة. وبدأت الثورة التنويرية الاوروبية تعيد النظر في العلاقة بين العهد القديم التوراة والعهد الجديد. وعندما ترجمت التوراة إلى اللغة الألمانية على يد مارتن لوثر بدأت الحركة البروتستانتية التي كانت قد قويت آنذاك بالنظر إلى التوراة نظرة مغايرة للكنيسة الكاثوليكية.

وقد أصبحت التوراة في متناول الجماهير الأوروبية الشعبية ولم تعد حكراً على رجال اللاهوت وهذا ما ساعد الحركة البروتستانتية على تفسير التوراة تفسيراً حرفياً وليس رمزياً كما كان معهوداً لدى الكاثوليك وكنيسة روما.

لقد أصبح البروتستانت ينظر إلى ما جاءت به التوراة نظرة قدسية خاصة.

فالوعد الالهي بامتلاك الارض الموعودة. ومقولة الشعب المختار أصبحتا من أهم الامور التي يؤمنون بها.

ومنذ بداية القرن السابع عشر راحت نداءات الحركة البروتستانتية تنتشر هنا وهناك وتبني لأفكارها صروحاً قوية في بريطانيا خاصة حتى بدا الاتجاه القائل بشعب ا لله المختار وعودة المسيح واليهود إلى الأرض المقدسة من أقوى الاتجاهات المسيطرة على البرلمان البريطاني رغم معارضة ملوك بريطانيا له.

ويرى الكثيرون أن الصهيونية المسيحية بدأت في بريطانيا قوية منذ عام ١٦٢١ حين نشر الحقوقي الانجليزي عضو البرلمان المدعو (هنري فنش) كتاباً بعنوان (البعث العظيم للعالم) أو نداء إلى اليهود وإلى جميع الأمم والممالك في الأرض للايمان بالمسيح. وهذا الكتاب يرفض التفسير الرمزي للتوراة ويوصي صاحبه بقراءة التوراة قراءة حرفية فيقول فيه (حينما تذكر اسرائيل ويهوذا وصهيون وأورشليم في التوراة فا لله لا يعني بذلك اسرائيل روحية ولا يعني كنيسة ا لله تجمع في صفوفها الأمم واليهود المتعصّرين ولكنه يعني باسرائيل تلك التي تحدّرت من نسل يعقوب وقل الأمر نفسه فيما يخص العودة إلى أرضهم وانتصارهم على أعدائهم. فاليهود هم المعنيون حقاً وصدقاً بالتحرير. وليس المسيح هو الذي يحرر البشر)وقد دان البرلمان الانجليزي حينذاك هذا الاتجاه المتزمت القائل بعودة المسيح بعد ألف عام

واعتبره الملك جاك الأول ١٦٠٣ – ١٦٢٥ أمراً خطيراً. ولكن هذا الاتجاه بقي حجر الزاوية في الصهيونية المسيحية)[١]

وفي منتصف القرن السابع عشر تقريباً أصبحت السلطة البرلمانية في انجلترا بيد البروتستانت المتزمتين المتعصبين واليهود وقد كانوا يسمّون بالطهوريين – ومنهم بدأت الهجرة إلى أميركا بشكل واسع حيث اندمجوا مع اليهود المهاجرين مثلهم اندماجاً عقائدياً واجتماعياً حتى أنهم نظروا إلى فتوحاتهم في أميركا ضد الهنود الحمر أشبه ما تكون بما جاءت به التوراة عن فتوحات يوشع والقادة العبرانيين في أرض كنعان.

فالتغييرات اللاهوتية في الحركة الدينية الجديدة – البروتستانتية روّجت لفكرة أن اليهود أمة مختارة. ونادت كما رأينا بعودتهم إلى فلسطين. فإعادة اكتشاف العهد القديم (التوراة) في الحركة البروتستانتية كعنصر أساسي في مفاهيم الحركة بعد أن كان مهملاً من قبل الكاثوليكية قد عزز من النزعة اليهودية ودعم وجهة نظرها في الأوساط المسيحية الجديدة وأصبحت فلسطين بذلك أرضاً يهودية في الفكر المسيحي في أوروبا البروتستانتية.

لقد بدأ من وقتها الاهتمام بتحقيق النبوءات التوراتية ولا سيما ما يسمى بالعصر الألفي السعيد. وهو الاعتقاد بعودة المسيح المنتظر الذي سيقيم مملكة في الأرض والتي ستدوم ألف عام. وبدا أن القرن السادس عشر كان بداية التأكيد على شخصية اليهود وقد استمرت الحركة في الانتشار عبر القرون اللاحقة إلى أن بلغت ذروتها في القرن العشرين مع مذهب (العصمة الحرفية) الاميركي الذي يقول بأن (اسرائيل) الحالية هي التحقيق الواقعي للنبوءة في العصر الحديث[٢]

وعندما نعود إلى ما قلناه عن نفوذ اليهود والبروتستانتية في بريطانيا نرى أنه في عام ١٦٤٩ أرسل استرحام للحكومة الانجليزية جاء فيه:

---

(١) روجيه غارودي: فلسطين أرض الرسالات السماوية ص١٤٣

(٢) النفوذ الصهيوني في السياسة الفرنسية – رسالة الجهاد ليبيا ص٢١

(ليكن شعب انجلترا وسكان الأراضي المنخفضة أول من يحمل أبناء وبنات اسرائيل على سفنهم إلى الأرض التي وعد بها أجدادهم ابراهيم واسحق ويعقوب لتكون إرثهم الابدي. وكان اللذان بعثا الاسترحام هما (جوانا واينزر وكارترايت الانجليزيين البيورتيانيين المقيمين في أمستردام). وكان أولفر كرمويل الذي بقي نحو عشر سنوات رئيساً للكومنولث البيورتياني ١٦٤٩ – ١٦٥٨ متعصباً دينياً وسياسياً يؤمن بالذرائع ومن أجل حل مشكلة السماح لليهود بالعودة إلى انجلترا دعا مؤتمر رايت هول عام ١٦٥٥ لبحث مشروعية وظروف تلك العودة[٣]

والواقع أن المسيحية الصهيونية أبرزت أفكارها تجاه التوراة والنبوءات التوراتية من خلال منظورين الأول سياسي والثاني أدبي.

وقد ارتبط المفهوم السياسي بمتناقضين في الطرح. فمن جانب يرى مؤيدو الصهيونية وحرفية التوراة أن قيام وطن قومي لليهود يخلص أوروبا من شرور اليهود.

وقد صرح بذلك مارتن لوثر نفسه حينما قال عام ١٥٤٤ (من يمنع اليهود من العودة إلى أرض يهوذا؟ لا أحد. سوف نزودهم بكل ما يحتاجون إليه في سفرهم لا لشيء إلا لنتخلص منهم إنهم عبء ثقيل علينا. إنهم مصيبة كبيرة على وجودنا) يقول روجيه غارودي: (إن تلك الخلفية الفكرية التي كانت لدى لوثر أصل الصهيونية المسيحية هي نفسها التي كانت لدى بلفور الذي وفر للصهيونية السياسية انتصارها الأول حينما كان آرثور بلفور رئيس وزراء انجلترا ناصر قضية الحد من هجرة اليهود إلى انجلترا وقد اتهمه المؤتمر الصهيوني السابع بمعاداته السافرة للشعب اليهودي وهذه اللاسامية المتأصلة لدى بلفور كانت تتفق تمام الاتفاق طوال حياته قبل عام ١٩٠٥ وبعده مع الفكرة الصهيونية المطالبة بتخصيص أرض لليهود بغية تحقيق هدف واحد وهو إبعادهم عن انجلترا وكان وعد بلفور قد وعد اليهود منذ عام ١٩٠٣ باعطائهم أرض أوغندا وفي عام ١٩١٧

---

[٣] المصدر السابق ص٢٥

وانسجاماً مع أهدافه في حربه مع ألمانيا كتب إلى اللورد روتشلد تصريحه المتضمن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين[1]

ومن جانب آخر فقد رأى منظرو الصهيونية غير اليهودية أن قيام دولة اسرائيلية سيكون بمثابة رأس جسر للزحف الاستعماري نحو الشرق.

لقد بدأت عملياً نظرة تجميع اليهود في فلسطين وإعادة بناء الهيكل في زمن نابليون بونابرت الذي أطلق عليه بعض الباحثين نابليون الامبراطور الصهيوني، فقد أُعطي اليهود بعد الثورة الفرنسية حق المواطنة ومنحوا الجنسية الفرنسية وقد أعدت حكومة الادارة الفرنسية خطة عام ١٧٩٨ لإقامة كومنولث يهودي في فلسطين في حال انتصار الفرنسيين في الشرق.

وقد أصدر نابليون بمجرد وصول حملته إلى مصر بياناً حث فيه اليهود على الالتفاف حول رايته من أجل إعادة بناء (مملكة القدس) ثم وجه نداء آخر أثناء حصار عكا جاء فيه (من نابيون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في أفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين، أيها الاسرائيليون أيها الشعب الفريد الذي لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومي وإن كانت قد سلبتهم أرض الأجداد فقط) ويتابع بيانه أدركوا أن عتقاء الله سيعودون لصهيون وهم يغنون وسيولد الابتهاج بتملكهم لإرثهم دون إزعاج فرحاً دائماً في نفوسهم. ويقول (إن الجيش الذي أرسلتني العناية الإلهية والذي يقوده العدل ويواكبه النصر جعل (القدس) مقراً لقيادتي وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التي لم تعد ترهب مدينة داود)[1]

وفي ربيع ١٧٩٩ أصدر نابليون بياناً طلب فيه من يهود افريقيا وآسيا أن يقاتلوا تحت لوائه لإعادة إنشاء (مملكة القدس القديمة).

وكان الممثل الرئيسي للصهيونية غير اليهودية في حقبة نابليون المدعو آرنست لاهاران السكرتير الخاص لنابليون والذي يؤيد خطط نابليون الاستعمارية.

---

[1] روجيه غارودي - فلسطين أرض الرسالات السماوية ص١٤٧

[1] التفوذ الصهيوني في السياسة الفرنسية - كتاب رسالة الجهاد ص٣١ -٣٢

وقد عبر عن فكرته بإقامة مملكة اليهود الجديدة بقوله (يا لهم من مثل يحتـذى ويـالهم من جنس. إننا نحني رؤوسنا لكم أيها الرجال الأشداء. لقد كنتم أقوياء بعـد مأسـاة القدس لأنكم كنتم كذلك طول تاريخكم القديم وإن الباقين منكم ممكن أن ينهضـوا من جديد ويعيدوا بناء بوابات القدس)

وفي عام ١٨٨٥ قـال الحاخـام غودمـان لهرتـزل (كـأنني أرى موسـى بلحمـه وعظمه ربما كنت ذاك الذي اصطفاه الله) في هذه الأثناء كان كثـيرون مـن زعمـاء الصهيونيـة غـير اليهوديـة يتملقـون لهرتـزل تـارة ويحضـون علـى اسـتعمار القـــدس وفلسطين.

فالقس وليم هتشلر الذي استحوذت على عقله نبوءة حزقيال بعدما فرغ مـن قراءة كتاب هرتزل الدولة اليهودية اقتحـم مكتـب هرتـزل وقـال: أنـت هـو الـذي كنت أنتظره أنت المسيح المنتظر، وكذلك الأب أغناطيوس عام ١٨٣٧ - ١٩٠٨ الذي تحمس للصهيونية وكان يتحدث دائماً عن بعث مملكة يهوذا ووصـف هرتـزل بقوله: هو يشوعكم الجديد الـذي جـاء لتحقيـق نبـوءة حزقيـال إن الصهيونيـة هـي تحقيق لكلمات حزقيال النبي، وقال: اليهودية هي الصهيونية والصهيونية هي يهودية الله. والقس هتشلر الـذي اقتحم مكتـب هرتـزل قـائلاً أنـت المسيح المنتظـر جـاء بصحبة هرتزل إلى مؤتمر بال بسويسـرا عـام ١٨٩٧ معتبراً نفسـه سـكرتير المسيح المنتظر هرتزل وطالما كان يردد في الاجتماع يحيا الملك معتبراً مسيحه هرتـزل ملـك الملوك وقد قال في إحدى مقالاته استفيقوا يأبناء ابراهيم فالله يدعوكم للرجوع إلى وطنكم القديم ويريد أن يكون إلهكم. وقد بشر هذا القـس اسـرائيل حسـب فهمـه للتوراة تفسيره لنبوءاتها ستعود إلى فلسطين قبـل عـودة المسيح الثانيـة الـذي يـأتي ملكاً مجيداً يتربع على عرش القدس ويحكم العالم مـن هنـاك ملكـاً للملـوك وفي عـام ١٨٨٤ أصدر كراسـاً بعنـوان إرجـاع اليهـود إلى فلسـطين حسـبما ورد في أسـفار الانبياء. وهو يرى أن عودة اليهود إلى (أرض الميعاد قد بدأت بـالفعل. ويؤيـد هـذه الرؤيا بآيات من العهد الجديد أخرجها بالتفسير والـتأويل عن مدلولهـا الظـاهر فإذا هي تعني ماضي فكرِه وتُوافِقُ هواه. قال : إن بعض نبوءات المسيح قد تحققـت منـذ قديم الزمان مثل الآية ملوك الأمم يسودونهم. والمتسلطون عليهـم يدعـون محسنين

لوقا ٢٢ - ٢٥ والآية ويقعون بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم. وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم لوقا ٢١ - ٢٤.

وتظهر صهيونية القس الانجيلي في حمله لخريطة فلسطين وقوله لهرتزل (يجب أن تكون حدودنا الشمالية جبال كبادوكيا والجنوبية قناة السويس وشعارنا فلسطين داود وسليمان.

وكثير من المسيحيين الغربيين إن لم نقل أغلبهم قد آزروا الصهيونية لاعتقادهم بأن نبوءات التوراة حول عودة اليهود إلى فلسطين واقعة حتماً ولذلك قال وايزمان «إن من الأسباب الرئيسية لفوز اليهود في الحصول على تصريح بلفور من بريطانيا بانشاء الوطن القومي اليهودي هو شعور الشعب البريطاني المتأثر بالتوراة».

وكان لفرنسا نصيبها من الصهيونيين المؤمنين بالعصر الألفي السعيد وكان ممثلهم البارز هو اسحق لابيرير ١٥٩٤ - ١٦٧٦ م الذي كتب (دعوة اليهود) ودعا إلى إحياء (اسرائيل بتوطين اليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) برغم اعتناقه المسيحية وقد بعث استرحامه إلى ملوك فرنسا ولكن رسالته لم تنشر إلا بعد قرنين من الزمان حين دعا نابليون إلى اجتماع السنهدريم اليهودي عام ١٨٠٦ ، وقد تنبأ قسيس فرنسي يدعى بيير جوريو بإعادة تأسيس مملكة يهودية في فلسطين قبل انتهاء القرن السابع عشر.وقد ظهرت أفكار الصهيونية غير اليهودية في كثير من الابداعات الأدبية. وغدت أفكار العهد القديم (التوراة) أكثر مصادر الالهام لفناني وشعراء العهد الجديد (الانجيل) لافي انجلترا فحسب بل في القارة الاوروبية كذلك. وهكذا ظهرت معادلة فلسطين بكل مضامينها الصهيونية.

وكانت قصيدة ملتون الشهيرة (الفردوس المستعاد) قد تحدثت عن عودة اسرائيل (لعل الله الذي يعرف الوقت المناسب جيداً سيذكر أبناء ابراهيم وسيعيدهم نادمين وصادقين وسيشق لهم البحر وهم عائدون مسرعين جذلين إلى وطنهم كما شق البحر الأحمر ونهر الاردن عندما عاد آباؤهم للأرض الموعودة. إنني أتركهم لعنايته وللزمن الذي يختاره)

واستعملت الصورة الصهيونية عن القدس اليهودية الجديدة في ترانيم القرن الثامن عشر وأبرزها تلك التي كتبها (تشالس وزلي) وقرب نهاية القرن الثامن عشر خاطب وليم بليك اليهود بهذه الابيات:

استيقظي يا انجلترا. استيقظي استيقظي. فأختك القدس تناديك. لماذا ينام هؤلاء المؤمنون كالأموات ويغلقونها عن جدرانك القديمة)

أما في القارة الاوروبية فقد ظهرت موضوعات عبرية توراتية في الادب الفرنسي وكان العهد القديم التوراة مصدراً لموضوعات (دجين باتبيست راسين) الفرنسي الكلاسيكي ولا تزال مأساته استير التي كتبها عام ١٦٨٩ تعد واحدة من أهم الدراما الفرنسية.

وسارت فلسطين – والقدس– واليهود جنباً إلى جنب في الأفكار الصهيونية وقد تصور (برستلي) فلسطين أرضاً غير مأهولة بالسكان أهملها مغتصبوها الاتراك ولكنها مشتاقة مستعدة لاستقبال اليهود العائدين)[1]

وتظهر دولة (اسرائيل) المستقبلية في كتابات جان جاك رسو وهو مواطن من جنيف ينحدر من أسرة بروتستانتية فقد جاء في كتاب روسو عن التعليم عام ١٧٦٢م (لن نعرف الدوافع الداخلية لليهود أبداً حتى نكوّن لهم دولتهم الحرة ومدارسهم وجامعاتهم. وكتب باسكال إن (اسرائيل هي البشير الرمزي للمسيح المنتظر)

وقد كان للصهيونية غير اليهودية في الولايات المتحدة الدور المهم في تأييد الكيان الصهيوني ودعمه مالياً ومعنوياً. فأكثرية الامريكان من البروتستانت المتأثرين إلى حد بعيد بنبوءات التوراة وعودة اليهود إلى فلسطين حتى أن رجال الكنيسة البروتستانتية أخذوا يتدخلون متشددين لتأييد اليهود ففي عام ١٩٤٥ وقع نحو خمسة آلاف قسيس منهم مذكرة رفعوها إلى الحكومة طالبين فيها فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية.

---

[1] النفوذ الصهيوني في السياسة الفرنسية – كتاب رسالة الجهاد ص٢٨ -٢٩

ولعل أكثر من ألقى الضوء على علاقة الصهيونية الانجيلية مع الصهيونية اليهودية الكاتبة الامريكية غريس هالسل في كتابها المسمى بالنبوءة والسياسة. وقد سلطت الضوء بشكل قوي على تلك العلاقة باعتبارها من المستشارين الهامين لبعض الرؤساء الامريكيين. فهي على صلة وثيقة بخفايا السياسة المريكية ومواقفها تجاه الصراع العربي – الصهيوني.

تقول في معرض تعريفها لكتابها (ولكن قلة قليلة تدرك أن التحالف الصهيوني الامريكي الفريد والخاص يرجع بالاضافة للعوامل السابقة وفي المقام الأول إلى دوافع وأسس دينية عميقة الجذور في البنية الثقافية المسيحية وإلى الخلفية التوراتية في العقل الامريكي. كما أنّ قلة قليلة من المثقفين تدرك أن الفكرة الصهيونية قد ولدت في أحضان المسيحية البروتستانتية قبل هرتزل بقرون) [٢]

ويمكن أن ندرك ذلك من خلال ما قاله الرئيس السابق ريغن عام ١٩٨٤ في كنيس يهودي في نيويورك (جميعنا هنا اليوم من أحفاد ابراهيم واسحق ويعقوب أبناء وبنات الإله نفسه).

وتسلط هالسل الضوء على كتاب خطير اسمه (آخر أعظم كرة أرضية) الذي بيع منه ١٨ مليون نسخة في السبعينات وتكمن خلاصة الكتاب في قول مؤلفه (هول لندسي) إن الله قضى علينا أن نخوض غمار حرب نووية (هرمجّدون) والخطر هنا أن لندسي يوظف نبوءات الكتاب المقدس لتأصيل نظريته هذه.

وتري الكاتبة أن أصول نظرية هر مجدون تعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع سايروس سكوفيلو وجون داربي اللذين أسسا مفهومهما عن المسيحية على أساس النبوءات التوراتية والانجيلية، واستنتجا أن الله مخططاً على الأرض...

من أجل اسرائيل ومخططاً في السماء من أجل خلاص المسيحيين

تذكر الكاتبة هالسل أن البروتستانت الاصوليين يعتقدون أن النبوءة الانجيلية تقتضي بأن على اليهود أن يدمروا المسجد الاقصى ويبنوا الهيكل مكانه. ويعتبرون

---

[٢] مجلة رسالة الجهاد العدد ٨٥ (١٩٩٠)

الا رهابيين اليهود والذين حاولوا مراراً تدمير الاقصى أبطالاً. ويدعمون الحركات الصهيونية الارهابية التي تخطط للعدوان على المقدسات الاسلامية. كما يعتبر هؤلاء أن قيام الكيان الصهيوني وإعادة بناء الهيكل وبناء ما يسمى باسرائيل الكبرى شرط لعودة المسيح ليحكم الارض ألف سنة في جنة أرضية تنعم بالسلام المطلق. وتورد الكاتبة على لسان المدعو فولويل زعيم منظمة (الاكثرية الاخلاقية الاميركية) وأحد أقطاب حتمية الدمار النووي في هرمجدون قوله: (أنت وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يأتي يوم يجلس الإله المسيح على عرش داود في القدس. إن هذا اليوم مقبل وستكون أنت وأنا جزءاً منه.

وفي حديث إلى الانجيلي (هارولد برتسون) أكد (ريغن) أن اعادة توحيد القدس تحت العلم الصهيوني هو تحقيق لنبوءة إنجيلية.

وفي عام ١٩٨٠ قال ريغن أمام مجموعة من القادة اليهود: إسرائيل هي الديمقراطية الثابتة الوحيدة التي يمكن أن نعتمد عليها كموقع لحدوث هرمجدون.

ولعل الفصل السابع من كتاب غريس هالسل هو الأهم من بين الفصول فيما يتعلق بموضوع القدس وتبين كيف يعد الصهاينة العدة لتدمير المسجد الاقصى ومسجد الصخرة وبناء الهيكل مكانهما وكيف أعدوا مواد البناء والتحف التي تستعمل في الهيكل.

وتسجل الكاتبة هنا أن الصهاينة المسيحيين يعتقدون أن إعادة بناء الهيكل هي نبوءة توراتية. إرادة إلهية لابد أن تحدث وأن على المسيحيين أن يساعدوا الصهاينة لتهديم المسجد الاقصى وبناء الهيكل. وتختم الفصل السابع بقولها على الرغم من أن المسيح دعا إلى إقامة المعابد في النفس فإن الأصوليين المسيحيين يصرّون على أن الله يريد أكثر من بناء معبد روحي. إنه يريد معبداً حقيقياً من الإسمنت والحجارة يقام تماماً في المُوقع الذي توجد فيه الصروح الإسلامية.

وتتحدث الكاتبة في الفصل الثامن حول الجهود المحمومة التي يقوم بها المسيحيون الصهاينة لمساعدة الإرهابيين الصهاينة على تدمير المقدسات الاسلامية في القدس وتتحدث فيه عن المنظمات التي أنشؤوها لجمع التبرعات من الأمريكيين لهذا

الغرض ومنها (بناء المعبد) ومنظمة (الأغلبية الاخلاقية) (والسفارة المسيحية الدولية).

وتذكر المؤلفة أن منظمة مؤسة (معبد القدس) قد قدمت أموالاً كبيرة للمحامين الذين دافعوا عن ٢٩ إرهابياً صهيونياً حاولوا نسف المسجد الاقصى عام ١٩٨٣ . وأن هذه المنظمة تقدم الدعم المتواصل لمعهد (ميشيفا) اليهودي الذي يعد الكهنة للخدمة في الهيكل الذي يخططون لإعادة بنائه.

وتتناول في الفصل العاشر المؤتمر المسيحي الصهيوني الأول الذي عقد عام ١٩٨٥ برعاية السفارة المسيحية الدولية، وحضره ٥٨٩ شخصاً من المسيحيين الصهاينة من ٢٧ دولة. وحث هذا المؤتمر في توصياته جميع اليهود إلى الهجرة إلى الكيان الصهيوني وحث العدو الصهيوني على ضم الضفة الغربية. وطالب المؤتمر الولايات المتحدة وجميع دول العالم بالاعتراف بضم القدس ونقل سفاراتها إليها.

وتؤكد الكاتبة في خاتمة كتابها أن الطريق الذي يسير فيه التحالف المسيحي الصهيوني واليهودي الصهيوني ينذر بحدوث كارثة نووية تدمر العالم.

حركات دينية يهودية وإنجيلية
ربطت نفسها بما يسمى الهيكل

لا شك أن الحركة الصهيونية بما حوته من تيارات فكرية دفعت باتجاه الربط المتواصل بين اليهود وبين مايسمى الهيكل. وعلى الرغم من الزعم بأن العلمانيين الصهاينة لا يستندون كثيراً على البعد الديني في سلوكهم وتعاملهم الحياتي. إلا أنهم جميعا سياسيين ومفكرين وجدوا في الحركات والأحزاب الدينية رصيداً هائلاً في تثبيت دعائم الفكرة الصهيونية في التوسع والعدوان وقد دفعوا ببعض الفئات الصهيونية لتربط نفسها فكرياً واستراتيجياً بما يسمى الهيكل واعادة بناء المجد اليهودي الغابر من خلال هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل اليهودي مكانه، وقد ظهرت هذه الحركات قبل ظهور الحركات الصهيونية بقرون ولم تقتصر على اليهود إنما برزت وبشكل قوي إبان الحروب الصليبية. وعظم شأنها وأصبحت في طور من الأطوار منظمات مؤثرة في مسيرة التوجه الاستعماري الصليبي.

* منظمة فرسان الهيكل: وهذه المنظمة أسسها فرسان صليبيون في القدس عام ١١١٨. وهي منظمة دينية عسكرية ادعت بأنها أنشئت لحماية الحجاج والقبر المقدس. والذين أسسوها تسعة فرسان. وخلال ٢٠٠ عام أصبحت هذه المنظمة من أقوى الكيانات التنظيمية نفوذا في أوروبا. وقد قطع أعضاء هذه المنظمة عهداً على أنفسهم أن يكرسوا سيوفهم وسلاحهم وأرواحهم للدفاع عن أسرار الديانة المسيحية كما فسرها البابا. ومن العهود التي قطعوها عدم السماح لأنفسهم بالاستسلام أو التنازل عن شبر من الأرض إلى الأعداء وعدم التراجع حتى لو كان العدو يفوقهم عدداً.

اختاروا اسم فرسان الهيكل كتسمية لهم وذلك باسم الهيكل الذي يدّعون أن النبي سليمان قد شيده في القدس حيث خصص لهم الملك مقرات للمرابطة بالقرب من ذلك الهيكل.

وقد شاركوا بالحرب الابادية ضد حجاج المسلمين بشكل عام. وقاتلوا يوم حطين إلا أن سمعتهم العنصرية وأعمالهم الدموية الاجرامية دفعت بصلاح الدين والمسلمين بإبادة أكثر جنودهم.

* حركة أمناء الهيكل: تعتبر من أخطر الحركات الصهيونية اليهودية المعاصرة ألفت نواة هذه الحركة بعد عام ١٩٦٧ وبدأ نشاطها العملي الارهابي بشكل واسع منذ بداية الثمانينات وتتلقى الدعم من الولايات المتحدة. وتقوم نظريتها على أن إعادة بناء الهيكل مهمة ملحة وأولية لدى اليهود وهذا يتطلب تدمير المسجد الاقصى ومسجد عمر وجميع المقدسات الاسلامية في القدس.

ركزت هذه الحركة جهودها على الأماكن المقدسة في الأرض المحتلة.

أعمال هذه الحركة: قامت مجموعة يقدر عددها بـ ٤٥ عضواً ومن بينهم عشرة مجندين بمحاولة للتسلل إلى المسجد الاقصى في الساعة العاشرة والنصف ليلاً من خلال نفق يمتد عبر الحفريات من الناحية الجنوبية للمسجد خارج الأسوار. وكانت الغاية من هذه المحاولة وضع اليد اليهودية على الحرم القدسي تمهيداً للسماح للمتدينين اليهود بالدخول إليه وتقسيمه على الأقل أو هدمه نهائياً إن أمكن وإقامة حجر أساس لبناء الهيكل الثالث المزعوم.

ويؤكد ضلوع سلطة الكيان الصهيوني وتورطها في هذه المؤامرة مع حركة أمناء الهيكل على المسجد الأقصى تلك الرسائل التي بعثت بها الحركة لكل من رئيس الوزراء ووزير داخليته وإلى عدد من قادة الشرطة الصهاينة في القدس تطلب السماح لأعضائها بالدخول إلى المسجد الأقصى للاحتفال بما يسمى عيد الفصح وإقامة الصلوات اليهودية فيه.

وكان من أعنف المحاولات ما حدث يوم ١٩٨١/٨/٩م الذي يصادف ما يسمى ذكرى خراب الهيكل. حيث حاولت مجموعة كبيرة من شبان الحركة التسلل أكثر من مرة ومن عدة أبواب إلى دخول الحرم القدسي لإقامة الصلوات اليهودية فيه. وقد كسروا باب المغاربة وحطموا قفل الباب وصعدوا إلى بناية (التنكزية) ولكن المسلمين تصدوا لهم وحالوا دون دخولهم وقد جاءت المحاولة ضمن خطة

مرسومة لفرض الامر الواقع اليهودي على الحرم وذلك على غرار ما حدث في الحرم الابراهيمي في الخليل.

وفي ١٩٨٣/٢/١ تمكن بعض أفراد هذه الحركة من الوصول إلى المسجد الأقصى وإقامة صلوات يهودية فيه. في هذه الأثناء كانت الصحافة الصهيونية تطالب ضمن مقالاتها وتعليقاتها بالسماح لليهود بإقامة الصلاة في الحرم القدسي الشريف.

وفي ١٩٨٣/٣/٢ قامت مجموعة من حركة أمناء الهيكل وعدد أفرادها ١٥ فرداً مسلحين بالبنادق الرشاشة والسكاكين باقتحام باب السلسلة ومنه إلى المسجد الأقصى بعد أن اعتدوا على أحد الحراس وطعنوه بالسكاكين ودخلوا إلى المصلى الذي يقع بين باب المغاربة والمسجد الأقصى. وحدثت اشتباكات عنيفة بينهم وبين الحراس وقد أسفرت المواجهات عن إخلاء المقتحمين. وقد أثار هذا الاعتداء موجة عارمة من السخط في مختلف أنحاء فلسطين المحتلة وشهدت مدينة القدس إضراباً شاملاً، كما تظاهر المواطنون الفلسطينيون في نابلس وبير زيت ورام الله وغيرها من المدن والقرى الفلسطينية،وقد حاولت مجموعة من هذه الحركة الدخول إلى المسجد الأقصى بتاريخ ١٩٨٢/٤/١٠ فتصدى لها حراس المسجد واستغل ذلك جندي صهيوني يدعى (إيلي جودمان) باقتحام الحرم القدسي وهو يطلق النار مما أدى إلى استشهاد اثنين من العرب وهما محمد اليماني ٥٦ عاماً وجهاد بدر ٢١ عاماً ثم واصل إطلاق النار على المصلين مما أدى إلى سقوط ١٢٠ جريحاً وحدوث حرائق في سجاد قبة الصخرة وإلى أضرار مادية جسيمة.

وفي ليلة الجمعة الموافق ١٩٨٤/١/٢٧ قامت مجموعة يهودية مسلحة تنتمي لحركة أمناء الهيكل بمحاولة نسف الحرم القدسي بعد اقتحامه من الناحية الشرقية بالقرب من باب الرحمة. وقد نصبوا السلالم من الحبال وبدأوا محاولة الصعود إلا أن الحراس تصدوا لهم فلاذوا بالفرار تاركين وراءهم قنابل ومتفجرات وبعض الاقنعة، وقد تبين من التحقيقات التي نشرت الصحف جانباً منها أن أفراد هذه المجموعة ينتمون إلى جماعة دينية متطرفة تطلق على نفسها اسم أبناء يهوذا وتشترك معها عناصر من حركة أمناء الهيكل وتتخذ من خرائب قرية لفتا العربية مقراً لها ومن بين

أعضائها الذين نشرت الصحف أسماءهم (يهوذا ليامي) ٣١ عاماً و(عوزي محسيا حمعليون) ٤٦ عاما.

وقد اعترض وزير داخلية الكيان الصهيوني آنذاك في جلسة الحكومة بأن صرح بأن كل القنابل والمتفجرات التي عثر عليها لدى المجموعة اليهودية هي من صنع الجيش الصهيوني. وهذا يدل بشكل قاطع على أن عناصر قيادية في الجيش هي التي تمد المنظمات الدينية اليهودية في الكيان.

أما المجزرة التي قامت بها الحركة يوم الاثنين بتاريخ ١٩٩٠/١٠/٨ فقد دبرت مسبقاً حيث أن الحركة الدينية - أمناء الهيكل كانت قد حضرت حجر أساس لوضعه في ساحة الحرم ليكون حجر الاساس لإقامة الهيكل. وكانت الشرطة وعناصر الجيش تعرف مسبقاً بذلك وتعرف أن المسلمين لن يسكتوا على ذلك. فإذا ما حاولوا منع أعضاء الحركة اليهودية فإنهم سيطلقون النار على المسلمين. وفعلاً فقد تم ذلك، وحين بدأ العرب برشق جنود الحركة وأفراد عصابتها انهالوا مع أفراد الجيش والشرطة على المسلمين بإطلاق النار والغاز مما أدى إلى استشهاد ٢٣ مواطناً وجرح أكثر من أربعمائة حسب بعض المصادر. وقد انتشرت الجثث في ساحة الحرم وسالت الدماء هنا وهناك.

وعلى الرغم من ذلك فإن حركة امناء الهيكل وعلى لسان حاخامها صرحت أنه يجب العمل على طرد الفلسطينيين بأي وسيلة ولو كانت الارهاب والقتل.

الفصل الرابع

القدس في القرآن الكريم

والسنة النبوية الشريفة

تحتل القدس في العقيدة الاسلامية مكاناً بارزاً فهي حسب كافة التفاسير المستندة على السنة النبوية أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. وقد بدأ الاهتمام بالقدس من الجانب الاسلامي عندما نزلت سورة الاسراء على رسول الله ﷺ في وقت مبكر من البعثة التي خصها الله سبحانه بمحمد بن عبد الله ﷺ.

والواقع أن هناك كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن الأنبياء ولاسيما داود وسليمان وعيسى عليهم السلام وعن علاقتهم بأمكنة العبادة التي كانوا يمارسون عبادتهم فيها. ولعل مكانة القدس تأخذ أبعادها من خلال تتابع رسالة التوحيد التي بدأت منذ آدم عليه السلام وانتهت عند رسول الله محمد صلى الله وعليه وسلم.

فالانبياء جميعاً لا يخرجون عن سلسلة واحدة مترابطة بالتوحيد ومرتبطة بالتكليف الإلهي لهم،فهم أحق ببعضهم من كافة البشر، وهم أقرب لبعضهم من أي مخلوق،حتى ولو كان على صلة دموية ببعضهم،كصلة الأب والأخ وما شابه ذلك.

وعندما ندقق بمنهج الدعوة عند كافة الأنبياء الذين أوردهم القرآن الكريم نراه منهجاً واحداً ، وهو الدعوة لديانة التوحيد والاخلاق الاجتماعية الرفيعة والسلوك الانساني المتميز. وقد اختارهم الله من بين البشر واصطفاهم على غيرهم، ليكونوا خاصته وأنبياءه ليبلغوا الرسالة التي لم تنقطع دعوتها حتىٰ خاتم الانبياء والمرسلين.

فالدين واحد لدى جميع الأنبياء والرسل،هو دين التوحيد وليس سواه،وإذا دققنا في نصوص التوراة ونصوص الانجيل والقرآن الكريم،وجدنا أن الأنبياء جميعهم ساروا على منهج واحد في الدعوة وهو منهج عقيدة التوحيد ذاته. وقد جاء القرآن الكريم واضحاً أشد الوضوح في الحديث عن دعوة الانبياء،ومنهاجهم في تلك الدعوة.

وحينما يجل القرآن الكريم بعض الاماكن من الأرض فإنه بذلك يوضح ارتباط الانبياء وعلاقتهم المقدسة بها. وسنلاحظ أن الاماكن المقدسة التي أشار لها القرآن الكريم محدودة أولاً ولها ارتباط وثيق بالانبياء ثانياً. وهي إن كانت مقدسة عند هذا النبي فهي مقدسة لدى كافة الأنبياء.

فالعقيدة واحدة والإله واحد لاشريك له والسلوك والدعوة هي ذاتها. كذلك الأمكنة المقدسة هي مقدسة لدى جميع الأنبياء دون استثناء. والذين يحاولون فصل دعوة نبي عن دعوة نبي آخر هم جاهلون أو مشوّهون لحقيقة عقيدة التوحيد.

وفي هذا الاطار لابد أن يتبادر إلى الذهن سؤال يقول: هل من علاقة بين الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم وبين الكعبة أو البيت الحرام ؟ هل من علاقة بين موسى وهارون وداود وسليمان وعيسى وبين البيت الحرام؟ ثم هل من علاقة بين محمد ﷺ وبين المسجد الأقصى؟

يقول تعالى في سورة الحج ﴿وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ أية ٢٦

ويقول تعالى في سورة البقرة ﴿وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ ١٢٧

ويقول تعالى ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً، و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ آل عمران -٩٦ - ٩٧

ويقول تعالى: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ الاسراء الآية(١)

فمن خلال آيات القرآن الكريم يتضح لنا أن النبي ابراهيم هو الذي أقام قواعد البيت الحرام. وهذا البيت يتمتع حسب النص القرآني بما يلي:

١- إنه عتيق قديم وُجد قبل ابراهيم إذ أن كلمة بوأنا تشير إلى ذلك .

٢- الغاية من تبيان معالم هذا البيت، عدم الاشراك با لله وتطهيره لمن يرغب بزيارته ليقيم العبادات التوحيدية فيه.

٣- وُضع هذا البيت للناس كافة وليس لقوم دون قوم أو لأصحاب عقيدة دون عقيدة لأنه مبارك من قبل ا لله لكافة الناس.

٤- الحج إليه ليس مقتصراً على فئة دون فئة. لأن الحج على الناس دون تحديد لهويتهم وعقائدهم.

٥- هناك مكانان مقدسان يرتبطان برباط مقدس وهما المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

فمن المعروف أن ابراهيم عليه السلام هو جد لمجموعة كبيرة من الأنبياء. فحسب النص التوراتي والنص القرآني فإن اسحق واسماعيل هما ولدا ابراهيم ومعروف أن اسحق أنجب يعقوب ويعقوب أنجب يوسف النبي وبقية من يسمون بالأسباط. ومعروف أيضاً أن نسب النبي محمد ﷺ يرجع إلى اسماعيل ثم ابراهيم، فمجموع الأنبياء اسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف ومحمد صلوات ا لله عليهم يرتبطون بين بعضهم بنسب واحد وهو النسب لابراهيم. وتتضح عقيدتهم واحدة فا لله واحد والدعوة واحدة والسلوك النبوي واحد.

وعندما بنى ابراهيم الكعبة وأوضح معالمها كان المقصود من وراء ذلك أن يتجه جميع نسله إليها باعتبارها الرمز الأوحد القديم لديانة التوحيد. والأولى بنسل ابراهيم أن يرتبط بها قبل ارتباط أي من الناس. على الرغم من أن الكعبة بنيت للناس جميعاً وليس لفئة دون فئة.

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا لا يتوجه أصحاب الرسالات الأخرى نحو الكعبة أليس ابراهيم جد الأنبياء جميعاً؟ أليس ابراهيم هو الجد الأكبر لموسى وهارون وداود وسليمان وعيسى بن مريم؟

إن التوراة تنكر على ابراهيم بناءه للكعبة وتنكر أن اسماعيل استقر في بداية شبابه حول البيت الحرام. وتوصله مع أمه هاجر إلى جنوب فلسطين وتنقطع أخباره عنا تماماً.

لقد قدس العرب وشعوب كثيرة مكة والبيت الحرام قبل الاسلام بكثير. والعرب بجميع قبائلهم الوثنية والحنفية كانت تقدس البيت الحرام باعتباره بيت ا لله أولاً ولأن ابراهيم عليه السلام بناه ثانياً. وجميع القبائل العربية كانت تتجه إلى

الكعبة وتقدسها ولكن شعوباً أخرى قدست هذا المكـان. فـالهنود يزعمـون أن روح سيفا إلاههم وهو الاقنوم الثالث في العقيدة البوذية قد حلت في الحجر الأسود حـين زار مع زوجته بلاد الحجاز.

وكانت الصابئة وهم عباد الكواكـب مـن الفـرس والكلدانيـين يعـدون الكعبـة أحد البيوت السـبعة المعظمـة. كمـا كـان أسـلاف الفرس يقصـدون البيـت الحـرام ويطوفون حوله تعظيماً له وإجلالاً لابراهيم عليه السلام باعتبـاره كلدانيـاً جـاء مـن أور الكلدانيين إلى مكة ثم بنى الكعبة وكان آخر من حج منهم ساسـان بـن بـابك. وكان ساسان إذا أتى البيت طاف به وزار زمزم.

ويروي المسعودي في مروج الذهب أن الفرس كانت تهـدي إلى الكعبـة أمـوالاً في صدر الزمان وجواهر. وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب إضافـة لبعض الجواهر والسيوف والذهب إلى الكعبة وقذف بها في بئر زمزم.

وقدس الكعبة الفرس من غير الصائبة واحترموها زاعمين أن روح هرمز حلـت فيها وكانوا يحجون إليها. وقد ورد في الاخبار أن اليهـود أيضـاً قدسـوها لأنـه كمـا يقولـون: إن فيهـا تمثـالاً لابراهيـم وآخـر لاسمـاعيل. وبسـبب مـن عظمـة الكعبـة وقدسيتها فقد وجد فيها الاحباش منافساً قوياً لما صنعوه في اليمن مـن بنـاء لكنيسـة (القليـس) فحـاولوا مهاجمتهـا وتهديمهـا.وقـد رأى بعـض المفسـرين في قولـه تعـالى: ﴿أولئك الذين أنعم ا لله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممـن حملنـا مـع نـوح ومـن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينـا واجتبينـا إذا تتلـى عليهـم آيـات الرحمـن خـروا سجداً وبكيا﴾ مريم ٥٨

أن الانبيـاء كـانوا إذا ذكـروا آيـات ا لله خـروا سـجداً، فـإذا سـجدوا كـانوا يتجهون إلى البيت الحرام. أما زيارة البيت الحرام فقد أورد كثيرون استناداً على مـا سمعوه من أحاديث رسول ا لله ﷺ ومن الأخبـار أن الانبيـاء كـانوا يـزورون البيـت الحرام ويحجون إليه باعتباره أول بيت لله ولديانة التوحيد بني على الأرض والانبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم عاشوا بل ولدوا في هذه المنطقة العربية المحيطـة بمكة. فهي ليست بعيدة عن ديارهم وأقوامهـم وعلـى اعتبـار أن جلهـم ينتسـب إلى

ابراهيم وينتمي إلى عقيدة التوحيد فمن الواقعي أن يسيروا على نهج ابراهيم ويلبوا دعوته في الحج إلى بيت ا لله الحرام.

فإسحق ويعقوب ويوسف ومن بعدهم موسى وداوود وسليمان. وكذلك شعيب وأيوب وصالح ويونس جميعهم يرتبطون بعقيدة التوحيد ويرتبطون بابراهيم ويرتبطون بالبيت الحرام الذي عمره ابراهيم ودعا الناس للحج إليه.

هذا ما يمكن أن نوجزه بالنسبة للعلاقة بين ابراهيم والانبياء وبين البيت الحرام.

ونعود لدراسة العلاقة بين هؤلاء الانبياء وبين المسجد الأقصى، فهي علاقة معقدة تحتاج لتوقف وتبصر.

جاء في القرآن الكريم في سورة الاسراء الآية الأولى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾

فقد عرفنا شيئاً عن قدسية البيت الحرام وكيف بناه النبي ابراهيم مع ابنه اسماعيل عليهما السلام. وقد جاءت آيات كثيرة تتحدث عن البيت الحرام والحج والشعائر المتعلقة به.

فإذا كان هذا البيت الحرام على ما هو عليه من هذه القدسية والمكانة فكيف ربط القرآن الكريم بينه وبين المسجد الأقصى؟ لماذا اختار الحق سبحانه هذا المسجد دون غيره من الأماكن ليربطه بالمسجد الحرام؟ ألا يوجد مكان آخر في الأرض أهم منه من حيث القدسية ليربطه بالبيت الحرام؟

الحقيقة أن هذا الربط الذي لم يأت مثله في القرآن الكريم له أسبابه وأسراره فالمسجد الأقصى في العقيدة الاسلامية يشكل مكاناً مقدساً يعادل في قدسيته البيت الحرام. ولكن من أين جاءت هذه القدسية؟ هل جاءت بسبب قِدَمِهِ؟ أم جاءت بسبب علاقة عدد كبير من الأنبياء به؟ ولماذا أطلق ا لله سبحانه عليه اسم مسجد هل كان يصلي فيه الموحدون هل كانوا يسجدون فيه وهل له من الصفات ما تؤهله ليسمى مسجداً؟.

يقول تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب. إذ دخلوا على داود ففزع منهم﴾ ﴿قالوا لا تخف خصمان بغى بعضهما على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط﴾ سورة القصص الآية ٢٢

ويقول تعالى: ﴿وكفّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً﴾ من آل عمران الآية ٣٧

ويقول تعالى: ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن ا لله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من ا لله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين﴾ آل عمران ٣٩

ويقول تعالى: ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى عليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ مريم آية ١١

فنرى أن كلمة محراب وردت أربع مرات مرة حين الحديث عن داود عليه السلام ومرة حين الحديث عن مريم ومرتين حين الحديث عن زكريا.

فالمعروف أن معابد اليهود لا يوجد فيها محاريب. وداود كما هو معروف نبي من أنبياء بني اسرائيل. وكذلك مريم فهي من بني اسرائيل لكن الآية تقول إنها كانت تتعبد في معبد فيه محراب. وكذلك زكريا وهو من أواخر أنبياء بني اسرائيل وعاصر مريم والدة السيد المسيح. فالأية تشير إلى أن زكريا كان قائماً وهو يصلي في محراب وعندما خرج إلى قومه بعد البشرى له بولادة يحيى فقد خرج من المحراب أيضاً. فهؤلاء الأنبياء كانوا يصلون في معبد له محراب. وجميع الدراسات إضافة للانجيل بشتى فروعه وأشكاله تشير إلى أن داود كان يقيم في جبل الزيتون المشرف على القدس وأن المعبد الذي كان يتعبد فيه زكريا هو في بيت لحم أو في القدس. وتقول بعض المصادر الانجيلية أن مريم وزكريا وغيرهما من الرسل والصالحين كانوا يتعبدون في هيكل الرب أو معبده في القدس.

ونتذكر أن السيد المسيح عليه السلام دخل معبد الرب وطرد منه اللصوص وبائعي الحمام وقد ورد ذلك في الانجيل يقول إنجيل لوقا ١٩/٤٥-٤٧ [ولما دخل الهيكل ابتدأ يُخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه قائلاً لهم مكتوب أن بيتي بيت الصلوات وأنتم جعلتموه مغارة لصوص] وفي إنجيل متى جاء في ١٢/٢١ -١٣ [ودخل يسوع إلى هيكل ا لله واخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهم: مكتوب أن بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص] فهذا الكلام الذي ورد يدل بشكل قاطع أن هناك معبداً كان للصلاة وليس فيه من الأوثان أي وثن أو صنم. هو معبد تقام فيه

الصلاة، وتحديداً في محرابه. من هنا نقول إن هذا يعتبر السبب الأول لتسمية هذا المكان بالمسجد.

يقول تعالى: ﴿ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ الأنبياء الآية ٦١

ويقول تعالى: ﴿ولسليمان الريح تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين﴾ الأنبياء الآية ٨١

ويقول تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾.

ويقول تعالى: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها المسير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾ سورة سبأ الآية١٨

فهنا أربع آيات تشير إلى أرض مباركة. الأولى عند الحديث عن نجاة ابراهيم ولوط والثانية عند الحديث عن سليمان والريح التي تجري بأمر ا لله إلى الأرض المباركة والثالثة عند الحديث عن محمد ﷺ والإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك ا لله حوله.

ثم الحديث عن القرى المباركة التي جعلها ا لله متصلة بقرى عامرة غنية تصل إلى أهل اليمن.

فجميع المفسرين المسلمين يجمعون على أن الأرض المباركة هي أرض الشام وخص ا لله سبحانه المسجد الأقصى وما حوله بالمباركة باعتباره المركز القدسي المبارك لهذه البلاد فابراهيم ولوط ينجيهما ا لله إلى جزء من الأرض المباركة وهي أرض فلسطين. ويقيم ابراهيم في الخليل التي لا تبعد عن القدس كثيراً وتنقل إلى الحجاز ومصر ثم عاد ليدفن فيها بعد موته. فلابراهيم علاقة وطيدة بهذه الأرض المباركة هي علاقة العقيدة وعلاقة التوحيد. ولو لم تكن هذه الأرض أرض توحيد لما مكث فيها ابراهيم ولما استقر بين أبناء شعبها ولما اختار أرضها ليدفن فيها زوجته سارة وليموت هو فيها ويدفن في ترابها. ولعل رحلة ابراهيم من الخليل إلى الكعبة ومن الكعبة إلى الخليل دليل هام على الربط القدسي بين البيت الحرام والمسجد الأقصى الذي هو مركز الأرض المباركة، رحلة ابراهيم هي اسراء أرضي ورحلة محمد ﷺ من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى هي إسراء سماوي. فهنا يكمن

اكتمال الدائرة القدسية بين رحلة الجد الأولى من الأرض المباركة إلى المسجد الحرام ورحلة الابن العكسية من المسجد الحرام للأرض المباركة.

لقد أشرنا عند بحثنا في عقيدة الكنعانيين ومعابدهم إلى أن إبراهيم عليه السلام قد التقى بملك القدس ملكي صادق وبارك الأخير إبراهيم وقد وُصف ملكي صادق بأنه ملك موحّد يؤمن بإله واحد. والواقع لو أن ابراهيم وجد ملكي صادق من الرافضين لدعوة التوحيد لما مكث في الارض المباركة أو لكان غادرها كما غادر أور الكلدانيين حفاظاً على عقيدته ودينه. ولا شك أن القدس وملكها اليبوسي (ملكي صادق) حفلت بوجود المعابد ذات العلاقة بالعقيدة الكنعانية التي تقبلها ابراهيم وقبلت هي بدورها عقيدة ابراهيم. فمباركة الله لهذه الأرض سابقة على وجود ابراهيم باعتبار أن القرآن الكريم صرح بقوله ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين.

ماذا تقول المراجع الاسلامية بشأن القدس؟

لقد حفلت القدس بالأحاديث استناداً على ما قاله رسول الله ﷺ من أحاديث واستناداً على أخبار تناقلها الرواة منذ ما قبل البعثة المحمدية.

فقد روى الامام البخاري والامام مسلم حديثاً عن أبي ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ أن المسجد الأقصى بني بعد المسجد الحرام بأربعين سنة. وقد دلت أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام أن المسجد الحرام قد بناه أول من بناه النبي آدم عليه السلام وقد روي أن الله سبحانه أمر آدم ببناء القدس والتنسك فيه وربما كان أحد أولاد آدم قد بناه بعد بناء الكعبة بأربعين سنة.

وعلى الرغم من ذلك لم يثبت بالدليل القاطع أن إبراهيم أوجد صلة بالمسجد الاقصى وكذلك الامر بالنسبة لابنه اسحق ولحفيده يعقوب.

وكما اندثرت معالم البيت الحرام حتى جاء ابراهيم فأوضحها فليس مستبعداً أن يكون الاقصى اندثرت معالمه حتى جاء المسلمون وأظهروها. على الرغم من وجود احتمال أن سليمان عليه السلام بنى مسجداً فوق البقعة التي كان فيها المسجد الاقصى. لقد بقيت بقعة المسجد الاقصى هي البقعة التي أوحى الله إلى الأنبياء باختيارها مكاناً للعبادة منذ آدم عليه السلام ومن جاء بعده من الأنبياء

والأولياء والعبّاد وأن أساس البناء الاول ثابت في هذه البقعة المباركة وكل من تتابع على إعمار البقعة أو بنائها وإصلاحها أو تطهيرها إنما يفعل ذلك على الأساس القديم. وقداسة هذه البقعة (المسجد الاقصى) لم تكن لنبي من الانبياء ولا لأمة من الأمم فقد اختارهما الله منذ خلق الخلق لعبادته أن تكون معبداً للموحّدين ويدل على قدم التقديس ما جاء في حديث أبي ذر أنها ثاني موضع اختاره الله للعباده.

وهنا لا بد من التوقف عند معنى التقديس وما هو المقدس البشري والمقدس الإلهي حسب ما جاء في القرآن الكريم.

فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله) سورة الإسراء الآية (١)

ففي القرآن الكريم لا يوجد أي مسجد باركه الله سوى هذين المسجدين. وقد ذُكر مسجد رسول الله ﷺ في المدينة في القرآن الكريم. ولكن الحديث القرآني عن مسجد رسول الله ﷺ جاء لاحقاً إذ أنه بُني بعد أن هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة.

فالربط جاء بين البيت الحرام والمسجد الاقصى باعتبار أنهما أقدم مكانين مقدسين اختارهما الله للعبادة.

فالتقديس لهذين المكانين تقديس إلهي وليس تقديساً بشرياً والتقديس البشري يظل تقديساً وضعياً بشرياً فهو قابل للتغير والتحول والاندثار. فيمكن لأي فرد أو أي إنسان أن يبني معبداً في أية أرض وينشيء فيه الاصنام أو التماثيل أو الرموز الموحية للمعبود وما ينطبق على الفرد ينطبق على المجموع. فيقوم التقديس على ما صنعه هذا الانسان أو هذا المجموع من معابد وأصنام وأوثان ورموز.. فهذا المعبد وهذا التقديس البشري قابلان للفناء والاندثار خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار تطور مفهوم المعبود وتغيّره من المحسوس إلى المجرد.

أما المسجد الحرام والمسجد الأقصى فهما آيتان من الكتاب الكريم قدسهما الله قبل أن يقدسهما البشر. وبمعنى آخر فإن القدسية من صنع الخالق. وهي خاصية له وليس خاصية لبني البشر.

وإذا عدنا إلى حيثيات التقديس الإلهي لهذين المكانين لا بـد لنا من العودة إلى الآية التي افتتح الله بها سورة الاسراء. ولا بد من الوقوف بشكل دقيق عند الآيات التسع الاولى من سورة الاسراء.

يقول تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير (١) وأتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا (٢) ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً (٣) وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدُن في الارض مرتين ولتعلُن علواً كبيراً (٤) فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولاً (٥) ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموالٍ وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا (٦) إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلهاً. فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ولتبروا ما عَلَـوْا تتبيرا (٧) عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا (٨) إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً (٩)﴾ صدق الله العظيم الاسراء ١ـ ٩

ويقول الله تعالى: ﴿وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا﴾ الاسراء ١٠٤

أجمع جميع المفسرين أن سورة الاسراء مكية نزلت على رسول الله ﷺ وهو في مكة وأكثر التواريخ اتفاقاً ما قاله البيهقي عن ابن شهاب رضي الله عنه قال أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بستة عشر شهراً وبعضهم قال قبل الهجرة بسنة.

على أية حال فالمتفق عليه أن سورة الاسراء مكية.

وعلى هذا فلدينا أسئلة كثيرة حولها يجب أن يجاب عنها وتوضح معالمها.

١ـ عندما نزلت هذه السورة وصفت البيت الحرام بالمسجد الحرام ووصفت بيت المقدس بالمسجد الأقصى. وقد كان المسجد الحرام يعج بمئات الاصنام وعلى رأسها هبل والعزى واللات ومناة وأساف ونائلة. ويقال إن في البيت الحرام كان

يوجد أكثر من ٣٦٠ صنماً على عدد قبائل العرب. وكان الاقصى آنذاك محتلاً من قبل الروم وفي القدس معبد مهمل بينما كانت كنيسة القيامة هي المكان المقدس بالنسبة للرومان آنذاك.

فطالما أن البيت الحرام كان يعج بالاصنام فكيف يوصف قرآنياً بالمسجد الحرام وكذلك كيف يوصف بيت المقدس بالمسجد الأقصى وهو مهمل لا أحد يدري بقدسيته؟

الواقع أن رسول الله ﷺ تعرض لأذى قريش فالتجأ إلى الطائف ولكن أهل الطائف أيضاً لاحقوه فالتجأ إلى الله بالدعاء أن يفرج كربه. وبعد عودته مباشرة نزلت عليه سورة الاسراء وتم الاسراء به من مكة إلى بيت المقدس إكراماً له وتخفيفاً عن معاناته. وتبشيراً له بالنصر القادم.

٢ـ عندما نزلت السورة أي سورة الاسراء على قلبه ﷺ كان ضعيفا وحوله المسلمون ضعفاء لا يستطيعون المقاومه أمام جبروت قريش وطغاتهم فكانوا عبيداً وقليلي القوة والحيلة والبيت الحرام يعبث به أبناء قريش فساداً.

٣ـ تسميت هذه السورة بتسمية ثانية فهي سورة بني اسرائيل.

٤ـ على الرغم من اسمها المعروف سورة الاسراء فإنها لم تتحدث عن الاسراء إلا في أولها. ومتابعة الآيات فيها كانت عن بني اسرائيل وليس عن الاسراء فما العلاقة بين الآية الاولى ـ وبين بقية الآيات؟

ولو عدنا إلى الأحداث التي مرت بها سيرة رسول الله ﷺ لوجدنا أن المسلمين انتصروا على قريش وعادت مكة إلى المسلمين ثم أخلي البيت الحرام من الاصنام والاوثان بعد أن كسّرت وحُطمت وطُهر البيت الحرام من كل مظاهر الوثنية والخمور والنجاسات ورفع بلال صوته ليؤذن بالناس ليصلوا في هذا المسجد العظيم.

والواقع أن البيت الحرام كاسم رافق سيرة النبي ابراهيم عليه السلام بينما أطلق اسم المسجد الحرام وصار اسماً لمسمى بعد تحرير مكة على أيدي جيش المسلمين بقيادة الرسول محمد ﷺ.

فوصف القرآن للبيت للحرام بالمسجد الحرام جاء إرهاصاً ربانياً للمستقبل بأن هذا البيت سيُحرر من الاوثان ويصبح مسجداً للموحدين من جديد.

وإذا نظرنا أيضاً لوصف القرآن الكريم لبيت المقدس بالمسجد الأقصى لرأينا أنه إرهاص للمستقبل بأن هذا المكان المقدس سيحرره المسلمون. وفعلاً تم تحرير بيت المقدس على أيدي المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ بست سنوات ليس أكثر أي في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد توليه الخلافة بسنتين.

وعودة إلى السنة النبوية الشريفة تؤكد لنا قدسية المسجد الاقصى واختصاص الله سبحانه بمباركته واختياره.

١- فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: إن مكة بلد عظيم عظمه الله وعظم حرمته وحفها بالملائكة قبل أن يخلق شيئاً من الأرض يومئذ كلها بألف عام ووصلها بالمدينة ووصل المدينة ببيت المقدس ثم خلق الأرض بعد ألف عام خلقاً واحداً

٢- وعن مكحول بن ميمونة مولاة رسول الله ﷺ: سألت رسول الله ﷺ عن بيت المقدس فقال أرض المحشر والمنشر صلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه

٤- وفي الحديث الشريف أيضاً (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى) رواه البخاري جزء(١) ص ١٨١ وابن حنبل جزء ٢ ص ٢٣٤

٥- وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/ ٢٦٩ قال رسول الله ﷺ (لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوّهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من البلاء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قالوا يا رسول الله وأين هم قال في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس).

٦- وعن رب العزة في حديث قدسي قال لبيت المقدس أنت جنتي وقدسي وصفوتي في بلادي من سكنك فبرحمة مني ومن خرج منك فبسخط مني عليه (فضائل القدس ابن الجوزي ص٩٥

٧- وروى المشرف بسنده عن عمران بن الحصين أنه قال: قلت: يا رسول الله ما أحسن المدينة قال: كيف لو رأيت بيت المقدس قلت: وهل هي أحسن. قال: كيف لا وكل ما بها يُزار ولا يزور وتُهدى إليها الارواح ولا تهدي روح بيت المقدس لغيرها).

٨- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لصعصعة: نعم المسكن بيت المقدس القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله. وليأتينّ على الناس زمن يقول أحدهم ليتني تبنة في لبنة من لبنات بيت المقدس.

أما القرآن الكريم فإننا كما ذكرنا أن سورة الاسراء وتحديداً الآيات التسع الأولى منها تحدد قضايا كثيرة لا بد من إعادة النظر فيها.

اختلف المفسرون المسلمون في تفسير هذه الآيات اختلافاً كبيراً. فمنهم من قال إن الله سلط على بني اسرائيل جالوت وجنوده. ومنهم من قال إن نبوخذ نصر أو العمالقة أو سنحاريب أو أهل فارس والروم ومن قائل العرب.

يقول ابن الجوزي في فضائل القدس ص ١٠٥ (ثم كان آخر ذلك أن بعث الله محمداً ﷺ فتركهم في عذاب الجزية

ويقول الطبري في تفسيره «ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون)

كما رجح عند كثير من المفسرين أن اليهود أفسدوا بقتلهم أنبيائهم وأن نبوخذ نصر البابلي هو الذي قضى على علوهم وإفسادهم الاول هذا ثم أفسدوا ثانيا بقتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام وأن الرومان هم الذين قضوا على علوهم وإفسادهم الثاني ولو دققنا في الايات الكريمة التسع من سورة الاسراء لوجدنا ضعف ما جاء به المفسرون المسلمون لا سيما إذا عدنا إلى دراسة طبيعة الصراع بين المسلمين واليهود على مر التاريخ فالروايات التي رواها المفسرون لم تسند إلى رسول الله ﷺ ولا في أي وجه من الوجوه.

والواقع أن المفسرين المسلمين لهم عذرهم في قصورهم الواضح في تفسيراتهم. فهم لا يتنبؤون بما سيؤول إليه الأمر بعد ضعف الدولة الاسلامية وانهيارها وعودة

اليهود بقوة إلى المنطقة في الوقت الحاضر. ويمكن أن نفهم الآن هذه الآيات فهماً آخر غير ما فهمه المفسرون قديماً. إن المفسرين لم يكونوا أمام واقعنا الحاضر من علو بني اسرائيل في الارض وإفسادهم واستيلائهم على بيت المقدس ففسروا الآيات بأنها قد وقعت)[1]

ونشير إلى رأي لمجلة الأزهر نقلا عن كتاب الشيخ عبد الحميد كشك (نفحات من الدراسات الاسلامية) إن الثابت أن الاسراء وقع لرسول الله وهو بمكة قبل الهجرة وسورة الاسراء نزلت في مكة كذلك فهي مكية الآيات. وكان المسلمون آنذاك أقلاء مستضعفين في الارض يخافون أن يتخطفهم الناس فلم يكن لبني اسرائيل يومئذ شأن مع المسلمين ولم يكن لهم أثر بمكة ولا خطر يقتضي أن يتحدث الله عنهم في سورة مكية بمثل هذا التفصيل. فما السر أن يخبر الله سبحانه عن إسرائه برسوله في آية واحدة ـ أول السورة ثم ينقطع بعدها الحديث عن الاسراء جملة إلى آخرها. ويبدأ الحديث عن بني اسرائيل وما أنعم الله عليهم وعهد إليهم وعن دور خطير يكون لهم. ما وجه المناسبة بين هذه الآيات والاحداث؟ السر في ذلك أن الله عز وجل يتحدث عن الاسراء بقدر ما يبشر به نبيه والمسلمين المضطهدين في مكة المستضعفين في الارض بأن أمرهم سيمتد ويعلو وشيكا حتى تدين لهم عاصمة الشرك في مكة وعاصمة أهل الكتاب فهو سبحانه يقول سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ولم يقل من مكة إلى بيت المقدس كما هو واقع الحال.

وقد أشرنا من قبل إلى أن مكة أو الكعبة لم تكن مسجداً وإنما كانت بيتاً تقوم حوله الأصنام ويطوف به العائدون والمشركون ولم يكن هناك معبد داود وسليمان في دولة يهودا مسجداً بالمعنى الاسلامي إنما كان المعبد هيكلاً يأكل بنو اسرائيل من حوله السحت ويعيثون الفساد بل يضعون فيه الاصنام ويبيعون فيه الحمام ويجتمع فيه اللصوص في زمن السيد المسيح.

---

[1] سعيد حوى: من كتاب جند الله صفحة ٤١٦

لكن الله عزوجل تحدث عن هذا الاسراء بأنه انتقال من مسجد إلى مسجد تبشيراً للمسلمين بأن أمرهم سيعلو بحيث يصبح البلد الذي استُضعفوا فيه وهانوا وحلت حرماتهم فيه مسجداً حراماً ودار أمن وسلام. ثم يستمر الرأي المنشور بمجلة الأزهر ويورده الشيخ كشك في كتابه قائلاً في تفسير آية فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا: لا تنطبق هذه المرة تمام الانطباق إلا على الدور الذي قاموا به على عهد النبي وأصحابه وما عاقبهم الله وسلط عليهم فيه. ثم يقول: هذه المرة هي الأولى ولا تنطبق أوصافهم إلا على أصحاب رسول الله وذلك للاسباب التالية:

١- فهم أي أصحاب رسول الله يستحقون شرف هذه النسبة (عباداً لنا) لأنهم الموحدون أتباع عبده الذي ورد في أول السورة وهو الرسول الذي أُسري به أما أتباع بختنصر وسابور وسنحاريب. فاضطربت فيهم أقوال المفسرين فقد كانوا عبّاد وثن ولا يستحقون شرف الاختصاص با لله في قوله عزوجل لنا.

ب - وهم الذين وصفهم الله في كتابه أشداء على الكفار رحماء بينهم.

جـ - وهم الذين لم يكلفهم تأديب اليهود إلاّ أن جاسوا خلال الديار أما أتباع بختنصر فقد ذكروا أنه قتل منهم سبعين ألفاً وأنه دخل بيت المقدس في أهله وسلب حليه فهو اجتياح وليس جوساً. ويستمر رأي الازهر على نفس المنوال ليؤكد عنوان المقال (سورة الاسراء تقضي نهاية اسرائيل) والواقع أن الايات الكريمة تشير إلى عدة أمور:

١- يعلو بنو إسرائيل في الارض مرتين مصحوبتين بإفساد ومن المؤكد أن العلو الذي عاشوه في ظل بعض رسلهم لم يصحبه إفساد.

٢- ينتج عن هذا العلو والافساد صراع ودمار وخراب في الوقت الذي يضع فيه القرآن بني إسرائيل طرفاً واضحاً وأكيداً في المرتين فإنه يؤكد أيضاً على وجود طرف آخر يتكرر نفسه في المرتين تماماً كما يتكرر بنو إسرائيل كطرف. وقد ذكر القرآن الكريم هذا الطرف باسمه مرة واحدة في أول الآيات (عباداً لنا) ثم استمرت الإشارة إليه بضمير الغائب إلى آخر السياق تأكيداً على أنه نفس الطرف الذي يواجه بني اسرائيل في المرة الأولى فبعد قوله تعالى (بعثنا عليكم عباداً لنا تأتي

الافعال فجاسوا ـ رددنا لكم الكرة عليهم. جعلناكم أكثر نفيراً أكثر منهم ـ ثم تأتي الافعال المضارعة في قوله ليسوؤا ليدخلوا. ليتبروا. فالضمير محل فاعل أو مفعول يعود في جميع الافعال إلى كلمة عباداً لنا التي بدأ بها السياق القرآني والضمير فاعل الافعال الثلاثة الاخيرة ليسؤوا ليدخلوا. ليتبروا عائد كما هو واضح على(عباداً لنا)مما يؤكد أنها في الحالين معركة بين طرفين فقط نفس الطرفين بين المسلمين واليهود.

٣ ـ من الواضح أن التفسيرات الاخرى تشير إلى مواجهة بني اسرائيل لأكثر من قوم فمرة نبوخذ نصر ومرة سنحاريب ومرة الروم ومرة الفرس وحتى العرب وهذا يغاير ما اقتضته الآيات من أن المواجهة بين طرفين يتكرران في المرتين بمعنى إذا كان صراع المرة الأولى مع الفرس أو الروم فصراع المرة الثانية (الاخير) أيضا معهم.

٤ـ لم يُعد الله سبحانه لليهود الكرة لا على نبوخذ نصر ولا على سنحاريب ولا الروم ولا الفرس ولم يجعلهم الله أكثر نفيرا من هؤلاء. (فالايات إشارة إلى أن اليهود يصبحون أكثر نفيرا وما كان اليهود أكثر نفيراً من الروم أو البابليين. أما الآن فقد استطاعوا أن يستنفروا كل أمم الارض. ولم يكن اليهود في يوم ما أكثر نفيرا وناصراً منهم اليوم ولم يتمتع اليهود في تاريخهم بمثل ما يتمتعون به اليوم.[١]

٥ـ لقد رد الله الكرة لبني اسرائيل على المسلمين (العرب) كما هو واضح منذ سقوط القدس وقيام كيانهم واستمرار علوهم وإفسادهم.

٦ـ إن ردة الكرة على الرغم أنها تجيء بعد زمن من القضاء على الافساد الاول كما (ثم التي تفيد العطف مع التراخي الزمني فإن ردة الكرة لن تستمر طويلاً كما تفيد الفاء في فإذا جاء وعد الآخرة. والتي تفيد الترتيب والتعقيب أو عندما يصلون بعد ردة الكرة إلى ذروة علوهم وإفسادهم يكون هذا نفسه إيذانا بالقضاء على هذا العلو والإفساد ومن قبل نفس العباد (عباداً لنا) وبالطريقة التي

---

[١] فأمريكا القوة العظمى في العالم والغرب الصليبي جميعهم مع اليهود. وهم يمتلكون كل أسباب القوة والنفير من أسلحة دمار ومال.

حددها القرآن الكريم إذلالهم ودخول المسجد الذي دخله هؤلاء العباد قبل ذلك في المرة الأولى وهذا ما حدث في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهذه الطريقة في الانتصار كما حددها القرآن الكريم تختلف عن الطريقة التي تم بها الانتصارالاول وهي أن يجوس العباد ذوو البأس الشديد خلال الديار.

وهكذا فإن ثم التي سبقت رددنا والفاء التي سبقت إذا جاء وعد الآخرة تشيران إلى الواقع الملموس أي المسافة الزمنية بين القضاء على علوهم وإفسادهم الاولي في الجزيرة العربية وبين ظهورهم وهيمنتهم أي علوهم وإفسادهم الثاني وكذلك إلى المسافة الزمنية القصيرة التي يستمر فيها علوهم وإفسادهم الثاني حتى يحين وعد الآخرة والقضاء على علوهم وإفسادهم.

٧ـ إن فعل الابتعاث الوارد في مطلع الآيات يحمل من المعاني والدلالات ما ينبغي الوقوف عنده فالفعل هنا يحمل إيحاءات الرضى والرضى لا يكون من الله على الوثنيين والمشركين وإنما يكون على المؤمنين وقد جاءت كلمة بعثنا في القرآن الكريم سبع مرات كان الفاعل فيها جميعا هو الله وكان المفعول به أي المبعوثين هم الانبياء والمؤمنين الصالحين.

فقد وردت في سورة المائدة الاية ١٢ وفي الاعراف الاية ١٠٣ ويونس الآية ٧٤ ويونس ٧٥ والنحل ٣٦ والاسراء الاية ٥ والفرقان الآية ٥١

ووردت كلمة بعث أيضاً سبع مرات في مجال الرضا والمديح في البقرة مرتين الآية ٢١٣ ـ ٢٤٧ وفي آل عمران ١٦٤ وفي المائدة ٣١ والاسراء ٩٤ والفرقان ٤١ والجمعة آية ٢.

فلا يُعقل أن ينسب كلمة بعثنا إلى غير الموحّدين لأن الوثنيين لم يُمدحوا في الكريم بل ذمهم الله لأنهم حلفاء الشر والشيطان. والعداء لله وتعاليمه وأنبيائه أما قوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين: فمعناه أن الله سبحانه عندما يعيد الكرة لبني اسرائيل يمدهم بأموال وبنين. وكل مراقب يرى هذا الامداد في الاموال والبنين والواقع أنه لولا الدعم الامريكي الغربي المالي لبني اسرائيل لما قامت لهم قائمة ولولا تدفق المهاجرين وخاصة من الاتحاد السوفياتي السابق لما كان عدد اليهود على ما هو عليه اليوم. فالعدو الصهيوني لا يعتمد اقتصادياً على ذاته رغم تقدمه العلمي

النسبي وإنه بدون إمدادات المليارات من الدولارات كل عام لا يستطيع الصمود والوقوف على رجليه. وقد كان أساس المشروع الصهيوني في الهجرة بشتى أشكالها.

والواقع أن العدو الآن أكثر قوة من العرب جميعاً وأكثر نفيراً رغم كثرة العرب المتفرقين فالعدو يستطيع أن يهدد كافة الاقطار العربية بما يملكه من أسلحة. ولكن قوة العدو تأتي على حساب ضعف العرب والمسلمين.

ويلاحظ المرء أنه لأول مرة في التاريخ يبدأ تجمع اليهود من كافة أقطار الدنيا في فلسطين والاحصائيات تشير أن اليهود يتشكلون الآن في فلسطين من أكثر من ثمانين عرقاً ومنهم من يمتلك الاموال التي تتحكم بالعالم إضافة إلى أن المهاجرين الروس وغيرهم من الاوروبيين مؤهلون علمياً إلى أعلى المستويات ويبلغ مجموع اليهود في فلسطين الآن حوالي خمسة ملايين يهودي وهذا العدد من اليهود يجتمع لأول مرة في التاريخ في فلسطين.

ولا يُنسى أن اليهود خارج فلسطين يسيطرون على المال والاعلام ويتحكمون بتوجهات السياسة الخارجية لأقوى البلدان الاوروبية وأغناها. وكل ذلك خدمة للمشروع الصهيوني الذي مركزه الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة.

وقوله تعالى فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا.

فإن ذلك يعني قضاء الله بانتصار المسلمين على اليهود وتدميرهم لما شيدوه وقد أكد ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الشجر والحجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)[1] وفي رواية أخرى (ستقاتلون اليهود أنتم شرقي النهر وهم غربيّه وقيل أي نهر الاردن وقد أكد هذه الرؤية وهذا التفسير كل من

---

[1] صحيح البخاري ج٣ كتاب الجهاد والسير باب

المفكر الاسلامي محمد أبو القاسم حاج حمد في كتابه العالميه الثالثة. والدكتور سعيد البوطي حين علق على حادثة الاسراء في كتابه المهم فقه السيرة.

يقول الدكتور البوطي: (إن في الاقتران الزمني بين إسرائه عليه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس والعروج به إلى السموات السبع لدلالة باهرة على مدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسية عند الله تعالى. وفيه دلالة واضحة أيضا على العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كلٌ من عيسى بن مريم ومحمد بن عبد الله عليهما الصلاة والسلام وعلى ما بين الانبيـــاء من رابطة الدين الواحد الذي ابتعثهم الله عز وجل به.

وفيه دلالة على مدى ما ينبغي أن يوجد لدى المسلمين في كل عصر ووقت من الحفاظ على هذه الارض المقدسة وحمايتها من مطامع الدخلاء وأعداء الدين. وكأن الحكمة الإلهية تهيب بمسلمي هذا العصر أن لا يهنوا ولا يجبنوا ولا يتخاذلوا أمام عدوان اليهود على هذه الارض المقدسة وأن يطهروها من رجسهم ويعيدها إلى اهلها المؤمنين[1]

وتؤكد الروية الاسلامية موقفها هذا من تفسير سورة الاسراء على ضوء بعض الآيات القرآنية الاخرى التي تؤكد انتصار المسلمين على اليهود.

يقول تعالى: ﴿وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فإذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا﴾ سورة الاسراء الاية ١٠٤

ويقول تعالى: ﴿وإذ تأذّن ربّك ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ الاعراف الآية ١٦٧

وقوله تعالى ﴿وقطعناهم في الارض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك﴾ الاعراف ١٦٨

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله (وإذ تأذن ربك.... قال الذين يسومونهم سوء العذاب محمد وأمته إلى يوم القيامة

[1] محمد سعيد رمضان البوطي. فقه السيرة ص١٥٢ – ١٥٣

وفي قوله وقطعناهم قال هم اليهود بسطهم الله في الارض فليس في الارض بقعة ما إلا وفيها عصابة منهم وطائفة.

ويقول الدكتور أحمد حجازي السقا في كتابه (نقد التوراة: أسفار موسى الخمسة (وقد أشار الله سبحانه إلى هذا الأمر. - احتلال اليهود للقدس - في قوله تعالى (وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا - إلى قوله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) الكتاب هو التوراة والمرتان يكونان في المستقبل من بعد نزول القرآن وبعد المرتين يقول تعالى إن عدتم عدنا أي أنه لا بد من تحديد مرتين وفي كل مرة فساد وعلو وإذا جاءت المرة الاولى ليفسدوا ويعلوا يبعث الله عليهم عباداً له أولي بأس شديد لا يهزمون اليهود مرة واحدة بل بطريقة الجوس وهو التردد أي يطردونهم من أرض كنعان على مراحل رويداً رويداً لا مرة واحدة حتى يتم تحرير الارض التي أفسدوا فيها وعلوا ثم بعد مدة من الزمان (دانيال ١٢: ١١- ١٢ يأتي اليهود إلى أرض كنعان كما أتوا في المرة الاولى ليفسدوا ويعلوا وإذا تم لهم ذلك في المرة الثانية وأساؤوا وجوه المسلمين ودخلوا أرض المسجد الأقصى كما حدث في المرة الأولى عام ١٩٦٧ سوف يهزمون إذا شاء الله وإذا تمت هزيمة اليهود في المرة الثانية وعادوا بعدها للفساد والعلو سوف يقيض الله لهم من يهزمهم كما حدث في المرتين السابقتين.

ويتابع الدكتور السقا بقوله: هذا النص موجود في الاصحاح الثامن من سفر دانيال هذا الاصحاح الذي لا يشك أحد في أنه بدء سفر دانيال الحقيقي ذلك لأنه بدأه بقوله: في السنة الثالثة من ملك بيلشاصر الملك ظهرت لي أنا دانيال رؤيا بعد التي ظهرت لي في الابتداء) ومن كلمات هذا النص [خرج قرن صغير وعظم جداً نحو الجنوب ونحو الشرق وتعظم حتى إلى جند السموات وطرح بعضاً من الجند والنجوم إلى الارض وداسهم وحتى إلى رئيس الجند تعظم وبه أبطلت المحرقة الدائمة وهدم مسكن مفسده وجُعل جند على المحرقة الدائمة بالمعصية فطرح الحق على الارض وفعل ونجح فسمعت قدوساً واحداً يتكلم فقال قدوس واحد لفلان المتكلم

إلى متى الرؤيا من جهد المحرقة الدائمة ومعصية الخراب لبذل القدس والجند مدوسين فقال لي إلى ألفين وثلاث مائة صباح ومساء فيتبرأ القدس (دانيال ٨: ٦ـ ١٤. وقد بين دانيال في نفس الاصحاح أن الرؤيا لوقت المنتهى فرؤيا المساء والصباح التي قيلت هي حق. أما أنت فاكتم الرؤيا لأنها إلى أيام كثيرة، دانيال ٨: ٢٦ وبيّن دانيال في الاصحاح الثاني عشر وهو يتحدث عن المرة الثانية إن المرتين يكونان بعد تشتت اليهود من أرض كنعان والمعروف أن نفوذه ما زال تماماً بعد استيلاء المسلمين على أرض كنعان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول دانيال (فإذا تم تفريق أيدي الشعب المقدس تتم كل هذه دانيال ١٢: ٧ اذهب يا دانيال لأن الكلمات مخفية ومختومة إلى وقت النهاية، دانيال ١٢ـ ٩.

والاصحاح الثامن من سفر دانيال يتحدث عن ملوك اليونان وقد احتل الاسكندر بلاد الشام عام ٣٣٣ ق.م ودخل اليهود في طاعته والنص يقول إن المرة الأولى بعد ألفين وثلاثمائة فيكون الحساب هكذا ٢٣٠٠ -٣٣٣= ١٩٦٧ بعد الميلاد[١]

ويقول محمد حسن شراب في كتابه بيت المقدس والمسجد الأقصى: إن الله تعالى يشير بهذا الاسلوب إلى أن الإسراء إنما وقع إلى بيت المقدس ليشير إلى أن اليهود الذين تسلطوا على بيت المقدس عند تعاونهم مع الفرس المجوس سوف يُجلَون عن القدس لأنه مكان مقدس ينزه عن أمثالهم لما ارتكبوا من الجرائم فيه وأن المسجد الاقصى سوف يتولى حمايته أتباع محمد صلى الله عليه وعلى أصحابه وسلم ويُجمع لهم مركزا الدعوة الابراهيمية[٢]

بعد عرض لبعض الآراء التي تفسر سورة الاسراء وتؤكد جميعها على أن صراعاً قادماً سوف يحدث بين المسلمين واليهود وأن المسلمين سينتصرون فيه ويحررون المسجد الأقصى مرة ثانية لا بد لنا من التوقف عند بعض الأسئلة التي تثير جدلاً حول بعض القضايا المرتبطة بهذا التفسير.

---

[١] أحمد حجازي السقا: نقد التوراة. أسفار موسى الخمسة صفحة ١٦٤ ـ١٦٥.

[٢] بيت المقدس والمسجد الاقصى. محمد حسن شراب صفحة ٧١

١ـ الخطاب القرآني كان موجهاً لبني اسرائيل ويهود اليوم الذين يحتلون فلسطين هم خزريون أو متهوّدون من عدة أجناس فما علاقتهم ببني إسرائيل؟ إن توجيه الحديث في القرآن الكريم كان لبني اسرائيل وبنو اسرائيل كانوا قديماً وانقرضوا وانقرضت معهم الاحداث فكيف نوفق بين بشرى الله للمسلمين بالنصر على بني اسرائيل واليهود اليوم ليسوا من بني إسرائيل؟

٢ـ لماذا كان يصلي رسول الله ﷺ باتجاه المسجد الأقصى ولم يصلِّ باتجاه البيت الحرام رغم أن البيت الحرام أقدم من المسجد الأقصى. ثم لماذا بُدلَ اتجاه القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام؟

٣ـ لم يرد نص قطعي في القرآن الركيم أو السنة الشريفة يحدد الافساد الثاني متى جرى ولم يرد أيضاً أي نص قطعي يحدد زمن انتصار المسلمين على اليهود. فكيف نوفق بين الرؤية الاسلامية التي تفسر سورة الاسراء بهذا المنحى وبين هذه الثوابت؟

الإشكال الاول:

من المعروف أن اسم اسرائيل أُطلق على يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ومعنى كلمة اسرائيل عبد الله حسب ما جاء في القواميس وحسبما تعارف عليه المفسرون المسلمون.وبنو إسرائيل أُطلقت على أسباط إسرائيل الاثني عشر الذين ينتسبون إلى أولاد يعقوب الاثني عشر. ومعنى السبط القبيلة أو العائلة. وقد تعني أيضاً تحديداً. أولاد يعقوب: يهودا وشمعون ورأوبين وجاد وإشير ويساكر وزبولون ونفتالي ولاوي ودان وبنيامين ويوسف وقد ذكروا بالاسماء في التوراة ولم يذكروا بالاسماء في القرآن الكريم إنما أشار إليهم بأنهم أسباط بني إسرائيل.

وقد اعترفت التوراة أن يعقوب عندما استدعي من قبل ابنه يوسف أيام وجوده في مصر ذهب إليه أبوه ومعه أولاده ونساءُ أولاده وبعض أحفاده وقد بلغوا بضعة وسبعين نفراً بين رجل وأمرأة وسمّوا بأبناء إسرائيل أي أبناء يعقوب وحين نطالع عصر النبي موسى عليه السلام نجد الخطاب يتجه إلى بني اسرائيل. وهذا يعني أن بني اسرائيل ظلوا في مصر وتكاثروا وحين تعرضوا للاضطهاد أنقذهم موسى من فرعون

بمعونة الله سبحانه وتعالى. وعندما دخلوا سيناء ظل الخطاب موجهاً لهم على أنهم بنو اسرائيل.

وعلينا أن نلاحظ أن الذين خرجوا مع موسى من مصر لم يكونوا بني اسرائيل وحدهم بل كان قد آمن بموسى آخرون منهم السحرة الذين غُلبوا وآمنوا برب موسى وهؤلاء السحرة لم يكونوا من بني اسرائيل بل هم من بلدان متناثرة في مصر وقد اعترفت التوراة بذلك ولا ننسى أن السحرة كانوا كثيرين وإذا افترضنا أنهم هربوا مع عائلاتهم فإنهم بذلك يشكلون مجموعة كبيرة هاجرت مع موسى وبني اسرائيل. وعلى الرغم من ذلك أيضاً فقد هرب مع موسى بعض العبيد المصريين الذين آمنوا بديانة التوحيد وعلى الرغم من هذا وذلك ظل الخطاب موجهاً لبني اسرائيل دون أن يُوجَّه لغيرهم رغم أن معهم الكثير ممن ليسوا من بني اسرائيل.

وبعد موت موسى ومرحلته تأتي مرحلة داود وسليمان وظل الخطاب موجهاً لبني اسرائيل وكذلك الامر مرحلة السيد المسيح عليه السلام فقد بعثه الله لبني اسرائيل بعد أن انحرفوا انحرافاً كلياً عن تعاليم التوراة وحرفوا الحق إلى الباطل والتوحيد إلى الشرك.

وبعد هذه المراحل نرى أن الخطاب أصبح يتوجه إلى اليهود إضافة لبني اسرائيل وهذا يعني أن اليهودية عقيدة تطورت حسب الظروف وكسب اليهود صفة ما كان عليه أجدادهم من بني إسرائيل الذين عايشوا النبي موسى وما بعده.

ولنسر مع الآيات القرآنية حسب ما وردت في المراحل التي مر بها الخطاب الموجه لبني اسرائيل

أ ـ الخطاب القرآني في الحديث عن ابراهيم عليه السلام

يقول تعالى:﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلاّ من بعده أفلا تعقلون (٦٥) هأنتم حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وا لله يعلم وأنتم لا تعلمون (٦٦) ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفا مسلماً وما كان من المشركين (٦٧) إن أولى

الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهـذا النبي والذين آمنوا وا لله ولي المؤمنين (٦٨)﴾ سورة آل عمران الآيات من ٦٥ ـ ٦٨.

وفي الخطاب القرآني اثناء الحديث عن يعقوب عليه السلام:

﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون (١٣٣) تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون (١٣٤)﴾

في الخطاب القرآني أثناء الحديث عن الأنبياء الاوائل والاسباط:

يقول تعالى: ﴿أم تقولون إن ابراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون﴾ البقرة ١٤٠ آية.

في الخطاب القرآني أثناء الحديث عن موسى عليه السلام:

﴿وأتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ الاسراء ٢

في الخطاب القرآني أثناء الحديث عن داود عليه السلام.:

﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ المائدة ٧٨

في الخطاب القرآني أثناء الحديث عن بني اسرائيل وداود عليه السلام:

يقول تعالى:﴿ ألم ترَ إلى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألاّ تقاتلوا وقالوا ومالنا ألاّ نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا. فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم وا لله عليم بالظالمين﴾ البقرة ٢٤٦

ويقول تعالى: ﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة....﴾ الآية ٢٥١ من البقرة

في الخطاب القرآني أثناء الحديث عن مريم وعيسى المسيح عليه السلام:

﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين. قالت رب أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون. ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل. ورسولاً إلى بني إسرائيل إني قد جئتكم بآية من ربكم...﴾ آل عمران آية ٤٥ ـ ٤٩

والوقائع أن الآيات القرآنية كثيرة في هذا السياق ولكن اكتفينا بهذه الآيات لتكون دليلاً على ما قلناه من أن الخطاب الموجه لبني اسرائيل بدأ بشكل واضح منذ النبي موسى عليه السلام وانتهاء عند النبي عيسى عليه السلام.

أما خطاب القرآن لليهود فقد جاء في سياق الصراع بين النبي محمد ﷺ واليهود في المدينة.

وقد جاء خطاب أهل الكتاب ليشمل اليهود والنصارى بعد أن نزلت التوراة وبعد أن نزل الانجيل. وأصبحوا متميزين عن غيرهم من باقي البشر.

فعلى سبيل المثال يقول تعالى: ﴿ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ آل عمران ٦٩ وواضح أن الخطاب موجه لأمة الإيمان أمة محمد ﷺ.

ويقول تعالى: ﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وا لله شهيد على ما تعلمون﴾ آل عمران ٩٨

ويقول تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء و لله ملك السموات والارض وما بينهما وإليه المصير﴾ المائدة ١٨

ويقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياءَ. بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ المائدة٥١

وقال تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً

وكفروا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعَون في الارض فساداً وا لله لا يحب المفسدين﴾ المائدة ٦٤

لقد وردت كلمة بني اسرائيل حوالى إحدى وثلاثين مرة موزعه على القرآن كله.

ووردت كلمة أهل الكتاب أكثر من سبعين مرة مشتملة اليهود والنصارى.

ووردت كلمة هود ثلاث عشرة مرة مشتملة كلمة هادوا.

ووردت كلمة يهود تسع مرات فقط. معرفة ونكرة.

ويقول الله تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فا لله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ البقرة ١١٣

نعود للمسألة الخاصة بهذا الخطاب. فالواضح أن بني إسرائيل أطلقت على من اتبع اسرائيل وأبناءه حتى موسى عليه السلام لأن نزول التوراة عليه حدد العقيدة اليهودية التوراتية فأصبح الخطاب مزدوجاً إذ أن الحديث عن بني اسرائيل صار يتضمن الحديث عن يهود أي عن أتباع العقيدة التوراتية.

وخلال الصراع بين النبي محمد ﷺ واليهود في المدينة أصبح الحديث موجهاً لأهل الكتاب. أي الذين نزل على نبيهم كتاب ويشمل ذلك أتباع موسى عليه السلام وأتباع عيسى عليه السلام. والخطاب بأهل الكتاب في هذا السياق لم يأت عبثاً إنما كان مقصوداً ليذكرهم بأنهم أصحاب كتاب منزل من السماء ويدعو إلى التوحيد فلمَ لا يقرون بهذا الكتاب ـ القرآن ـ الذي بين تعاليم التوراة والانجيل وأنبأ بها رسول الله عليه الصلاة والسلام وهي من أنباء الغيب وما كان رسول الله ﷺ ليعلمها لولا القرآن العظيم.

ومع ذلك كله فقد أشار القرآن الكريم إلى تشتت بني اسرائيل ونهاياتهم الأولى.

يقول تعالى ﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم (١٦٧) وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ الاعراف ١٦٧ ــ ١٦٨ فهذه إشارة واضحة إلى تشتيتهم فرقاً بل أمماً ينتشرون في الارض.

بنو إسرائيل انتشروا في الارض ولكن هل بقي هؤلاء على نقاء عنصرهم إذا كانوا يدّعون أنهم من عنصر واحد؟

الواقع أن بني إسرائيل الذين أصبحوا يهوداً وأهل كتاب بعد نزول التوراة نشروا عقيدة اليهودية في أوساط عالمية كثيرة. نشروا اليهودية في أوساط الحكام العرب في اليمن زمن ذي نواس الذي اعتنق اليهودية نكاية بالمسيحيين الاحباش وأجرى مجزرة بالمسيحيين العرب من أصحاب الأخدود الذين وردت قصتهم في القرآن الكريم ومن اليمن تسربت اليهودية إلى الحبشة سراً وتبعها بضعة آلاف من زنوج الحبشة حتى أصبحوا فيما بعد يهود الفلاشا. وفي الغرب تبنت مملكة الخزر العقيدة اليهودية وعلى رأسها ملكها. وفرض هذا الملك اليهودية على شعبه وانتشرت بشكل أوسع حتى قضي على هذه المملكة فهاجر اليهود الخزر إلى أوروبا الشرقية وأنشؤوا ما يسمى الغيتوات أي الحارات اليهودية المغلقة.

فإذا عدنا إلى سورة الاسراء والحديث عن قضاء الله لبني إسرائيل فإنه يعني كل من تبنّى التوراة كتابا وتبنى اليهودية عقيدة. ولم يعد مصطلح بني اسرائيل ينحصر على أبناء معينين إنما هو يطلق على أصحاب عقيدة أساسها بنو اسرائيل. أساسها هم في الانتشار وقصص التاريخ وما إلى ذلك.

وهذا يقاس أيضاً على خطاب الله سبحانه لمن تبع محمد ﷺ. فهم الذين آمنوا وظل يطلق عليهم اسم الذين آمنوا على الرغم من أنهم في غالبيتهم من العرب القرشيين ومن العرب الانصار من الأوس والخزرج. وليس هذا معناه أن كل من آمن بالاسلام ديناً لم يكن عربيا لا ينطبق عليه هذا الاسم. فأمة الإيمان هي الأمة التي آمنت با لله واحداً وبالرسول محمد نبياً وتشمل هذه الأمة كل العروق والاجناس والشعوب المنتشرة في كل الأرض وما ينطبق على هذا ينطبق على ذاك.

٢ـ الاشكال الثاني بالنسبة لتوجه رسول الله ﷺ نحو القدس في صلاته مدة ستة عشر شهراً على أكثر الأقوال ثم تحوله بالصلاة نحو المسجد الحرام.

فقد ورى البخاري عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو أخواله من الانصار وأنه صلى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت الحرام وأنه ﷺ صلى

أول صلاة العصر وصلى معه قوم. فخرج قوم ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون. فقال أشهد با لله لقد صليت مع رسول ا لله ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس. فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك)[1]

ومن طريق أخرى عن البراء بن عازب «كان رسول اللـه ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً وكان رسول اللـه ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل اللـه (قد نرى تقلب وجهك في السماء) فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من اليهود ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم).

فصلى مع النبي ﷺ رجل ثم خرج بعدما صلى فمر على قوم من الانصار في صلاة العصر يصلون نحو بيت المقدس فقال من يشهد انه صلى مع رسول اللـه ﷺ وأنه توجه نحو الكعبة فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة)[2]

وقد أورد ابن عباس أن الرسول ﷺ كان يصلي باتجاه بيت المقدس وهو في مكة قبل الهجرة لكنه لا يستدبر الكعبة بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس وفي سبب نزول قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء فقد أخرج الطبري وغيره من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال (لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة واليهود يستقبلون بيت المقدس أمره اللـه أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهراً وكان رسول اللـه يحب أن يستقبل بيت ابراهيم فكان يدعو وينظر إلى السماء فنزلت. ومن طريق مجاهد قال إنما كان يحب أن يتحول إلى الكعبة لأن اليهود قالوا يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا فنزلت.

وإذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم فنراها تتحدث عن المسألة بشكل مفصل ومهم.

يقول تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لتعلم من يتبع الرسول ممن

---

[1] صحيح البخاري. كتاب الايمان باب الصلاة من الايمان.

[2] كتاب الصلاة. المصدر السابق.

ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ١٤٣ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ١٤٤ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما اتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين ١٤٥ الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ البقرة ١٤٣ - ١٤٦.

وقد سبق هذه الآيات الآية ١٤٢ والتي يقول فيها الله سبحانه وتعالى: سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم).

بداية الآيات هذه الآية وهي من أخبار الغيب. والحكمة من الإخبار بما يقوله المجرمون قبل وقوعه توطين نفوس المؤمنين على الصبر إذ المفاجأة بالمكروه أشد. وإعداد الجواب قبل الحاجة إليه أقطع للخصم.

ومعنى الآية أن السفهاء من الناس سيتساءلون لماذا صُرف المسلمون عن الصلاة والتوجه نحو القدس.

يأتي سياق الآية الاخرى وجعلناكم أمة وسطا. فاختيار الله سبحانه للكعبة مكانا للتوجه هو بمثابة الاختيار الوسط لأمة الايمان. فاليهود يتوجهون في صلاتهم نحو المسجد الأقصى والنصارى يستقبلون مطلع الشمس والمسلمون يستقبلون الكعبة وسياق الآية يدل على حكمة إلهية المراد من تحويل القبلة فيها هو الامتحان للمؤمنين ولتألف قلوب اليهود وقد توجه الرسول في استقبال الاقصى بأمر من الله ليمتحن الله به الناس ويميز من يتبع الرسول في التوجه إليها ممن يرتد عن دينك شكاً وتحيراً. وتقول الأخبار إن بعضهم قد ارتد. لقد كان التوجه للكعبة امتحاناً كبيراً وشاقاً على ضعفاء الإيمان لكن الذين كتب الله لهم السعادة ثبتهم على الايمان واتباع الرسول ﷺ فلم يرتابوا وقد ذكرت كتب السيرة أن النبي ﷺ كان يحب بطبعه أن يستقبل الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم وأقدم القبلتين وأدعى

للعرب للإيمان ومخالفة اليهود الذين ناصبوه العداء وقال لجبريل وددت لو حوّلني الله إلى الكعبة فقال جبريل إنما أنا عبد مثلك وجعل عليه الصلاة والسلام يديم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل عليه السلام بما يحب من أمر القبلة فأنزل الله الآية القائلة قد نرى تقلب وجهك.... واليهود كما قالت الآية الكريمة يعرفون أن ما قام به الرسول من تحويل القبلة هو بأمر رباني هو الحق من ربهم ويعرفون أن من صفات النبي أن يتوجه نحو قبلتين الكعبة وبيت المقدس.

وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. تعني أن صفة النبي يعرفونها كما وردت في توراتهم مثل معرفتهم لأبنائهم وقد قال عبد الله بن سلام وهو من اليهود الذين أسلموا وحسن إسلامهم: لقد عرفته كما أعرف إبني ومعرفتي لمحمد أشد فقال له عمر رضي الله عنه ولَمَ؟ قال لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته قد خانت.. فقبل رأسه

وإن فريقاً من أهل الكتاب ليكتمون الحق وينكرون صفات النبي الموجودة في كتبهم أما قوله تعالى: ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما اتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض. فهي توضح أن اليهود لن يؤمنوا ولو أتى النبي ﷺ بكل الآيات البينات على نبوته. ولن يتبعوا قيلة الرسول. ولذلك لن يتبع الرسول قبلتهم نكاية بهم. وهم بطبيعتهم لن يتبعوا قبلة بعضهم وهذا يعني أنهم يتوجهون نحو عدة أمكنة وليس إلى مكان واحد. وقد ذكرنا سابقاً أن اليهود انقسموا في التوجه إلى المعبد المركزي حين أقام آخاب بن عمري الملك اليهودي معبد زربابل في دويلة يهودا وظل بعض بني اسرائيل يتعبدون في ما يسمى الهيكل حسب ما أوردته التوراة.

وأن معبد زربابل صار مهوى اليهود في غالبيتهم. إضافة لذلك فالآية تشير إلى أنّ اليهود لن يتبعوا قبلة ولا النصارى سيتبعون قبلة اليهود وهم جميعاً أهل كتاب.

وفي هذا السياق يرد سؤال كيف يتوجه الرسول ﷺ نحو الكعبة آنذاك وهي مليئة بالاصنام؟

الواقع أن التوجه من قبل المسلمين نحو الكعبة هو توجه نحو رمز التوحيد الذي بناه ابراهيم.والاصنام طارئه عليه بعد إبراهيم وأن الرسول ﷺ عندما فتح مكة

حطم جميع الاصنام الموجودة في مكة وداخل الكعبة وعندما أشار القرآن الكريم إلى الكعبة بلفظ المسجد الحرام كان يعني تماماً إرجاع هذا البيت إلى ما كان عليه قبل دخول الوثنية فيه. ووجود الاصنام الطاريء لن يغير من حقيقة هذا البيت وعلاقته بالتوحيد. فهو أقدم من الصنمية وأثبت. وهذا بالفعل ما جرت به الأمور منذ فتح مكة وإلى هذا العهد.

وقد يرد سؤال آخر يقول كيف توجه رسول الله ﷺ نحو المسجد الأقصى وقد كان بأيدي الرومان آنذاك أو كان أثراً بعد عين لا يعرف مكانه بعد أن حوله الرومان إلى أرض خراب؟

وحقيقة الأمر ان رسول الله ﷺ توجه نحو بيت المقدس باعتباره ذا علاقة محددة بالانبياء الذين سبقوه كداود وسليمان وعيسى عليهم السلام وهو معروف آنذاك من قبل مجموع الشعوب المحيطة به. فتحويله أو حرث أرضه لا يلغي وجوده السابق في هذه المنطقة. ثم إن الإسراء الذي تم برسول الله ﷺ ترك أثراً مادياً وهو حائط البراق والصخرة المشرفة. وما إن حرر المسلمون بيت المقدس حتى شرعوا يقيمون المسجد فوق الصخرة المشرفة وأعادوا الاعتبار للقدس من خلال إعادة المعبد الخاص بالإنبياء والذين دأبوا على التعبد لله فيه وقد سبق القول عن ذلك أثناء الحديث عن ورود كلمة محراب في أربع آيات خاصة بداود ومريم وزكريا عليهم السلام.

ملاحظة:

إن صلاة الرسول ﷺ وتوجهه فيها نحو بيت المقدس ونحو الكعبة واعتراف اليهود أنفسهم أن هذا النبي سيصلي باتجاه قبلتين هو دليل مهم على استكمال دائرة التوحيد التي أتمها الرسول محمد ﷺ. فهو جمع بين قبلتين الكعبة وبيت المقدس ليؤكد أنه أولى الناس باستكمال ما جاء به الانبياء جميعاً من عقيدة التوحيد وأن المسلمين أحق الناس بحماية الكعبة وبيت المقدس والاشراف عليهما لأنهم حملة رسالة التوحيد كما جاءت. كاملة مكملة لما سبق والآية الكريمة التي جمعت بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى تأكيدٌ على ذلك واستشراف رباني للمستقبل بأن هذين المكانين سيكونان مسجدين مقدسين لأمة الاسلام.

الاشكال الثالث: طرحنا سؤال الاشكال الثالث الذي يقول إنه لم يرد نص قطعي في القرآن الكريم أو السنة الشريفة يحدد زمن الافساد الثاني. ولم يرد أي نص قطعي يحدد زمن انتصار المسلمين على اليهود فكيف نوفق بين الرؤية الاسلامية التي تفسر سورة الاسراء بهذا المنحى وبين هذه الثوابت؟.

نقول إن القرآن الكريم نزل على محمد ﷺ بعد المسيحية بـ حوالي ٥٧٠ عاماً وأن الحديث عن إفساد بني اسرائيل يعني أمة الاسلام بحاضرها أي منذ بدء الدعوة واستمراراً للزمن الآتي بعد محمد ﷺ.

ويفسر معنى الافساد الاول. سورة الحشر إذ يقول تعالى:

(هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبو ا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأنصار (٢) ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذابُ النار) ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) الحشر الآية ٢ ـ ٤

فأهل الكتاب اليهود الذين كانوا يساكنون الاوس والخزرج في المدينة وما حولها ومعروف أن اليهود كانوا من عدة قبائل. كبني عوف. وبني النضير. وبني قريظة وبني قينقاع وغيرهم.

وقد بلغ اليهود ما بلغوه من الافساد والعلو وتذكر وقائع التاريخ كيف كانوا يسخرون من الأوس والخزرج وبأيديهم الاموال التي يرابون بها. وكانت لهم حصونهم القوية فعندما نقضوا العهود مع رسول الله ﷺ وحاولوا قتله والغدر به أكثر من مرة حاصرهم الرسول ﷺ بضعة وعشرين يوماً حتى أُجلوا من المدينة.

وقوله تعالى لأول الحشر أي أن الرسول عليه الصلاة والسلام حاصرهم وحشرهم حتى استسلموا ورحّلوا من المدينة. وأول الحشر تعني أن هناك حشراً آخر وقد أجمع بعض علماء التفسير المعاصرين ومنهم المفكر الاسلامي العربي السوداني محمد أبو القاسم حاج حمد على أن الحشر الثاني يفسره قوله الله تعالى في سورة الاسراء، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم.

ولشدة قوتهم ظن المسلمون أنهم لن يستطيعوا عليهم لكثرة عددهم ووفرة عدتهم ووثاقة حصونهم. وقد ظن اليهود أيضاً أن حصونهم تمنعهم من بأس الله وقوة جنوده وحصونهم كما ذكرت في كتب التاريخ والسيرة هي. الوطيح والنطاة والسلالم. والكتيبة فعلى الرغم من ذلك قذف الله في قلوبهم الرعب وأخرجوا من المدينة وقد أخذوا يقتلعون أبواب بيوتهم وما حُسن من الاعمدة الخشبية وفي كلمة جلاء في الآية عبرة. حيث لا يُجلى الناس إلا لأنهم غرباء في الأصل ونقول جلى المستعمر أي خرج ولم يعد له أثر. وهكذا فقد قضى الله عليهم بالجلاء وليس بالخروج. وقد دخل المسلمون مدن وقلاع اليهود فجاسوا خلال ديارهم لكنهم لم يقتلوا منهم أحداً. وهذا هو قوله تعالى فجاسوا خلال الديار في سورة الاسراء.

ويرى بعضهم أن جوس الديار أيضاً تم في بيت المقدس حيث دخل عمر رضي الله عنه القدس صلحاً ودخل المسلمون معه. وهذا أيضاً هو جوس الديار المعنية بالقدس والله أعلم.

وعلى هذا يكون الافساد الأول هو الافساد الذي حدث في المدينة المنورة زمن الاوس والخزرج ثم ما تبع ذلك من انتصار المسلمين عليهم.

ومنذ ذلك الوقت لم يتجمع اليهود في أي مكان من الارض العربية فقد امتدت الفتوحات الاسلامية وحرر الاقصى وظل محرراً حتى العصر الحالي أي إلى عام ١٩٤٨ حين احتل الصهاينة فلسطين وأقاموا على أرضها كيانهم الغاصب.

والواقع أن اليهود الآن يشكلون قوة هائلة في المنطقة وبسبب ضعف المسلمين وابتعادهم عن روح القتال والجهاد استطاع الصهاينة أن يهددوا الأمة بأسرها ويستجلبوا البنين من يهود العالم ويجمعوا الاموال اللازمة لصناعة السلاح وتطوير أرقى أشكال التكنولوجيا.

وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة في سورة الاسراء عندما تقول: ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ٦ الاسراء.

وقوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾ ٧ الاسراء.

وقوله تعالى في سورة الاسراء الآية ١٠٤ ﴿وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا﴾ ١٠٤ الاسراء

والمعروف أن أول دخول للمسلمين إلى المسجد الأقصى تم في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد تحرير القدس وأراضي فلسطين والشام. ولم يُجمع اليهود مرة أخرى بعد تجمعهم الاول الذي كان في المدينة إلا في الوقت الحاضر. وعلى ذلك فإن الحشر الثاني أو كما ورد في سورة الاسراء (وعد الآخرة) سيكون حتماً في فلسطين والقدس. وأن انتصار المسلمين على اليهود ودخول جيوشهم الموحدة القدس مرة أخرى مرهون بعودة حقيقية لجوهر العقيدة الاسلامية ولمنهج الجهاد القرآني وهذه أصبحت حقيقة مجربة على مدار التاريخ الاسلامي. فلن يتم النصر ودخول الاقصى إلا بعودة الامة إلى جوهر عقيدتها ووحدتها وتضامنها في درب الجهاد.

وفي أحاديث رسول الله ﷺ إشارات لما سيؤول إليه الأمر من صراع المسلمين مع اليهود.

فقال أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحق عن محمد بن طلحة عن سالم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: منزل الدجال في هذه السبخة فيكون أكثر من يخرج إليه النساء حتى إن الرجل ليرجع إلى زوجته وإلى أمه وابنته وإخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه فيسلط الله المسلمين

عليه فيقتلونه ويقتلون شيعته حتى أن اليهودي ليختبئ تحت الشجره والحجر فيقول الحجر والشجر للمسلمين هذا يهودي تحتي فاقتله)

وقال ابن عمر قال رسول الله ﷺ: تقاتلكم اليهود فتسلّطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله.

أما المسجد الأقصى في السنة النبوية الشريفة فقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك. وجميعها يوضح فضل هذا المسجد ومكانته عند المسلمين وصلته بعقيدة التوحيد.

- روى الامام أحمد عن ذي الاصابع قال: قلت يا رسول الله إن ابتُلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا قال: عليك ببيت المقدس. فلعله أن ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون) (٤/٦٧).

- وعن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس فقال: أرض المنشر والمحشر ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه قالت: أرأيت من لم يُطق أن يتحمل إليه أو يأتيه؟ قال: فليهد إليه زيتاً يسرج فيه فإن من أهدى له كان كمن صلى فيه) رواه أحمد ٦/٤٦٣ وابن ماجه ١/٤٢٩.

- وقال ﷺ: من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام غفر الله ما تقدم من ذنبه. أو وجبت له الجنة. رواه أبو داود في سننه.

وفي سنن ابن ماجة من أهلّ بعمرة من بيت المقدس كانت كفارة لما قبلها من ذنوب.

- وعن جابر أن رجلاً قال يا رسول الله أي الخلق أول دخولاً إلى الجنة قال: الانبياء قال ثم من: قال: الشهداء قال ثم من قال مؤذنو المسجد الحرام قال ثم من قال: مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنو مسجدي هذا قال ثم من قال سائر المؤذنين على قدر أعمالهم.

- وروى البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء رفعه (الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة في مسجدي بألف صلاة والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة) قال البزار، إسناده حسن.

ـ قال ﷺ: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الاقصى.

وفي رواية أخرى: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي. وقد رُوي الحديث عن ست عشرة طريقة. ورواه ستة من أصحاب رسول الله ﷺ

ـ وقد صح في الحديث النبوي أن النبي ﷺ عندما أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى صلى بالانبياء جميعاً.

وأشهر ما قيل في ذلك ما نقله السيوطي في الآية الكبرى. وقال ابن أبي حاتم في تفسيره وهو حديث طويل اقتطف منه ما فيه زيادة عن غيره (عن أنس بن مالك قال: ولما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل حمله جبريل عليها... فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذي يُقال له باب محمد (في حائط البراق) أتى إلى الحجر الذي ثَمّة فغمزه جبريل بإصبعه فنقبه ثم ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحة المسجد.... ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير. ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم فلما انصرفت قال جبريل يا محمد أتدري من صلى خلفك قال: قال لا . قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله.

وروى البيهقي في دلائل النبوة ١٤٣/٢ ـ ١٤٩ والطبري في تفسيره حديثاً طويلاً وجاء فيه: أتى بيت المقدس فربط فرسه إلى صخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قُضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك؟ قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا: وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء.

وقد علق المفسرون والعلماء على الحكمة من الاسراء إلى بيت المقدس فقال السيوطي في الآية الكبرى ص ١١٥ تكلم الناس في الحكمة في الاسراء بالنبي إلى بيت المقدس قبل المعراج فقيل ليجمع تلك الليلة بين القبلتين).

وقيل لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الانبياء قبله فحصل له الرحيل إليـه في الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل.

وقال سيد قطب في ظـلال القـرآن ١٥/١٢ (والرحلـة مـن المسـجد الحـرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى محمـد خـاتم النبيـين. وتربـط بـين الامـاكن المقدسة لديانـات التوحيـد جميعـاً وكأنما أريـد بهـذه الرحلـة العجيبـة إعـلان وراثـة الرسول الاخير لمقدسات الرسل قبله واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتبـاط رسالته بها جميعاً.

الفصل الخامس

القدس في التراث الاسلامي

أدرك المسلمون أهمية بيت المقدس بالنسبة للعقيدة الاسلامية. فقد ارتبطوا ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم وآياته. فعرفوا من خلال مقدمة سورة الاسراء أهمية الربط الإلهي بين المسجد الحرام والمسجد الاقصى. وأدركوا أن المسجد الأقصى لا يقل أهمية عن المسجد الحرام. فكلاهما مكانان خصهما الله بالقداسة والمباركة، وأدركوا أنهم أحق الناس بحمايتهما من الشرك والوثنية والحقد اليهودي الكبير.

وكانت البدايات ذلك التحرك الاسلامي زمن رسول الله ﷺ باتجاه الشمال العربي. ينطلق من الجزيرة ليستكمل دائرة التوحيد بتحرير الأقصى وبلاد الشام ونشر الدعوة الإسلامية في آفاق الدنيا.

توجهت جحافل المحررين نحو الشام ونحو العراق. وبدون تحرير الأقصى ليست هناك أراض أحق بالتحرير. فأول الأمر كان على ديانة التوحيد أن تستكمل الدائرة القدسية ثم تنطلق داعية إلى عبادة الله الواحد في فارس وأقطار العالم القديم.

بدأ التوجه نحو بيت المقدس حينما بعث رسول الله ﷺ بكتابه إلى هرقل ملك الروم وكان آنذاك في بيت المقدس يحتفل بالنصر على الفرس عام ٦٢٨ ميلادي الذي يوافق تماماً أواخر السنة السادسة أو أوائل السنة السابعة للهجرة لأن الهجرة النبوية كانت في ٢٣ أيلول ٦٢٢م واحتفال هرقل كان في ١٤ أيلول سنة ٦٢٨ ميلادي الذي يوافق تماما أواخر السنة السادسة أو أوائل السنة السابعة للهجرة روى البخاري في كتاب بدء الوحي باب ٦ أن رسول الله ﷺ كتب إلى هرقل يدعوه إلى الاسلام بعد العودة من الحديبية.

ويرى المؤرخون أن الكتاب أرسل في محرم من بداية السنة السابعة للهجرة وكان أبو سفيان بن حرب قد خرج إلى الشام في تجارة في مدة هدنة الحديبية. فصادف وجوده وصول كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وكان هرقل يومها في القدس

لإيلياء فطلب هرقل من شرطته أن يبحثوا في الشام عن رجل من قوم النبي ليسأله عن شأنه فوجدوا أبا سفيان في غزة هاشم حرسها الله فأتوا به إلى هرقل وسأله عن صفات محمد بن عبد الله وكان أبو سفيان يومها مشركا فأجابه بما وقر في قلبه من صفات النبي ﷺ.

وقد جاء في الروايات والحديث الصحيح الذي رواه البخاري في كتاب بدء الوحي ج/٥ قال هرقل لأبي سفيان فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقدكنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم.

ويجدر بنا أن نتوقف قليلاً عند هذه الأحداث لنرى كيف تسارعت الازمان وكيف لعبت الأطراف في المنطقة دورها.

فالفرس انتصروا على الروم واستولوا على بلاد الشام ومن بينها القدس. وقد فرح اليهود بذلك وأعانوا الفرس عوناً كبيراً وأخذوا يجرون المذابح بالمسيحيين الذين هم في القدس وفلسطين. ولم يلبث الروم أن انتصروا على الفرس بعد بضع سنين فلم يجد اليهود بداً من الهروب والتخفي تارة واللحاق بالفرس تارة أخرى أما هرقل فتقول الروايات أن القادة الرومان ضغطوا عليه كثيراً بسبب ميله إلى الدين الجديد. وهذا الضغط أدى بالتالي إلى رفض الشروط الإسلامية الجزية. أو الدخول في الاسلام أو الحرب. وقِبل أن يحارب المسلمين على مضض وكانت نتيجة حربه الخسارة والخروج نهائياً من الأرض العربية.

أما عن التحرك العسكري الاسلامي نحو بيت المقدس. فكما قلنا بدأت الانظار تتجه إلى تحرير الاقصى منذ حادثة الاسراء والمعراج وبعد أن عرف المسلمون معنى ربط المسجد الحرام بالمسجد الاقصى في آية قرآنية واحدة.

ومنذ السنة الخامسة للهجرة بدأ رسول الله ﷺ يبعث السرايا على الطريق بين المدينة وبلاد الشام. ففي السنة الخامسة كانت غزوة دومة الجندل وهي على بعد ٤٥٠ ك م شمال تيماء وفي السنة السادسة بعث النبي صلاة الله عليه وسلامه بعثمان بن عفان على رأس سرية مرة أخرى إلى دومة الجندل وفي السنة السابعة كانت غزوة خيبر لأن يهودها كانوا يهددون الطريق إلى الشام وفي السنة الثامنة كانت سرية كعب الغفاري إلى ذات أطلاح من ناحية الشام وهو في منطقة وادي

عربة. وفي السنة الثامنة نفسها كانت غزوة ذات السلاسل بقيادة عمرو بن العاص. وفي نفس السنة كانت سرية زيد بن حارثه إلى حدود فلسطين ثم جاءت غزوة مؤته وتبوك وفي السنة الحادية عشرة كانت سرية أسامة بن زيد وأمره الرسول ﷺ أن يصل إلى دير البلح في جنوب فلسطين لكن الغزوة توقفت فترة بسبب وفاة الرسول ﷺ ثم تابعت مسيرها بمجيء الخليفة أبي بكر الصديق. رضي الله عنه.

وبدءا من السنة الثانية عشرة بدأت الجيوش الإسلامية تزحف نحو الشام بأمر من الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. فعقد لواء لخالد بن سعيد ثم أتبعه بلواء ليزيد بن أبي سفيان، ثم بلواء للشرحبيل بن حسنة، ثم بجيش على رأسه أبو عبيدة عامر بن الجراح وخرج عمرو بن العاص. وقد اتجه كل جيش في طريق مختلف. ثم أمر الخليفة خالد بن الوليد بالتوجه إلى الشام وترك الجبهة الفارسية.

وبدأ الصراع المسلح بين المسلمين والروم في عدة معارك. بدءاً من معركة دافن شرقي دير البلح. ثم معركة أجنادين قرب الخليل ثم معركة فحل زمن الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه ثم معركة اليرموك الحاسمة وكانت نهاية الرومان أو بداية النهاية لتواجدهم في بلاد الشام.

أتم عمرو بن العاص تحرير فلسطين وبقيت قيسارية كونها تستمد العون والمدد من البحر وحاصر القدس بعد أن تحصن أهلها داخل الاسوار. واستمر الحصار أربعة أشهر فطلبوا من أبي عبيدة الذي جاء مسانداً لعمرو بن العاص الصلح مثل باقي مدن الشام وأن يحضر الخليفة نفسه لتوقيع المعاهدة والصلح.. وكتب أبو عبيدة إلى الخليفة بذلك وبعد مشاورة الصحابة وأهل المشورة ذهب الخليفة عمر إلى بيت المقدس على راحلة دون حرس أو جنود مرافقين.

وقد اجتمع الخليفة مع قادة المسلمين في الشام في مكان يدعى الجابية. وتقول المصادر أن وفداً من أهل القدس جاء الخليفة وهو في الجابية. ثم لبى الخليفة لطلب أهل القدس وكتب العهدة العمرية لأهل بيت المقدس.

وقد جاء فيها: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم

وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ان لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم ولا يُنتقض منهـا ولا من حيّزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهـم ولا يكرهـون على دينهـم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهـل المدائـن وعليهـم أن يُخرجـوا منهـا الـروم واللصـوت (اللصوص).

فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومـن أقـام منهـم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزيـة. ومـن أحـب مـن أهـل إيليـاء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلّي بيعهم وصلُبَهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلـى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهـل الارض قبـل مقتـل فـلان (كذا) فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزيـة ومـن شـاء سـار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنهم لا يؤخذ منهم شيء حتـى يحصـد حصـادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد اللــه وذمـة رسـوله وذمـة الخلفـاء وذمـة المؤمنـين إذا اعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد. وعمرو بن العـاص. وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة.

والواقع أن أهل القدس هم الذين طلبوا من الخليفة عدم سكن اليهـود معهـم في المدينة وذلك بسبب ما عانوه من قتل وذبح من قبل اليهود أيام الغزو الفارسي.

وتوضح العهدة أن الروم مستعمرون وعليهم الخـروج مـن القـدس مثلهـم مثـل اليهود واللصوص كمـا ورد فيهـا. وأن أهـل البـلاد الفلسـطينيين هـم مـن تنصـروا وحفظوا المسيحية حفظاً أحق هم به لأن المسيح عليه السلام منهم وليس رومانياً.

ويذكر شهود عيان أن العهـدة العمريـة لا تـزال موجـودة ومحفوظـة في كنيسـة الروم الارثوذكس (كنيسة القيامة) إلى يومنا هذا.

وعندما دخل عمر رضي اللـه عنه القدس خطب في أهلهـا مسـتهلاً خطبتـه: يـا أهل إيلياء لكم مالنا وعلينا ما عليكم. وقد دعاه بطريرك القدس صفرونيوس لتفقـد كنيسة القيامة فلبى الدعوة وأدركته الصلاة وهو فيها فالتفت إلى البطريرك وقال له أين أصلي فقال مكانك فصلِّ فقال ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامـة فيـأتي المسلمون من بعدي ويقولون هنا صلى عمر ويبنون عليه مسجداً. وابتعد عنها رمية

حجر ففرش عباءته وصلى وجاء المسلمون من بعده وبنوا على مصلاه مسجداً ثم سأل عمر البطريرك عن موضع المسجد الأقصى فدله. فوجده مغموراً بالقمامة ففرش عمر عباءته وأخذ يزيح بها القمامة من مكان المسجد الأقصى ويلقيها في الاودية واقتدى به قادة المسلمين ورؤساء الجند حتى طهروه تطهيراً ثم بنى عليه مسجداً.

يستدل من ذلك أن هناك مكاناً يدعى المسجد الأقصى وكان يعرفه أهل البلاد كونه مكاناً للسجود يؤمه المؤمنون ولكنه أهمل بسبب وجود كنيسة القيامة التي أصبحت أهم مكان للعبادة بالنسبة للعقيدة المسيحية. ومعلوم أن الذي بنى كنيسة القيامة هي هيلانه أم الامبراطور قسطنطين الذي تنصر في القرن الثالث الميلادي.

بمعنى أن المسجد الأقصى كان المعبد الاهم بالنسبة للمسيحية الاولى حيث كان السيد المسيح عليه السلام يتعبد فيه قبل أن يدخل الرومان المسيحية بثلاثة قرون أي قبل بناء كنيسة القيامة بكثير.

والواقع أن أحداً من المؤرخين العرب الاوائل مثل الطبري والبلاذري لا يحدثنا عن بناء مسجد في القدس عند استسلامها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عام ٦٣٧ على الرغم من أقوال المؤرخين المسيحيين مثل ثيوفانيس والياس النصيبي وميخائيل السوري تذكر بناء المسجد والتفاصيل الاسطورية المرافقة. ولكن ليس هناك شك بأن بناءً بدائياً شيد في هذا الوقت لأن أركوف الذي قدم حاجّاً إلى بيت المقدس حوالي ٦٧٠م يقدم لنا وصفاً له فيقول (ولكن في ذلك المكان المشهور حيث كان المعبد قائماً بروعته. وهو واقع في جوار الجدار من جهة الشرق يتردد المسلمون على مسجد رباعي الشكل بنوه بصورة بدائية بوضع العوارض الكبيرة على بقايا الآثار ويقال إن هذا المكان يتسع لثلاثة آلاف رجل دفعة واحدة ويمكن أن يسمى هذا المسجد بالمسجد الاقصى الاول)[1]

[1] الاثار الاسلامية الاولى صفحة ٣٤ كريزويل

وقد جدد عبد الملك بن مروان المسجد الأقصى الثاني ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ونقش اسمه على القبة من تاريخ البناء سنة ٧٢هـ. وقد بنى عبد الملك هذا المسجد فوق المسجد الأول. ثم أكمل بناءه ابنه الوليد بن عبد الملك.

في عام ١٤١هـ زار الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور مدينة القدس. وقد أمر أن يؤخذ من طول المسجد الاقصى ويزاد في عرضه. وبعد أن جاء المهدي أمر بإعادة بناء المسجد بعد أن وقع وبُنِيَ هذه المرة بشكل جيد. وفي أواخر سنة ٢١٦هـ زار الخليفة المأمون العباسي المسجد الأقصى وهو في طريقه إلى مصر. وأمر بترميم ما يحتاج إلى إصلاح من منشآته. وكانت قد حصلت بعض الزلازل بعد إصلاح المهدي. فأمر المأمون بتوزيع بنائه على أمراء الأطراف وسائر القواد وقام بالبناء قائده عبد الله بن طاهر بعد سنة ٢١٠هـ. وقد قام عدد من الخلفاء العباسيين بزيارة المسجد الأقصى.

وخضعت القدس للحكم الفاطمي سنة ٣٥٩. وفي عام ٤٠٧هـ سقطت القبة العظيمة التي على صخرة بيت المقدس ثم أعيد بناؤها في عهد الظاهر علي أبو الحسن. وفي سنة ٤٢٥ خرب المسجد الأقصى خراباً كبيراً بسبب زلزال فعمره الخليفة الفاطمي الظاهر وضيقه من الشرق والغرب. وقد ملك القدس أميران من السلاجقة. ولكن الفاطميين حاربوهما واستولوا على القدس حتى جاءت الحملة الصليبية الاولى فانسحب افتخار الدولة الفاطمي مؤمناً على روحه وغادرها إلى مصر وترك مصير ٧٠ ألف من المسلمين يقتلون ذبحاً في القدس من قبل الفرنجة وبعد أن استتب الوضع لصلاح الدين استطاع تحرير بيت المقدس وتخليص الأرض المباركة من أيدي الصليبيين كما تقدم.

بدأ الزحف الصليبي على القدس في نيسان عام ١٠٩٩ بقيادة ريمون سان جيل وتانكريد وكورتهوز ثم لحق بهم غودفروا بويون أحد قادتهم ووصل الصليبيون في السابع من حزيران إلى تل يطل على مدينة القدس. وبدأ الحصار عسيراً وتوقعته الحامية منذ تاريخ مديد وأمنت التموين لزمن طويل بينما كان الصليبيون يبحثون عن الماء. ولكن الصليبيين بدأوا الهجوم الأول في ١٣ حزيران وأخفق إخفاقاً ذريعاً وبعد هذه التجربة المرة اتخذ الزعماء الصليبيون حيطتهم وقاموا بأعمال كبرى. وفي

ليل ١٣- ١٤ تموز ١٠٩٩ أعطي الأمر بالهجوم العام على القدس ودام طوال نهار ١٤ تحت طوفان السهام والقذائف المحرقة وفي ١٥ تموز نفذ قسم من الصليبيين إلى المدينة ثم هوجمت من عدة جهات ودخلوا القدس وأجروا فيها مذبحة مروعة. وقتل من المسلمين ما يقارب السبعين ألفاً منهم جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الاوطان وجاور بذلك الموضع الشريف[١]. وقد نهب الافرنج كل محتويات المسجد الاقصى من قناديل فضة وتحف وكانت بالمئات وحوّلوا المسجد الاقصى الى كنيسة وحوّلوا كثيراً من المدارس الاسلامية الفقهية وغيرها إلى مرابط خيول وحانات وأمكنة لنوم الجنود ومخازن. لقد كانت كنيسة القيامة قائمة يتعبد بها المسيحيون العرب ولم تمس بسوء طوال عهد الأمويين والعباسيين، لكن الصليبيين الذين أتوا مستعمرين للأرض العربية طامعين بخيراتها لم يفهموا بُعد الحس الديني، ولا انسانية الدين فبمجرد دخولهم القدس حولوا المسجد الأقصى كما قلنا إلى كنيسة وإلى أماكن تستخدم لشؤون جنودهم وخيولهم وقد أبدى العرب الذين كانوا يدافعون عن المسجد الأقصى والآخرون الذين استحكموا في برج داود الواقع في القسم الغربي من المدينة مقاومة بالغة الشجاعة والجرأة في وجه الغزاة وفي آخر المطاف سلم افتخار الدولة الفاطمي المدينة للصليبيين بشرط أن يتوجه بحراً إلى مصر، وقد تم ذلك. وقد تجمع المسلمون في المسجد الأقصى وهناك جرت معركة دموية طوال نهار كامل. وفي المسجد الأقصى ذبح الصليبيين ما لا يقل عن عشرة آلاف شخص.

وتشير بعض المصادر أن اليهود الذين سكنوا القدس وقدموا إليها تسرباً زمن الأمويين والعباسيين كانوا أيضاً ضحية الغزو الصليبي الغربي وقد اجتمعوا كلهم في كنيس كبير وفيه أبادهم الصليبيون عن بكرة أبيهم وقد أحرق الصليبيون مبنى الكنيس بمن بحث عن ملجأ فيه).

وقد أنشأ رجال الكنيسة خاصة خمس أبرشيات وتسع أسقفيات وأديرة عديدة ونالت الكنيسة مكافأة على مساهمتها القوية في الحروب الصليبية. وقد انتقلت إلى

---

[١] ابن الاثير الكامل في التاريخ ص ٢٢٤ - مجلد ١٠

الاحبار الكاثوليك الاملاك التي كانت تخص من قبل رجال الدين المسلمين وكذلك جزئياً الاملاك التي كانت تخص الكنائس المسيحية بما فيها كنيسة الروم الارثوذكس.

وفي المسجد الأقصى من الداخل بني قصر للفرسان الهيكليين الصليبيين. وقد حوله الملك بُدوان الأول إلى مكان للسكن أما المبنى المجاور المتّجه بواجهته صوب الجانب الجنوبي من المسجد الأقصى فقد كان أيضاً جامع قبة الصخرة وقد حوله الصليبيون إلى كنسية سموها هيكل السيد وخصصها ملك القدس وبطريرك القدس للهيكليين. إن المسجد الأقصى عبارة عن مبنى ضخم كبير يعتمد على ٢٨٠ عاموداً ضخماً وكان المعاصرون يشبهونه بجامع قرطبة الكبير وقد تعرض المسجد الأقصى لتدميرات شديدة.

إن الغزاة الغربيين الجهلاء والأميين كانوا في هذه الحالة على خلاف مع الجغرافيا التاريخية الكنسية وكانوا يؤمنون في الخرافات التي يبتدعها خيالهم الديني بالذات. أما في الواقع فإن هيكل سليمان القديم الذي محاه من على وجه الأرض الرومان في السبعينات من القرن الاول الميلادي أثناء حرب اليهودية كان يقع أبعد قليلاً إلى الشمال وفيما بعد بنيت هنا هياكل أخرى، ففي القرن الثاني بنى الامبراطور الروماني هيكل جوبتر الكابيتولي وفيما بعد في القرن الرابع حول الامبراطور قسطنطين بعد اعتناقه المسيحية هذا الهيكل الوثني إلى كنيسة مسيحية وبعد أن فتح العرب فلسطين سنة ٦٣٧ أعيد بناء هيكل السيد.[1]

دام استيلاء الصليبيين على المسجد الأقصى ومدينة القدس حوالي مئة عام إلى أن برز دور جديد، دور للمسلمين بدأه عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ومن ثم صلاح الدين الايوبي ونجحت جهودهم في توحيد القوى العربية والاسلامية خاصة أيام صلاح الدين حين استطاع توحيد مصر والشام ومناطق الجزيرة الفراتية، وراح يضرب الصليبيين في معركة إثر معركة حتى استطاع أخيراً أن يحشد جيشاً

---

[1] ميخائيل زوبوروف. الصليبيون في الشرق . دار التقدم ص١٦٠ - ١٦١

قوياً قرب طبريا وهناك حاصر الصليبيين في تل حطين وبدأت معركة فاصلة بين الطرفين واستطاع العرب المسلمون كسب المعركة ولم يبق أمامهم سوى القدس.

مهد صلاح الدين لاسترجاع القدس بتحرير مدن الساحل الشامي وقطع الامدادات عن الصليبيين في القدس ثم توجهت جيوش المسلمين وحاصرت القدس، حتى استسلمت وأخرج الصليبيون منها.

يقول ابن الاثير في كتابه الكامل في التاريخ: لما فرغ صلاح الدين من أمر عسقلان وما يجاورها من البلاد على ما تقدم وكان قد أرسل إلى مصر الاسطول الذي بها في جمع من المقاتلة ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو معروف بالشجاعة والشهامة ويمن النقيبة فأقاموا في البحر يقطعون الطريق على الفرنج كلما رأوا مركباً غنموه وشانياً أخذوه فحين وصل الاسطول وخلا سره من تلك الناحية سار عن عسقلان إلى بيت المقدس وكان بها البطرك الأعظم عندهم وهو أعظم شأناً من ملكهم وبه أيضاً باليان بن بيرزان صاحب الرملة. وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك. وبه أيضاً من خلص من فرسانهم من حطين وقد جمعوا وحشدوا واجتمع أهل تلك البلاد عسقلان وغيرها.

ويتابع ابن الاثير: وبقي صلاح الدين خمسة أيام يطوف حول المدينة لينظر من أين يقاتله لأنه في غاية الحصانة والامتناع فلم يجد عليه موضع قتال إلا من جهة الشمال نحو باب عمود فانتقل إلى هذه الناحية في العشرين من رجب ونزلها ونصب تلك الليلة المنجنيقات فأصبح من الغد وقد فرغ من نصبها ورمى بها.

ثم يقول: ووصل المسلمون الخندق فجاوزوه والتصقوا إلى السور فنقبوه.. فلما رأى الفرنج شدة القتال وتحكم المنجنيقات بالرمي المتدارك وتمكن النقابون من النقب وأنهم أشرفوا على الهلاك اجتمع مقدموهم يتشاورون فيما يأتون ويذرون فاتفق رأيهم على طلب الامان وتسليم بيت المقدس إلى صلاح الدين. فأرسلوا جماعة من كبرائهم وأعيانهم في طلب الامان فلما ذكروا ذلك للسلطان امتنع من إجابتهم وقال: لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها.

وبعدمباحثات مطولة استقر الأمر على الصلح وخاصة أن صلاح الدين خشي أن يعمد الصليبيون إلى قتل الأسرى المسلمين المأسورين داخل القدس وكان عددهم سبعة آلاف شخص.

وسُلمت المدينة يوم الجمعة في السابع والعشرين من رجب وكان يوماً مشهوداً ورفعت الاعلام الاسلامية على أسواره . وأول عمل قام به صلاح الدين إزالة الاوساخ المتراكمة عن الصخرة المشرفة وجاء في كتب التاريخ أنه بدأ نفسه بتنظيفها وتبعه بقية القادة والجنود ثم غسلت الصخرة وعطرت. وقد شارك بنفسه في نقل الأحجار من المقالع قال مجير الدين الحنبلي: (وكان يحمل على قربوس سرجه ويخرج الناس لموافقته على حمل الحجر إلى موضع البناء ويتولى ذلك بنفسه وبجماعة خواص الامراء ويجتمع لذلك العلماء والقضاة والصوفية والاولياء وحواشي العساكر وعوام الناس فبني (السور) في أقرب مدة ما يتعذر بناؤه في سنين).

وقد حاول الفرنج استعادة بيت المقدس للاستعمار الصليبي عندما قدم ملوك أوروبا وعلى رأسهم ريتشارد ملك بريطانيا وملك فرنسا. لكنهم فشلوا وخسروا معركة فاصلة مع صلاح الدين وبعد وفاة صلاح الدين ظل أبناؤه يتولونها ويقيمون فيها المدارس الفقهية. وعندما تسلم الكامل ولايتها عقد اتفاقاً مع ملك الفرنجة على أن يسلمه إياها فتسلمها لمدة ثم استردها الملك الناصر داود ابن أخي الكامل.. وقد بلغ عدد السنين التي دخلت القدس فيها تحت سيطرة الفرنجة ٩٩ سنة. ثم دخلت القدس في حوزة المماليك في سنة ٦٥٠هـ - ١٢٥٣ افرنجي. وقد اهتموا بها فأقاموا المدارس وأجروا تعميرات على قبة الصخرة والمسجد الأقصى. وغدت القدس في زمن المماليك مركزاً من أهم المراكز العلمية في العالم الاسلامي، ثم جاء حكم الترك للبلاد العربية ليستمر أربعة قرون وخلالها بدأ التسرب اليهودي إلى فلسطين من جديد حتى سقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى. ودخول الانجليز إلى البلاد العربية ووضعها تحت الانتداب.

خاتمـــــــة

وتبقى القدس مركز الصراع الكوني القادم، الصراع بين قوى الظلام والصهيونية وقوى الحق والنور قوى العروبة والاسلام والانسانية.

لم تشهد مدينة في العالم العربي والاسلامي ما شهدته القدس عبر التاريخ. فمنذ أكثر من ثلاثة آلاف عام والقدس تتعرض للغزو وتتصدى للغزاة. تسيل الدماء وتهدم الاسوار ويهجّر الانسان. وفي كل غزوة تتحطم الجيوش في القدس وحول القدس. وظل الصراع دموياً محتدماً ما دام يوجد غزاة طامعون.

والصهيونية ومنذ حركاتها الأولى في منتصف القرن التاسع عشر ومروراً بالحركة الصهيونية السياسية المنظمة بعد مؤتمر بال ١٨٩٧ شكلت للعالم الغربي الصليبي رأس حربة موجهة للأمة العربية والاسلاميةواندمجت الرؤية الصهيونية بالرؤية الغربية وشكلت تحالفاً استعمارياً لا تنفك عراه. كلاهما نبتا من منبت واحد. وكلاهما يتبنيان فلسفة واحدة وتوجهاً ايديولوجياً واحداً. وعندما زرع الاستعمار الكيان الصهيوني كان يدرك أن الأمة العربية لابد يوماً أن تنهض وأن الأمة الاسلامية لابد يوماً أن تصحو، لذلك يجب أن يكون هناك في قلب الأمة العربية وقلب أرضها كيان ذو عقيدة مختلفة مناقضة وذو أفكار مختلفة وذو توجه مختلف، ليشق الأمة وأرضها ويشغلها عن التقدم الحضاري والوحدة العربية والاسلامية التي ينشدها كل عربي وكل مسلم.

والقدس التي هي رمز أساسي من رموز وحدة الامة وتاريخها وحضارتها يجب أن تكون في أيدي الصهيونية حسب المنظور الغربي الصهيوني المتحالف لتطعن الأمة في القلب والصميم ولتشق الأمة شقاً قاسياً.

على مدى التاريخ كانت القدس نقطة الوسط بين الشرق العربي ومغربه. وكانت نقطة التحول التاريخي للأمة. في فلسطين اندحر الاستعمار الروماني

البغيض. وفيها انكسر الغزاة الافرنج إلى غير رجعة وعلى بطاحها انطحن المغول والتتار. لقد كانت مركز السلام الكوني ومركز الصراع الكوني وستبقى كذلك لأنها المقدسة الوحيدة التي تئن لها الجراح العربية والاسلامية ولأنها الوحيدة التي كلما تذكرها العربي والمسلم يكاد يسقط مقهوراً حزناً وألماً وأسىً لحالها الذي هي عليه.

لقد ضحت الأمة من أجل القدس بأبنائها وأموالها. دافعت عن الأقصى بالصدور بالحجارة بالعصي بكل سلاح. والصدامات الدموية تتجدد يوماً بعد يوم إلى ما شاء الله لها.

في شهر آب عام ١٩٢٩ خرج عشرات الآلاف من المسلمين العرب متصدين للصهاينة الذين أرادوا الاستيلاء على حائط البراق. ١٢٣ يهوديا يُقتلون ٩١ من العرب يستشهدون ٣٣٩ يهودياً يجرحون و١٨١ من العرب يصابون.

وشملت الثورة القدس ونابلس والخليل. ينحاز الاستعمار البريطاني البغيض إلى جانب الصهاينة فيعتقل المئات من العرب وينفذ حكم الاعدام بـ عطا الزير. وفؤاد حجازي ومحمد جمجوم ويُعذّب آخرون. قوات بريطانيا لم تستطع أن توقف المدّ الجهادي فاستعانت بقوات إضافية من مصر. وجاءتها على وجه السرعة لتنفذ سياستها الرامية إلى قمع العرب وقتلهم ومن أجل القدس جاءها العرب والمسلمون عام ١٩٣١ وعقدوا مؤتمراً عظيماً حضره المسلمون من باكستان والهند وايران وتركيا. حضره محمد اقبال الفيلسوف الاسلامي المعروف. ومحمد حسين آل كاشف الغطاء كبير مجتهدي الشيعة وقد أمّ المسلمين جميعاً في المسجد الأقصى. ومحمد رشيد رضا. وضياء طباطبائي رئيس وزراء إيران آنذاك وعبد العزيز الثعالبي الزعيم التونسي. والزعيم شوكت علي الهندي وحضرة شكري القوتلي ومحمد علي علوبة وسعيد الجزائري. ورياض الصلح. وغيرهم كثيرون حتى بلغ عددهم ١٤٥ عضواً وراح المد الجهادي يشتعل من أجل القدس وفلسطين. قامت الثورة الكبرى عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٣٩ . استشهد فيه القسام البطل العربي المجاهد، وقضى فيها الكثيرون شهداء في سبيلها وسبيل الحق. ومن أجلها قام إضراب الستة أشهر..

واستشهد عبد القادر الحسيني وكذا المجاهدون الذين جادوا بأرواحهم في سبيل تراب القدس المقدس.

ولأن القدس مركز الصراع كانت المؤامرة على فلسطين دولية الطابع. وكان الغدر البريطاني سافراً وكانت اللاأخلاقية اليهودية إلى أبعد الحدود. وكانت النظرة العربية السياسية متخلفة جاهلة. وكانت الخلافات العربية على أشدها. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت المعركة ضد الصهاينة معركة عربية. وكانت البطولات عربية.

ومن أجل القدس ظل الشعب العربي يقدم التضحيات تلو التضحيات.

منذ عام ١٩٤٨ عام النكبة احتل الصهاينة الجهات الغربية من القدس وراحوا يقيمون أحدث المستوطنات وأوسعها. وظلوا يعملون حسب منظورهم حتى أتت حرب ١٩٦٧ فكانت النكسة ووقعت القدس أسيرة حزينة بيد قوات الصهيونية الغازية. كان احتلال القدس بالنسبة للغرب الصليبي بلسماً شافياً لأن سقوطها يعني انتصار الصليبية من جديد. فالجنرال اللنبي يدخل القدس ويعلنها على الملأ.. ها قد عدنا.. والجنرال غورو يدخل دمشق ويقف بجانب قبر صلاح الدين، محرر القدس من الصليبيين ويقول هاقد عدنا يا صلاح الدين.

سقوط القدس يعني بالنسبة للصهيونية غير اليهودية تحقيقاً لنبوءات العهد القديم وللصهيونية اليهودية يعني عودة الهجمة العبرانية من جديد. وانتصار يوشع على أهل فلسطين.

تسقط القدس ويعم الحزن العالم العربي والاسلامي. لقد سقطت شقيقة مكة، وسقط المسجد الأقصى شقيق المسجد الحرام، ويعلنها بن غوريون ودايان واشكول وحاخامات الاساطير التوراتية هاهي القدس بين أيدينا ولن نخرج منها.

ومنذ ١٩٦٧ قامت قيامة تهويد المدينة. استولى اليهود على كل بيت أهلُه مرحّلون أو غائبون ومنع الغائبون من العودة إلى بيوتهم. آلاف البيوت السكنية الجاهزة أقيمت هنا وهناك وعشرات الألوف من المستوطنين اليهود يوطّنون فيها. وأخذوا يهدمون الآثار الاسلامية ويزيلونها من الوجود. ومئات المدارس الاسلامية الفقهية أزيلت عن أرض القدس وجرفت الجبال المحيطة وسوّيت أرضها لتقوم عليها المستوطنات الكبرى. وبات العرب أقلة قليلة في المدينة.

وحتى يزول المسجد الأقصى أقدموا على حرقه عام ١٩٦٨ وتتكرر محاولات نسفه حتى بلغت العشرات. وراحت الجرافات والحفارات تقيم حول الأقصى وأسواره الحفريات الكبيرة تصل إلى أعماق الأرض بحثاً عن سراب الهيكل المزعوم. يحفرون الانفاق تحت المسجد حتى يتهادى ويقيمون مكانه رمز استعمارهم الهيكل الثالث.

ويقيمون القدس الكبرى. ويقدمون هدية القدس مجسمة مصغرة ومحذوفاً منها المسجد الأقصى. ومقاماً عليها بناء الهيكل اليهودي المزعوم.

يرتكبون أبشع المجازر بحق المسلمين وفي كل مجزرة يذهب عشرات الابرياء ضحايا الرصاص اليهودي. وكل ذلك من أجل القضاء على الرابطة الوثيقة بين المسلمين وقبلتهم الأولى والقضاء على هذا الرمز الاسلامي العظيم.

ومن أجل عروبة القدس واسلامها قدم الشعب الفلسطيني أبناءه شهداء وجرحى ومجاهدين واليوم وبعد أن بلغ السيل الزبى تعلو وتعلو صرخة القدس لتصل وجوه المسلمين والعرب جميعاً. ويغلي المرجل لحظة بعد لحظة. والبركان الذي تموج حممُه تحت الأرض يوشك على الاقلاع. فلن تبقى القدس أسيرة الصهاينة. إن القرآن الكريم يستصرخ كل حر أبي أن يعرف مكانه في صفوف المجاهدين حتى يتم إنقاذ المسجد الأقصى وتحريره من دنس الغزاة.

المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم

٢ – صحيح البخاري ـ المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ افرنجي

٣ – صحيح مسلم

٤ – سنن الستة

٥ – السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور المجلد ٣ـ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠

٦ – سعيد حوى من جند الله نقلاً عن المنهج للدكتور الشهيد فتحي الشقاقي دون تاريخ

٧ – محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة ـ دمشق ـ بيروت دار الفكر ١٩٩٠

٨ – أحمد حجازي السقا، نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة ـ مكتبة الكليات الازهرية القاهرة ١٩٧٦

٩ – تاريخ الطبري

١٠ – ابن الأثير الكامل في التاريخ ـ دار صادر بيروت ١٩٨٢

١١ – محمد حسن شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى ـ دار القلم دمشق ١٩٩٤

١٢ – أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ ـ دار الاعتدال دمشق

١٣ – روجيه غارودي: فلسطين أرض الرسالات السماوية ـ دار طلاس دمشق ١٩٩١

١٤ – شريف محمد قاسم ، الاسلام و المسيحية في الميزان ـ مؤسسة الوفاء بيروت ١٩٨٨

١٥ – الآثار الاسلامية الأولى كريزويل ـ دار قتيبة دمشق ١٩٨٤ – ١٤٠٤هـ

١٦ – ول. ديوراوات. قصة الحضارة، الجزء الثالث

١٧ – ت: مفيد عرنوق، اللآلىء، نصوص من الكنعانية ـ دار النهار بيروت

١٨ – التوراة. العهد القديم. منشورات دار الكتاب المقدس ـ دمشق ١٩٨٠

١٩ – الانجيل العهد الجديد منشورات دار الكتاب المقدس ـ دمشق ١٩٨٠

٢٠ – قاموس الكتاب المقدس ، منشورات دار الكتاب المقدس ـ دمشق ١٩٨٠

٢١ – كاثلين كـانون. الكتـاب المقـدس والمكتشـفات الآثاريـة الحديثـة ـ دار الجليـل دمشـق ١٩٨٧

٢٢ – م. ريجسكي. ترجمة آحو يوسف أنبياء التوراة والنبوءات التوراتيـة دار اليـنابيع دمشـق ١٩٩٣

٢٣ – مصطفى مراد الدباغ. بلادنا فلسطين الجـزء العاشر القسـم الأول رابطـة الجـامعيين في الخليل ١٩٧٤

٢٤ – النفوذ الصهيوني في السياسة الفرنسية، كتاب رسالة الجهاد. مالطا ١٩٨٨

٢٥ – يوميات هرتزل ـ مركز الابحاث الفلسطينية بيروت ١٩٦٨

٢٦ – ناحوم غولدمان . اسرائيل إلى أين؟ ـ منشورات فلسطينية المحتلة ١٩٧٨

٢٧ – ميخائيل زوبوروف. الصليبيون في الشرق ـ دار التقدم. موسكو

٢٨ – الفكرة الصهيونية، النصوص الاساسية ـ بيروت. مركز الابحاث الفلسطينية ١٩٦٨

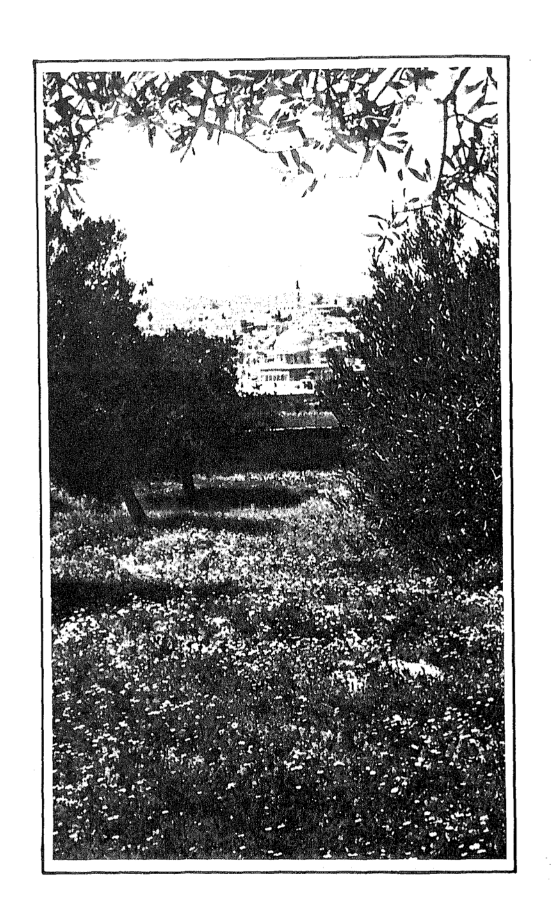
٢٩ – الصانداي تايمز ١٥ / ٦ / ١٩٦٩

٣٠ – جيروزاليم بوست ١٠ / ٨ / ١٩٦٧

٣١– جريدة الحياة مقال لـ محمد عثمان ٤ / ٢ / ١٩٩٤

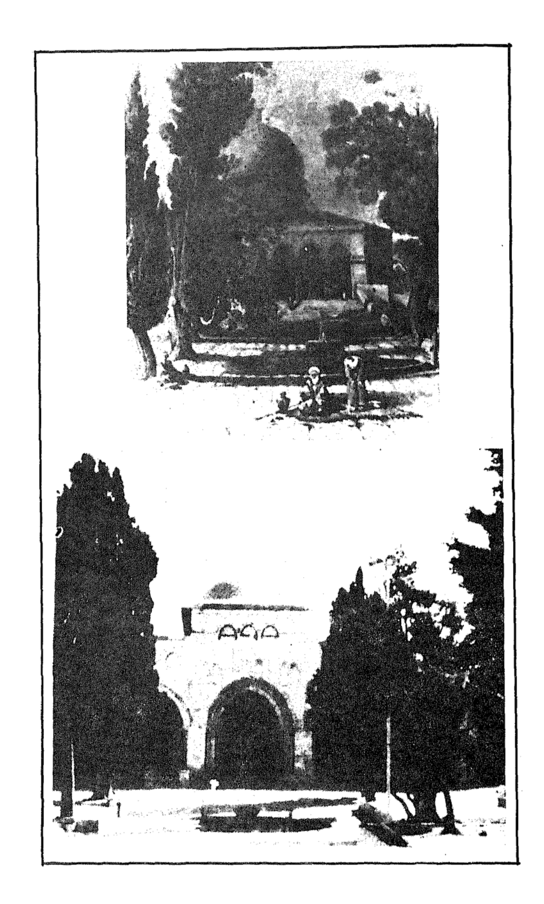
٣٢ – مجلة رسالة الجهاد الليبية. العدد ٨٥ – ١٩٨٥

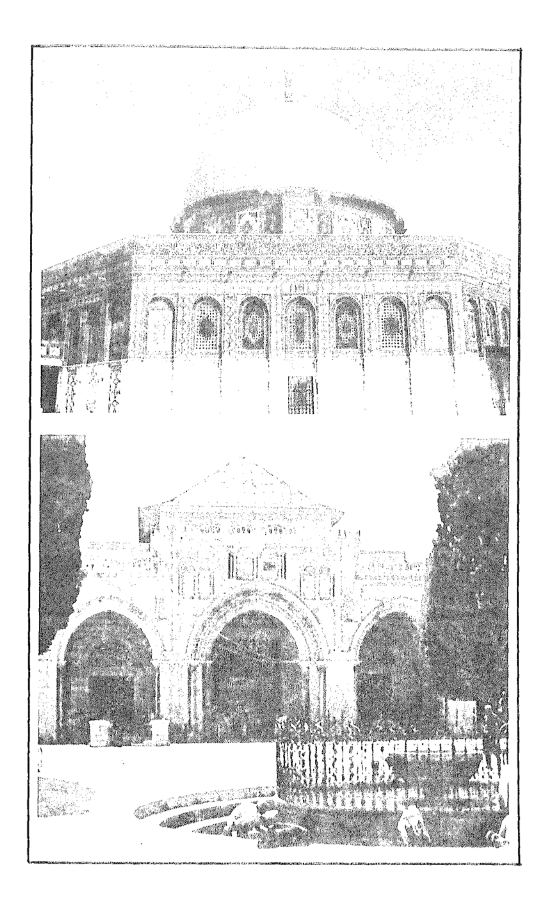
ملحق صور للقدس

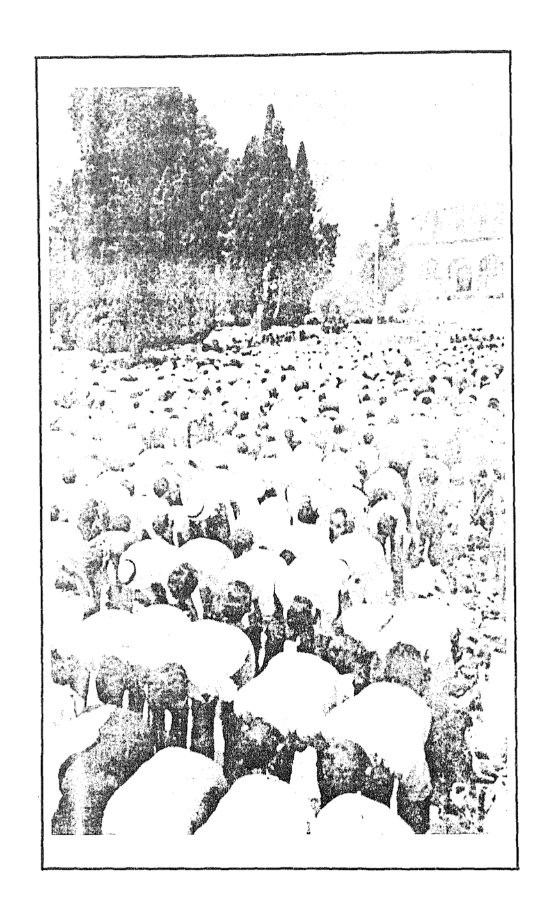


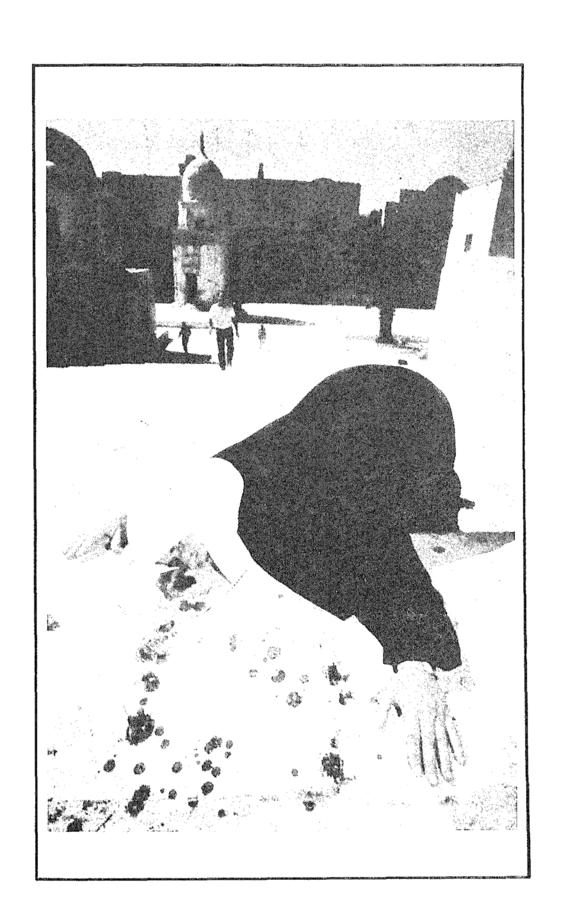


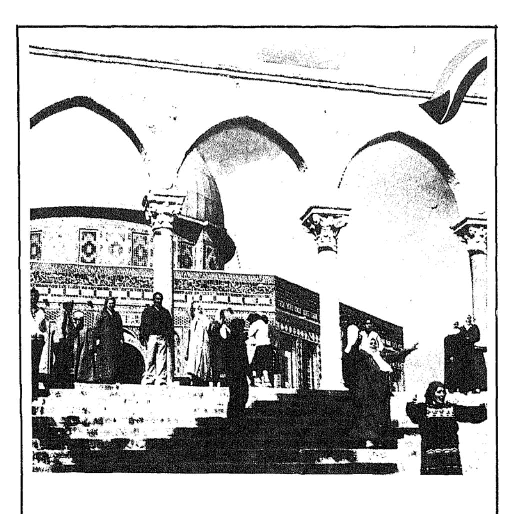
الناصر صلاح الدين الأيوبي محرر القدس

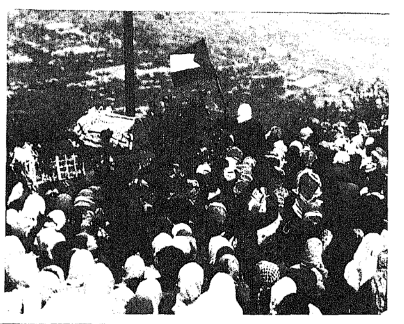




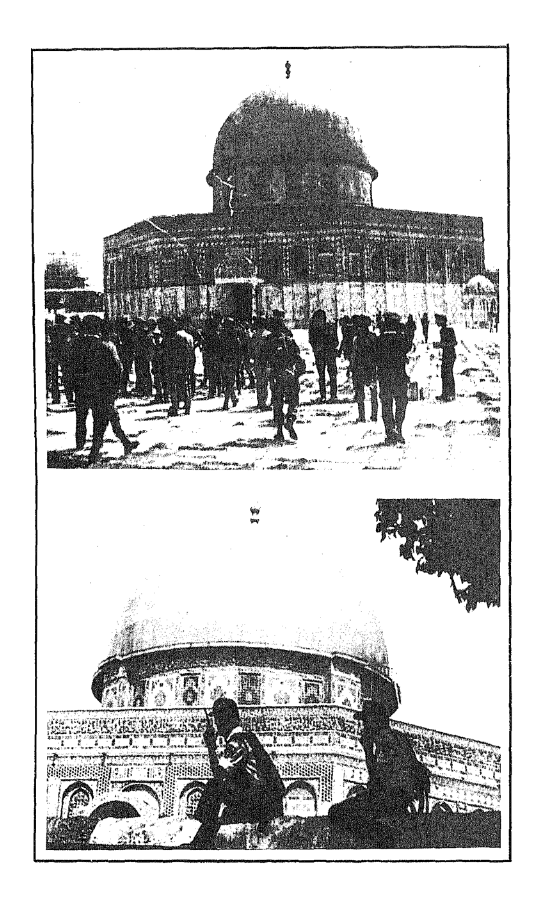












صدر للمؤلف

١- من الجرح يبتدىء البرق، مجموعة شعرية بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب ١٩٧٧ دمشق.

٢- الفكرة الصهيونية والأدب العنصري، دراسة، دار الامام البخاري دمشق ١٩٧٨.

٣- الاغنية الشعبية الفلسطينية. دراسة. دار الجليل دمشق ط١ عام ١٩٧٨ ط٢ ١٩٨٦.

٤- مسافر زادي معي. مجموعة شعرية. ابلتعاون مع اتحاد الكتاب العرب ١٩٨٥ دمشق.

٥- الميثولوجيا الكنعانية والاعتصاب التوراتي. دراسة. دار الجليل دمشق ١٩٨٦.

٦- المعتقدات الشعبية في التراث العربي بالاشتراك مع محمد توفيق السهلي. دراسة. دار الجليل دمشق ١٩٨٧.

٧- أغاني وألعاب الأطفال في التراث الشعبي . دراسة. دار الجليل. دمشق ١٩٨٧.

٨- العرس الفلسطيني. دراسة. دار المبتدأ - لبنان ١٩٩٦.

٩- منهج الجهاد القرآني. مؤسسة مي للطباعة والنشر - بيروت. دراسة ط١ ١٩٨٩ ط٢ ١٩٩٢.

١٠- الانسان في ميزا ن القرآن. دراسة. جمعية الدعوة الاسلامية ، ليبيا ط١ ١٩٩٠ ط٢ ١٩٩٢.

١١- العقائد الوثنية في الديانة اليهودية. دراسة. دار قتيبة. دمشق ١٩٩٠.

١٢- التربية الصهيونية. من عنصرية التوراة إلى دموية الاحتلال. دار قتيبة. دراسة ١٩٩١.

١٣- بروتوكولات صهيون من التنظير إلى التدمير. دراسة. دار قتيبة ط١ ١٩٩١.

١٤- موقف الاسلام من السحر والخرافة. دراسة. دار حطين دمشق ١٩٩٤.

١٥ - زحف العنصرية ومواجهة الاسلام. دراسة. دار قتيبة ط١ ١٩٩٥.

١٦- مولد محمد مفتاح التاريخ الاسلامي، فادي برس لندن ١٩٩٦ دراسة.

١٧- الأماكن الاسلامية المقدسة حق المسلمين الضائع دراسة مؤسسة ذي قار لندن ١٩٩٦.

١٨- عز الدين القسام شيخ المجاهدين. دراسة مبسطة. دار الوسيم دمشق ١٩٩٤.

١٩- البيت الفلسطيني. دراسة مبسطة. دار الوسيم دمشق ١٩٩٤.

٢٠- القرآن وحوار العقل. دراسة. جمعية الدعوة الاسلامية. ١٩٩٧.

٢١- حقوق الانسان بين الفلسفة والاديان. جمعية الدعوة الاسلامية. دراسة ١٩٩٧.

تحت الاعداد والنشر

التوراة والقرآن أين يتفقان وأين يفترقان؟
دراسة موسعة. الجزء الأول – مقارنة أديان

الفهرس

هـــذا الكتـــاب

تسليط الضوء على الماضي والحاضر. الماضي بما فيه من ادعـــاءات توراتية وأساطير يهودية. والحاضر بما فيه مـــن دموية عنصرية واحتلال.

إنه كتاب يتجه إلى القبض على النص التوراتي وتحليله ليُظهر أن القدس عربية الجذور إسلامية الانتماء ولأن القرآن الكريم كلام الله عز وجل فإن آياته تكفلت بالرد على افتراءات اليهود وفضح انحرافهم .والمسجد الأقصى كما البيت الحرام في مكة آية من آيات هذا القرآن الكريم ، آية تدعو الموحّدين أينما كانوا للجهاد المتواصل لتخليص هذا المكان المقدس من براثن الصهاينة يهوداً وصليبيين غربيين.

لذلك يسر المؤلف ودار قتيبة أن يقدمان هذا الكتاب للقارىء الكريم أملاً في دعم الحق والحقيقة ودحض المزاعم التوراتية الصهيونية. والتزاماً بالإيمان ببشرى النصر للموحّدين بتحرير الأقصى والمقدسات الإسلامية.

﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾ . صدق الله العظيم.